

النص الكامل  
مكتبة الدكتور الأديب

# اغلاش كريتي



## الأصبع المتحرك



الأجبال  
دار الروايات والقصص  
Jeddah, Saudi Arabia

دار الروايات والقصص  
Dār al-Rawā'iyāt wa-l-Qisṣ  
Souvenir Book House

# Agatha Christie



## The Moving Finger



## الاصبع المتحرك

الموت يضرب بصمت...

"أذكر أن الرسالة وصلت عند الإفطار. كانت رسالة محلية طبع العنوان فيها على الآلة الكاتبة. فتحيتها قبل الرسائل الأخرى، وفي الداخل كانت كلمات وأحرف مطبوعة قد نُقِصَتْ وأُضِلَّت على ورقها. حدثت في الكلمات للخطأ دون أن أسترعيبها ثم شُهِدَتْ..."

في البداية لم نَسبِّ الرسائل المخادقة المجهولة إلا الرعب، ولكنها أدت -من بعد- إلى جريمة قتل. والسؤال هو: من سيكون الضحية التالية؟

رواية جديدة من روايات الكاتبة العالمة التي تُعتبر أعظم مبدعة في التاريخ من حيث انتشار كتاباتها وعدد ما يبيع منها من نسخ. وهي -بلا جدال- أشهر من كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية. وقارب عدد ما طبع منها ألفي مليون نسخة!

Chassey

[www.liilas.com](http://www.liilas.com)



الأجبال  
للترجمة والنشر  
A. M. Foundation

دار المشرق الجامعية  
Dour El - Oudra  
www.liilas.com

## المؤلفة في مسطور

تعتبر أغاثا كريستي أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من كتبه قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد ترجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب ما طُبِع منها بليون (ألفي مليون) نسخة!

وُلدت أغاثا كريستي في بلدة نوركي بحضوب إنكلترا عام ١٨٩٠ وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تنجب أغاثا قط إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تحبنا هي نفسها؛ فحينما كانت نريه فراشها تتعافى من مرضي ألم بها سألها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "ولكني لا أفلسي فادرة على ذلك"، فقالت الأم: "بلى، تستطيعين. حربي ومزري". عندئذ كتبت أغاثا أول رواية لها وعنوانها «الزوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشر فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «الفقعة الغامضة في ستاهلزم» التي ظهر فيها مولود للمرة الأولى، فقد أدخلتها إلى عالم

الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين!

عاشت أغاناً طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأسر مريحٍ مُحبٍّ للحياة، وأم ذكية طموحة، وقد طُلّت -حتى آخر حياتها- تذكّر ينشأ الذي وُلدت ونشأت فيه بكثيرٍ من الشوق والحنين. ولكن هذه المساعدة لم تدم؛ فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة من عمرها، وأسرتها مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغاناً في عالم المسؤولية والفقر والضعف.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغاناً للعمل في أحد المستشفيات ممرضةً تساعد جرحى الحرب، وفي هذا المستشفى عملت بتحضير وتركيب الأدوية وتعرفت إلى السموم وتراكيبها مما كان له أثر بالغ الفائدة في كتاباتها اللاحقة عن الحرب.

وفي تلك الفترة تزوجت طبيباً شاباً اسمه آرشيالد كريستي، في عام ١٩١٤، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت -مرة أخرى- عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مالوان، وهو الذي أعضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) لبعثات أبحاث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت على النيل» و«سأولوا إلى بغداد» و«جريمة في العراق». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت بوحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق السريع».

تحدثت أغاناً كريستي عن نفسها فقالت: «لو سُئلت عن ميولي

لأجبت بأنني أحب كل طعام جديد، وأكره الكحول وكل ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته يقيها ولم أجد ما يفرني بالتحقق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى السفر ولا ميسر في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره الأفلام البائسة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضائها، وأبغض المدن والازدحامها».

أما قصصها فتتميز بدقة حيّاتها وارتباط أحداثها ومنطقية تسلسلها. تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محبلةً كواستها باحثاً عن دوافعها بمبررة فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة» بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُجرح أو يُسيء. وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بد أن ينتصر الخير»، و«الجريمة لا تلبث».

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) «بارو»، والأنسة ماريل. أما بارو فقد «وُلد» في قصتها المنشورة الأولى «القضية الغامضة في ستانلز» في عام ١٩٢٠، واستمر بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة حتى «قُتل» أخيراً في عام ١٩٧٥ في روايتها «المثارة». وهو محقق بليكي وشروطي متقاعد أهم ما يميزه ذكائه العارقي (الناجم عن الخلايا «رعادية الصغيرة» في دماغه) وشاربه العظيمة اللذان ليس لهما مثيل في الدنيا وغالباً ما يرافقه -في تحقيقاته- صاحبه الشهير، الضابط «ستامعد» الكاشي هينستنز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحيه الكبير لبارو.

وأما الأنسة ماريل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس

البشرية بحيث تكشف أمرار الحرالم مستفيدة من شبكة واسعة من  
الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

كُتبت أثنًا كرهسني من روايات وقصص الجريمة سباعاً ومئين  
رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث  
عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البرلمانية  
ثمانين كتاباً. كما كُتبت ست روايات طويلة رومانسية باسم مستعار  
هو «ماري» وبسماكوت. وست عشرة مسرحية أشهرها «معميدة  
الفردان» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ؛ إذ ما زالت  
تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٣٠، أي لسنحو سبعين  
عاماً! أما سيرة حياتها، التي كتبها قبل وفاتها، فقد نُشرت بعد موتها  
بعام واحد، وسوف نلتم ترحتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الأخر  
«تعللي أعبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه  
ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها)، حيث ستكون هذه هي المرة الأولى  
التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.



## الفصل الأول

أعز حنني الأطباء - أعيراً - من لفائف الحصى بعدما عانيت منها ما عانيت، وجاءتني الممرضات يحاولن حملي بكلامهن المعسول على تحريك أطرافني بحذر. وفيما أنا مستاء من حديثهن معي وكأني طفل رضيع أخبرني ماركوس كنتُ بأن عليّ الذهاب للعيش في الريف قائلاً: هواء نقي وحياة هادئة دون أي عمل... هذه هي الوصفة التي أقدمها لك. ستولي شقيقتك رعايتك هناك. كُل، ونم، وقلد أفراد مملكة النيات قدر الإمكان.

لم أسأله إن كان باستطاعتي الطيران من جديد؛ فمن الأسئلة ما لا يستطيع المرء طرحه لخشيته من الإجابة. وللمسبب ذاته فإني لم أسأله - خلال الأشهر الخمسة الأخيرة - إنه كان سيحكم عليّ بأن أبقى مستلقياً على ظهري طيلة حياتي. كنت خائفاً من تطمين منملق لمرضتي تقول لي: "كف عن ذلك، ما هذا السؤال! نحن لا نسمع لمرضانا بأن يتحدثوا بهذه الطريقة".

ولذلك لم أسأل... وقد مضى الأمر على ما يرام وتبين أنني لن أكون مقعداً عاجزاً فقد استطعت تحريك ساقي والوقوف عليهما،

ثم استطعت أخيراً المشي بضع خطوات. ولئن كنت أشعر وكأنني  
مفلل بخسور تعلم الترحُّج بركتين مرعشتين وقدمين ملفوفتين بالقطن،  
فإن ذلك لم يكن سوى شعور لن يلبث أن ينتهي.

وقد أجباني ماركوس كيت (وهو طبيب قديم) عن السؤال  
الذي لم أسأله، إذ قال: سوف تتعافى تماماً. لم يكن هناكين حتى  
يوم الثلاثاء الماضي عندما أجبنا لك ذلك الدخس النهائي، أما الآن  
فأستطيع إبلاغك بكل ثقة. ولكن... سيكون الطريق طويلاً وربما  
يمتد على السام. فعندما يتعلق الأمر بشفاء الأعصاب والعضلات  
فإن على الدماغ مساعدة الجسد، وقد يؤدي أي استعجال إلى  
الانكسار. تستطيع فعل كل شيء، شريطة ألا تتعجل الشفاء. إذ إن  
أي تصرف كهذا سيجعلك إلى المستشفى مرة أخرى؛ عليك أن تسأحد  
الأمر بتحمل وبارتياح، فالإقناع هنا بطيء تماماً. ليس جسدك  
وحده هو الذي ينبغي أن يشفى، فأعصابك قد ضعفت بسبب  
اضطرابنا لإبلاغك خاضعاً للأدوية لفترة طويلة. ولذلك أقول لك  
أذهب إلى الربيف فاستأجر بيتاً هناك، واهتم بالسياسة المحلية للقرية  
وبعضاتها وبالتبل والقال فيها واهتم بجيرانك كما ينبغي. بل لو  
كان لي أن أنصحك لأشرت عليك بأن تعجب إلى مكان ليس لك  
فيه أصدفاه أصلاً.

أومأت براسي وقلت: لقد فكرت في هذا الأمر فعلاً.

لا شيء أشدّ وطناً على المرء من اندفاع أصدفائه لزيارته  
مظاهره في الشفقة عليه فيما هم منتشلقون بشؤونهم العاصلة، فلا  
يلبث الواحد منهم أن يبدأ بالحديث: ولكنت تدور راعياً يا جيري... ما

وايكم أنتم؟ أوه، بالتأكيد. لا بد أن أعبرك يا جيري... ماذا تحسب  
بأسر قد فعل الآن؟

كلاً، لا أطيع شيئاً من ذلك... حتى الكلاب أكثر حكمة؛ فهي  
ترحب بمنعده إلى زاوية هائلة وتلقح جراحها ولا تعود إلى عالمها  
إلا بعد أن تبرا من علتها.

وهكذا قضتُ وجواناً -بعد بحث محموم في سجلات وكلاء  
العقارات عن بيت في الحوز البريهلانية- باختيار البيت المسمى  
"كيتل فيرز" في لايمستوك كأحد الاعتبارات لمعاينته، وكان السبب  
الرئيس لاختيارنا هذا أننا لم نرُ لايمستوك أبداً من قبل، ولم تكن  
نعرف أحداً في تلك المنطقة.

وعندما رأيت جواناً "كيتل فيرز" قررتُ على الفور أن هذا هو  
البيت الذي نريد. كان يقع على بعد نصف ميل تقريباً خارج  
لايمستوك على الطريق المؤدي إلى منطقة السباح. وهو بيت أبيض أبيض  
له شرفة هائلة من الطراز الفكتوري مطيلة باللون الأخضر الفاتح،  
ويُشرف على منظر جميل فوق أرض منحدرة مغطاة بالنباتات، وإلى  
الأسفل يرتفع برج كيسة لايمستوك من الناحية اليسرى.

كان البيت ملكاً لأعوات عوانس من عائلة بارتن لم يبق منهم  
على قيد الحياة إلا واحدة هي الصغرى، واسمها الأئمة إميلي،  
وكانت الأئمة إميلي بارتن امرأة سبعة رابعة صغيرة الحجم، ذات  
شكل يوحى بالانسجام لا بمصادق مع نفسها. وقد شرحتُ لجوانا  
بصوت ناعم فيه نبرة اعتذار بأنها لم تخرج بينها من قبل أبداً، وأنها  
في الحقيقة ما كانت لتفكر بفعل ذلك... "ولكن الأمور - كما ترى -

يا عزيزتي- قد تغيرت كثيراً هذه الأيام... الضربات بالطبع، ثم إن هذا أسهمى التي كنت أظنها عوفاً استمارة مأموناً، والحقيقة هي أن مدير البنك نفسه قد أشار عليّ ببعضها، ولكن يبدو أنها لا ترحب شيئاً هذه الأيام. وهي أسهم أحبة بالطبع وهذه الحال تجعل الأمر صعباً للغاية. أنا واثقة من أنك ستفهميني يا عزيزتي، فأنت تبدين لطيفة جداً ولن تخالطني لما سأقول: إن المرة لا يجب فكرة لأجير بيتك للغرباء... ولكن يجب عمل شيء - كما أنتي - بعد أن رأيتك- سأكون سعيدة لوجودك هنا... فأجبت محتاجة إلى حياة شابة، ولكن لا بد أن اعترف بأنني لا أجد فكرة وجود رجال هنا".

عند هذه النقطة كان عليّ حيواناً أن أخبرها عني، وقد تمالكتم الآتية إميلي نفسها بشكل جيد وقالت: يا عزيزتي، فهمت... ياله من أمر محزن! حادث طارئة؟ هؤلاء الشباب شجعان جداً. وعلى هذا فيكون أخوك - عملياً - رجلاً مُفْعَلاً...

بدأ أن تلك الفكرة قد هذأت السيدة اللطيفة الصغيرة إذ يفترض ألا تنغمس في مثل تلك الأنشطة الذكورية العنيفة التي تخشعها إميلي بارتن. وحين استفسرت بحياء إن كنت أدعين قالت حيواناً: بدعني كمدرسة، وأنا الأخرى كذلك!

- بالطبع، بالطبع. هذا غباء مني.. أعشى أنني لم أتغير مع الزمن! كانت أخواتي جميعهن أكبر مني سنًا، وأمي العزيزة عاشت حتى بلغت السابعة والتسعين... تصوري! وكانت شديدة التمسك بالانضباط. نعم، نعم، الكل يدين الآن... الشيء الوحيد هو أنه لا توجد في المنزل مناقض للفائف الشيخ.

قلت حيواناً إننا سنحضر معنا الكبير من المناقض، وأضافت ميسمة: لن نضع أعقاب لفائف الشيخ على أكتاف الحجيل، هذا وعد مني لك! فأنا لا شيء يبقطني أكثر من رؤية الناس يفعلون ذلك.

وهكذا نت تسوية المسألة، واستأخرنا لبزل لغير لمدة ستة أشهر مع حبار التمديد لثلاثة أشهر أخرى، وأوصحت إميلي بارتن لحيواناً بأنها شخصياً ستكون مرتاحة جداً لأنها ستعيش في شقة تابعة للخادمة "فلورنس المخلصة" التي كانت تعمل لدى إميلي ثم تزوجت، بعد أن عاشت معنا خمسة عشر عاماً. قالت: إنها فتاة لطيفة وزوجها يعمل في مهنة العقارات. لديها بيت جميل في الشارع العام للبلدة، وغرفتان جميلتان في الطابق العلوي. سأكون مرتاحة تماماً هناك وستكون فلورنس سعيدة جداً لو جودي عندها.

وهكذا بدأ كل شيء مرضياً، وتم توقيع العقد، وانتقلت مع حيواناً إلى البيت. وبما أن بارتريديج، خادمة الآتية إميلي، قد وافقت على البقاء، فقد كنا موضع رعاية جيدة، وذلك بمساعدة "فتاة" كانت تأتي كل صباح، وكانت تبدو نصف بلهاء رغم أنها ودودة.

كانت بارتريديج امرأة متحججة شديدة عنيدة في أوامسط عمرها، وكانت ماهرة في الطهي. ورغم أنها استابت من مسألة التساخر في العشاء (إذ كانت عادة الآتية إميلي أن تناول عشاء غليظاً من البيض المسلوق) إلا أنها كُتبت نفسها مع أسلوبنا وذهبت أبعد من ذلك إذ اعترفت بأنني أحتاج لقوية جسدي وتغذيته.

وعندما استقرت أمورنا ومضى أسبوع على وجودنا في البيت، جاءت الآتية بارتن بأحشام وتركبت لنا بطاقات نهضة. وقد حدثت



حنوها كل من السيدة سميتين زوجة الصالحين، والأخت غريفيث  
شقيقة الطبيب، والسيدة كاثروب زوجة الكاهن، والسيد باي من  
مؤسسة براينور ليند، وقد تأثرت جوانا كثيراً لهذه الفتنة وقالت  
بعصوت منهج: لا أكاد أصدق أن أولئك الناس قد زاروا حقا...  
وبطافات نهضة!

قلت: هذا لأنك يا عزيزتي لا تعرفين شيئا عن الريف.

- هراء، لقد أقصت مع الناس في الريف كثيراً في العديد من  
العطل الأسبوعية.

.. هذا لا يستوي أبداً مع العيش في الريف.

أنا أكبر من جوانا بخميس سنوات، وإني - حين أتذكر البيت  
الأبيض الكبير القديم الذي كنا نعيش فيه والحقول التي تمتد أسفل  
منه حتى تصل إلى النهر - لأتذكر كيف كنت أزحف تحت شباك  
العلق دون أن يراي البستاني، ورائحة الغبار الأبيض في الأسطبل،  
وصوت حوافر الحصان وهي تضرب الأرض في داحل الأسطبلات.

ولكن عندما صرت في السابعة وصارت جوانا في الثانية من  
عمرها فهنا نعيش في لندن مع إحدى العمات، ومنذ ذلك الحين  
أصبحتا نقضي الأعياد هناك في حضور المسرحيات والتسره في حدائق  
كينسينغتون في الفوارب، ثم اعتدنا لاحقاً الذهاب إلى صالات التزلج،  
وفي شهر آب كنا للمب وتقيم في أحد الفنادق الساحلية.

فلست لجوانا وأنا أتأمل كل هذه الذكريات وأشعر بوحز  
الضمير لإحساسي أنني أصبحت مريضاً تماماً: ستكون حياة الريف

هذه مخيفة بالنسبة لك... مستقدين كل شيء؟ فأنت تحبين الحياة  
الاجتماعية مما لا يتصور وجوده في هذا الريف الهادئ.

ضحكت جوانا وقالت إنها لا تهتم لذلك على الإطلاق، ثم  
أضافت: بل إنني في الواقع مسرورة جداً للهرب من ذلك كله. لقد  
سعت حقاً الأماكن المزدحمة، ورغم أنك لن تكون متعاطفاً معي،  
إلا أنني أقول لك بأن قلبي قد انكسر على فراق بول، وسأحتاج  
فترة طويلة حتى أعقب على ذلك.

كنت مرتاباً في كلامها هذا فسرّة جوانا في علاقتها بالشبان  
تسير دائماً على نفس النمط. كانت تقع عادة في حب محتون  
لشاب ضعيف الشخصية تماماً، وخالفاً ما يكون ذلك الشاب "عقرباً"  
لم يفهمه أحد. وهي تنفق الوقت في الإصغاء لشكاواه وتحصل كل  
ما في وسعها حتى تحصل له على الاعتراف العام بقدراته. وبعد  
ذلك... عندما يصبح ناكراً للحميل، تصاب بحرج في الصميم  
وتقول: إن قلبي قد انكسر... إلى أن يأتي الشاب الكتيب الذي يليه،  
ويكون ذلك عادة بعد ثلاثة أسابيع من الشاب الذي قبله. ولذلك لم  
أحمل مسألة قلب جوانا الكبير على محمل الجد، ولكنني أدركت  
بأن الحياة في الريف كانت مثل لعبة جديدة بالنسبة لشقيقتي  
الحناية.

قلت: على أية حال فإني أبعد على ما يرام، اليس كذلك؟

أمنت النظر فيها أتفحصها ولم أستطع موافقتها على ما تقول.  
كانت جوانا تلبس ملابس رياضية، وهذا يعني أنها كانت تلبس تنورة  
ذات مربعات أبعد ما تكون عن الدوق، أما نصفها العلوي فقد غطته

بكترة مخيفة وصغيرة ذات أقدام قصيرة. وكانت تلبس جوارب  
من الحرير، وحذاء رياضياً حديثاً لا عيب فيه.

قلت: كلا، كلك خطأ. كان يجب أن ترتدي تنورة موفية  
من التويد، ويفضل أن تكون حضراء داكنة أو بيضاء. وبمكثك  
أن تلبس فوقها كتزة كثيفة جميلة، وربما سترة من الصوف وقعة  
من اللباد وجوارب سمكة وحذاء قديماً، وعندكما... وعندكما  
فقط... ستجدين نفسك متسحجة مع المحيط هنا في الشارع العام  
لبدة لايمستوك، ولن تكوني ناشزاً كما أنت الآن.

ثم قلت مضطرباً: كما أن وجهك كله خطأ أيضاً.

- وما العيب فيه؟ لقد وضعتُ عليه أفضل مسحوق للتجميل.

- بالفيصل. لو سبق لك العيش في لايمستوك لعلمت أن  
الأفضل أن تضعي قليلاً من البودرة حتى لا يلمع أنفك، وربما أكثر  
من أحمر الشفاه، دون مبالغة فيه، وتبقي على حاجبيك كما هما  
بدلاً من اختصارهما إلى الربع.

تفهفت حوانا وبدت مسرورة جداً وقالت: اتظنهم سيروني  
فطيلة الشكل؟

- كلا، سيرونك غريبة الشكل فقط!

عادت حوانا لتفحص الطاقات التي تركها زولرنا. زوجة الكاهن  
وحماها التي كانت محفولة (أو العكس؟) في العثور على حوانا  
في البيت. قالت حوانا بحماسة: أعتقد أن هذا المكان رائع فعلاً يا  
جيري! جميل وممتع وينتمي للعالم القديم... لا يمكن للمرء أن

يصور حدوث شيء بغضب هنا، أليس كذلك؟

ورغم علي أن ما قائم كان هراء، إلا أنني وافقتها؛ ففي بلدة  
مثل لايمستوك لا يمكن أن يحدث شيء سيء... ولعله من الغريب  
أننا تلقينا بعد أسبوع واحد فقط من ذلك الرسالة الأولى!



أرى أنني قد بدأت بداية سيئة... فإنا لم أعط أي وصف لقربة  
لايمستوك، وبدون فهم لطبيعة لايمستوك يستحيل فهم قصتي.

في البداية أقول إن لهذه البلدة الصغيرة جذوراً تمتد في الماضي.  
كانت لايمستوك في زمن الفتح النورماندي بلدة ذات أهمية،  
وكانت أهميتها هذه عينة بالمرحة الأولى. كان في لايمستوك دير  
للرهبان، وقد خرج هذا الدير سلسلة طويلة من الرهبان الطموحين  
قوي النفوذ. وكان لوردات وبارونات المناطق الريفية المحيطة  
بشربوك من الكتيبة عن طريق منح الدير جزءاً من أراضيهم. وهكذا  
أصبح دير الرهبان في لايمستوك غنياً ومهماً وصاحب نفوذ في  
المنطقة لعدة قرون. ومع ذلك فقد جاء الوقت الذي جعله الملك  
هنري الثامن يقاسم أقرانه من الأديرة نفس المصير، ومنذ ذلك الحين  
أصبحت إحدى الفخاخ هي التي تسيطر على البلدة، فيما بقي للدير  
بعض الأهمية بما له من ثروة وحقوق وامتيازات.

وبعد ذلك تراجع -في القرن الثامن عشر- المد الحضاري  
للبلدة فانهزت القلعة، ولم تمر بالقرب من البلدة أي من خطوط  
السكك الحديدية أو الطرق السريعة، وتحولت إلى بلدة ريفية  
صغيرة غير هامة، تمتد الأرض السبخة من ورائها، وتحيط بها

كان يقام فيها سوق مرة كل أسبوع، وفي ذلك اليوم كان  
المرء عرضة لمصادمة المصابة في الأثرة والطرفات. وكان يقام فيها  
سباق عيل صغير مرتين في كل عام لا يشارك فيه من الخيول إلا  
كل منصور لم يسمع به أحد، وكان فيها شارع عام وحيد جميل  
تجده به يومئذ ضيقة يخرب تاصفها بحدود واجبات المحلات من  
ملوانها الأرضية وهي تعرض الكعك أو العصار أو اللواك، وكان  
في الشارع العام محل كبير للأجواح، ومحل كبير مهيب للأقوات  
المعدنية، ومكتب بريد مبهرج. وصف من المحلات المتناثرة التي  
لا هوية لها، ومحلان متنافسان لبيع اللحوم، ومخازن دولية. كما  
كان في الشارع طيب ومكتب حمامة، وكيسة حيلة ضخمة جداً  
شيد بنائها عام ألف وأربعمئة وعشرين وفيها بعض الآثار المسكونة.  
وكان في القرية - بالإضافة لتلك كله - مدرسة جديدة مهيبة  
التصميم، وحائتان.

هكذا كانت لايمستوك. ويتشجع من إميلي يارتن فقد حله  
لزيارتنا كل من هب ودب في القرية، وكاد على حوانا أن ترد - بعد  
ذلك - على كل تلك الزيارات بعد أن اشترت تقاويم وأخذت تلبس  
تعبعة من السخمل ليرتمة أموا منها.

بالنسبة لنا، كان ذلك كله حدثاً وملياً، نحن لو نعيش هناك  
إلى الأبد، كانت - بالنسبة لنا - مجرد فترة استراحة، ولذلك أعددت  
نفسى للالتزام بتعليمات الطبيب والاحتكام بخبراني. وقد وجدنا - أنا  
وحوانا - في ذلك متعة عظيمة.

تذكرت تعليمات طبي ماركوس بكث في الاستمتاع بالفضائع  
المحلية، وإن كنت لم أحسن كيف تستعمل لتلك الفضائح إلى  
ميامي. ولكن الغريب في الأمر أن الرسالة - عندما وصلتنا - سلنا  
أكثر من أي شيء آخر. أذكر أنها وصلت وقت الإفطار. لتبها  
بتكاسلي كما يفعل ثمره حين يمر الوقت بطيئاً فيسد لذة في إطالة  
كل حدث إلى أبعد مدى له. وحدثها رسالة محلية تحمل عنواناً  
مطبوعاً على الألة المطبعة، ففتحتها قبل الرسالتين اللتين كانتا  
نحملان أحتما بريد لندن، وكانت إحداهما لا تؤثر غير مهمة والثانية  
من أحد أذاريي المصحين.

كانت الرسالة مشككة من كلمات وحروف مطبوعة تم قصها  
ثم إلصاقها على ورقة. نظرت إلى كلماتها بعض الوقت دون فهمها،  
ثم شققت. وقد عبرت الرسالة - التي استخدعت فيها عبارات بذيئة  
جداً - عن رأي كاتبها بأننا، أنا وحوانا، لسنا أشقاء.

كانت حوانا تعيس وهي تنظر إلى بعض الفواتير، فرفعت  
بصرها وقالت: ها، ماذا في الأمر؟ تبدو مضحوقاً تماماً.  
قلت: إنها رسالة مغلفة من التوقيع وقطرة جداً.

كنت ما أزال أعاني من الصدمة، إذ لم يكن للمرء أن يتوقع مثل  
هذه الأمور في لايمستوك الهادئة.

أظهرت حوانا اهتماماً شديداً على الفور: حقاً! ماذا تقول؟  
كنت قد لاحظت في الزيارات أن الرسائل المغلفة من التوقيع،  
والتي تكون ذات طبيعة سيئة معززة، يتم تحجب عرضها على النساء

قدر الإمكان. ويعني هذا ضمناً ضرورة حماية النساء - مهما كلف الأمر - من الضيقة التي يمكن لثلاث الرسائل أن تركبها على أجهزتين العصبية الحساسة. وبوصفي القول أن عدم عرض الرسالة على حوانا لم يخطر ببال أي أستاذ فقد سلمتها لها على الفور، ولكنها رجعت على صيحة إيماني بصلابتها بعدم إظهارها لأي انفعال غير السرور

... يا لها من رسالة قلوة نطيفة! سمعت كثيراً عن الرسائل المبهولة، ولكني لم أزل واحدة من قلة أمر دائماً هكذا؟

- لا يمكنني أن أخبرك - إنها أول تجربة لي أنا الآخر.

بدأت جوانا بهذه ثم قالت: لا بأس عليك فستحصلين من المساحيق التي أعدها عن يدي وحبي يا حبيبي... أحسبهم يرون... حينئذ صرخوا أهلها!

- نعم. ومما يشجع على هذه النظرة أن نبيير كان رجلاً طويل القامة ذا بشرة داغية طويلاً يتأرجح في كتفه منظره المشرق زرقاء العينين وصغيرة الجسم، وأنا أشبهه بالثعلبية.

أومأت حوانا برأسها متأملة: نعم. نحن لا نشبهه أبداً. ليس من شأن أحد أن يظننا أعوين.

- هناك شعير له برنا كذلك بالتأكيد.

قالت حوانا إنها ترى هذا الأمر مستعجلاً جداً. أمسكت بالرسالة من طرفها وسألت عما سيفعله بها. قلت: أعتقد أن الإجراء الصحيح هو إلحاقها في النار بالشمعزات ثم تمت بتطبيق ذلك. فصغقت حوانا باستحسان قائلة: لقد فعلت ذلك بطريقة جميلة! كان يجب أن

تكون مثلاً من حسن حفظنا إذ النار ما زالت متقدة، أليس كذلك؟ واقتطعت قائلاً: من شأن سلة المهملات أن تكون حلاً أفضل درامية. كان يوسعي طبعاً إشعال النار فيها يعود ثواب ومراقبتها وهي تحترق ببطء.

... إن الأشياء لا تحترق عندما نريد أن تحترق، بل هي تطفئ. وربما نوجب عليك إشعال العديد من أعواد الثقاب.

نهضت: ذهبت صوب النافذة ثم التفتت بجدية وهي تعرف هذا وقالت: ترى من الذي كنها؟

لا يبدو محتملاً أن يكون هذا...

- نعم... أظن أننا لن نعرف.

سكنت لحظة ثم قالت: علينا أنكر في هذا الأمر فإني لا أراه... إنهم قد خلبت أنهم... إنهم قد أجونا هنا.

- إنهم كفلك... حقا مجرد شخص معنوه غير سوي.

- أظن ذلك إنه عمل بغيض... يثير الاشتزاز!

بعد أن رجعت إلى ضوء الشمس فكرت في كلامها فوجدتها معيبة فيه تماماً: كان عملاً قتلوا. لقد كره أحدهم مجيئنا إلى هنا... كره أحدهم ما تشع به حوانا من حمالة فني ناظر صيغة المندنية. أراد أحدهم الإيلاء. ربما كانت أفضل طريقة للتعامل مع هذا الأمر هي الضحك منه، ولكني شعرت في أعماقي بأنه لم يكن مضحكاً!

جاء الدكتور أوبن غرهيت ذلك الصباح. كان من دأبه أن يقوم بعمل كشف أسري شامل عليّ. وقد أحست أنني أحيت ذلك الطبيب. كان أسمر رمث الهيئة، ذا أسنوب عريض في الحركه، وكانت يدها ماهرتهن فاعمتين. أما كلامه فكان مترجماً منقطعاً عجولاً ببعض الشيء.

ألهني أن صحتي تتقدم بشكل متعرج، ثم أضاف: يجب أن تكون علي ما برام. أليس كذلك؟ هل أنا متوجه أم أنك حقاً معك المزاج هذا الصباح؟

كلا. وصلني رسالة شديدة البلاء مغلطة من فتوحيه مع فهوة الصباح. وقد تركت شيئاً من المرأة في في.

ألقى حقيقته علي الأرض، واقفل وجهه الأسمر التحجّل وهو يقول: هل تريد القول إنك تلتقيت أنت أيضاً واحدة منها؟

أثار ذلك اهتمامي بقلت: فقد انتشر الكثير منها إذن؟

- نعم، منذ بعض الوقت.

- فهمت... كان انطباعي أن كوننا غرباء هنا لا يلتقي ترحيباً.

كلا، ليس لهذا علاقة بالأمر. إنه مجرد...

سكت قليلاً ثم سأل: ماذا كانت تقول؟

نم احمرّ وجهه وقال بارتياك: ربما ما كان لي أن أسألك؟

- معاصرك بكل سرور. كانت تقول إن القصة الرائعة التي أحضرتها هي ليست أنتي... ولا شكاء تقرّبي! وأنا مستخدم - هنا -

تجلاً متحمّاً مبدئياً، نم يرد في الرسالة.

احمرّ وجهه الأسمر غضباً وقال: تباً لهذا الأسلوب! أرحس ألا تكون أنتك قد تضايقت؟

- إن جوانا تدار رفيقة كالملاك، ولكنها نساء عصرية وحسنة إلى حد بعيد. وجدت الرسالة مسليّة جداً، فهي لم تصادف مثل هذه الأمور في حياتها من قبل!

قال غرهيت بحماسة: وكنت أمل ألا تصادفها.

قلت بصلافة: وعلى أية حال غرائبي أرى أن هذه هي أفضل طريقة للتعامل مع الأمر... التعامل معه باعتباره أمراً سخيفاً تماماً.

- نعم. إنما...

- بالذبط. المشكلة تكمن في "إنما" هذه!

- المشكلة أن مثل هذه الأشياء ما أن تبدأ حتى تتطور.

هذا ما أظنه.

بها حيلة مرصّبة بالطح.

لومحت موافقة ثم سألت: أليز نكرة عشت يقف خلاف ذلك؟

- كلا، ليشي أعترف. إذ حرثومة الرسائل المجهولة تنشأ عن أحد سببين. ليشي قد تكون محددة.. موجهة لشخص معين أو مجموعة من الأشخاص، وهذا يعني أنها ذات دافع، ويشعر صاحبها بصعيت أو ظلم (أو هكنا يظن) ويختار طريقة سرية مأكرة لتفنيها.

وهي طريقة مفرقة، ولكنها ليست -بالضرورة- ضرباً من  
الاعتناء، وفي هذه الحالة يسجل تتبع من كتبها... فتجد إما حائماً  
حرف من العمل أو امرأة غيرة... وهكذا، ولكن إن كانت عامة  
ولست محدودة فإنها تصبح أكثر حضوراً ترسم نواحي دول  
تعزيز، وهي تؤدي هنا بمثل من الشمس في إحداها كتبه وكما  
قلت: إن ذلك مرض به -رب- يبرود حمون، وفي نهاية الأمر  
تتعب الشخص الفاعل لتجد أنه ضاللة شخص أبعد ما يكون من  
الشكوك، وينتهي الأمر. لقد انتشرت مثل هذه الظاهرة بشكل فضع  
في الجانب الآخر من الإقليم العام الماضي... وتظهر في النهاية أنها  
رقصة قسم القبعات في مؤسسة كبيرة للملبوسات، كانت امرأة  
هادلة ومهذبة... وكانت تعمل في المؤسسة منذ سنوات، وتذكر  
شيئاً مشابهاً حدث أثناء عملي في الشمال، ولكن ظهر أن ذلك كان  
ناشئاً عن حقد شخصي بحت. ومع ذلك، فقد رأيت أسوأ كتبها،  
وهي -بصراحة- عمل يخيئني!

- هل ترسل منذ زمن بعيد؟

- لا أظن ذلك. يصعب الحزم بالتحقيق، لأن من يلقون هذه  
الرسائل لا يهتجون للإعلان عنها، بل هم يلقون بها في ظنار.

سكنت قليلاً ثم قال: لقد كتبت أنا واحدة، وتلقى محامي  
ميجنتن واحدة، ومرضتان من مرضاي المساكين أخبراني عنها.

- أي كلها متشابهة؟

- نعم. إنه عرّف واضح على موضوع الحبس... هذه حادثة  
مشتركة فيها.

يسمى الطبيب ثم أضاف: رسالة ميجنتن انتهت بعلاقات غير  
شرعية مع الموظفة التي تعمل عنده... أي الأنسة غينش المسكنة،  
التي تجاوزت من الأربعين وتأسس نظارة، ولها أمانات كاستان  
الأرنب. وقد أخذ ميجنتن الرسالة إلى الشرطة مباشرة، أما رسالتي  
فتعني بمحاكمة أعاقب المهنة مع مرضاي من النساء... كلها  
رسائل مخيفة وصيانية، لكنها رسائل حاكمة إلى حد مخيف.

تجهج وجهه وقال: ومع ذلك فأنا خائف؛ فهذه الأشياء قد  
تكون عثرة.

- أظن ذلك.

- رغم أنه تصرف سيئني منكف وبذي فإن إحدى هذه  
الرسائل متصيب هديها عاجلاً أم آجلاً. وعندما: الله - وحده - يعلم  
ماذا يحدث! إنني خائف أيضاً من تأثيرها على العقول البطيئة  
الشكافة غير المتعلمة، فإذا ما رأى هؤلاء شيئاً مكبراً فليتهم  
يعتقدون بصحته قد تظهر جميع أنواع التعقيدات.

فنت منارلاً: لقد كانت رسالة تدل على الأمانة، بل أظنها  
كنت -بالفعل- علي يد أمي.

قال أوبن: "أحقاً"، ثم ذهب.

عندما فكرت لاحقاً في كلمته تلك وحدتها تثير القلق.

• • •

وتحقيقاً من أن تشير إليها بشكل أكثر مباشرة. قلت لها إنني أصف لذلك، وأرجو أن تحسن حالتها عما قريب.

قالت بارتريدج: إن الفتاة تمتع بصحة ممتازة يا سيدي، إنها متساقطة في مشاعرها.

قلت بارتريدج: أوه!

أكملت بارتريدج: بسبب رسالة تلفتها... ففهمت أن الرسالة تعرض على.

وقد جعلني وجه بارتريدج المكفهر، ومما وضعته من تركيز على كلمة التبرع... جعلني ذلك كله أحسني أن يكون لذلك التبرع علاقة بي أنا، وحيث أنني لم أكن معنياً أبداً بتلك الفتاة يتبرع. إلى درجة تجعلني لا أعجزها إذا ما صادفتها في البناية... فبأنني أحسست بالزعاج طبعي مرور. إذ أن رجلاً مريضاً مثلي يهادن في منبه على عكازين لا يمكن أن يقوم بدور المخدع لفترات الطويلة. قلت غاضباً: أي حراء هذا!

قالت بارتريدج: هذا بالضبط ما قلته لوالدة الفتاة يا سيدي، منذ قلت لها: "لم تحدث أبداً أشياء من هذا النوع في هذا البيت، ولم تحدث أبداً ما دمت مسؤولة هنا". كما قلت لها: "كما يخص بارتريدج، فإن الفتيات مختلفات هذه الأيام، وبالنسبة لما يدور في أذهان الآخرين فلا أستطيع أن أقول شيئاً". ولكن الحديقة يا سيدي إن صديق يتبرع الذي يخرج معه ويعمل في المرائب قد تلقى واحدة من هذه الرسائل البيضاء أيضاً، وهو لا يتصرف بعقلانية أبداً.

قلت غاضباً: لم أسمع في حياتي أصحف من هذا الأمر أبداً!

## الفصل الثاني

لم أزعج أن وصول رسالتنا المتفطنة لم يشرك أماً شيئاً عسى. فالواقع أنها فعلت، ولكن -في الوقت ذاته- سرعان ما عاب الموضوع عن ذهني، ذلك أنني لم أعذ الرسالة -في ذلك الوقت- على محمل الجد. إذ ذكر أنني كنت أحدث نفسي وأقول إن هذه الأمور ربما تحدث كثيراً في القرى النائية. ربما كانت تقف خلف هذا الأمر امرأة هسرية التزعة تبذل إلى جعل نفسها موضوعاً مثيراً. وعلى أية حال فإن كانت الرسائل بمثل تلك الصيانية والسخف كذلك التي تلقيناها فإنها لا يمكن أن تؤدي كثيراً.

وقعت الحادثة التالية -إن مسح التعبير- بعد حوالي أسبوع عندما أبلغتني بارتريدج وهي ترم شفتيها بأن يتبرع في الخادعة أنني تأتي للمساعدة نهائياً في ثاني في ذلك اليوم.

قالت بارتريدج: لقد فهمت يا سيدي أن الفتاة متساقطة.

لم أكن متأكدًا مما كانت بارتريدج تلمح إليه، ولكنني ظننت، معطفاً، أن في الأمر ألاماً معوية كانت بارتريدج أكثر رقة

- أرى يا سيدي أن من الأفضل أن شخصاً منها. رأي أنها ما  
كانت لتظهر كل هذا الضيق لو لم يوجد شيء لم توجد له أن تُكسر.  
لا دهان بلا نار... هنا ما أقوله!

ولم أكن أعرف كم ستعني تلك العبارة المحفدة.

\*\*\*

كنت قد فرت في ذلك الصباح أن أمشي نزولاً إلى القرية من  
باب المعامرة (وكنّا ألبا وحوانا سيجها القرية رغم أننا كنا محطّين  
من الناحية المالية وكان من شأن أهل لايمستوك أن ينزعحوا لو  
سمعونا نقول ذلك).

كانت الشمس مشرقة والهواء بارداً ومعتباً فيه حلالة هريج.  
ركبت عكازي وانطلقت. وأحياناً بقوة لسماع لحواسي لرافتي.  
قائلاً: لا، لن أأخذ معي ملاكاً يرعاني ويتعاقب بحامي ويسمعي  
كلمات الشجع. تذكرني العطل القائل إن من يصغر وحيداً يسر  
بشكل أسرع، وأنا لذي الكثير من الأعمال سأذهب إلى عشرين  
في مكتب غالريث وسينفتح للمحاماة لأوقع على تحويل الأمر،  
وسوف أذهب إلى العطار وأشكو له من رفيف الزبيب، وسوف  
أعيد الكتاب الذي استعزاه. كما أن علي الذهاب إلى المصرف  
أيضاً، الركني أذهب إليها المرأة في الصباح قصير جداً.

كان التريب يقضي بأن نمر بي حوانا وشأخني في سيارة  
وتعديني عتصما تحبس ساعة الفداء. قالت: هذا سيطلق محلاً  
لفضاء النهار مع الجميع في لايمستوك.

- ليس عندي شك بأنني سأكون قد رأيت كل من يستحق  
الرؤية حتى ذلك الوقت: ذلك أن الصباح في الشارع العام للبلدة  
يكون ملئاً للمتسوقين حيث يتم تبادل الأخبار.

ومع ذلك لم أذهب إلى البلدة شيئاً دون مرافق، فما أن مرت  
مسافة عتفي متر حتى سمعت جرس دراجة هوائية ورأيت، ثم صوت  
الكواكب، ثم صوت ميفار حتر وقد كادت تقع عن دراجتها عند  
قدي. قالت لأخوتي وهي تهتف وتنفذ الغار عن ملاسها: مرحباً.

كنت أحب ميفان وأتشر دوماً بأعف غرب عليها. كانت ابنة  
وريحة سينفن المحامي، أي ابنة السيدة سينفن من زواجها  
الأول. لم يكن أحد يتحدث كثيراً عن السيد (أو المكنين) هنتر، وقد  
هممت بأن الرأي السائد هو أن من الأفضل نسيانه إذ يقال إنه كان  
بحسن السيدة سينفن معاملة سيئة جداً. وقد اقتصروا بالطلاق بعد  
سنة أو سنتين من زواجهما تقريباً. كانت امرأة تمتلك آمراً خاصة  
به. وقد استقرت مع ابنتها الصغيرة في لايمستوك "لكي تنسى"، ثم  
تزوجت في النهاية الأعزب الوحيد الموهل في القرية، ويشارد  
سينفن. وقد نتج عن الزواج العديد ولدان تلقى بهما أبوهما أمماً  
عزلاً، وأتصور أن ميفان كانت تشعر أحياناً بأنها الشخص المختلف  
في البيت. ومن المؤكد أنها لم تكن تشبه والدتها التي كانت امرأة  
معبرة الجسم شاحبة ذات نوع من الجمال الباهتة، وكانت تتكلم  
بعوض رفيع حزين عن مشاكل العدم وعن صحتها.

أما ميفان فكانت ذاة طويلة القامة مهلهلة الشكل، ورغم أنها  
في العشرين من عمرها إلا أنها تبدو أشبه بتلميذة مفرسة في السادسة  
عشرة. كان شعرها دياً غير مرتب، وعيناها عسيتين عطرأوين،



وكانت ذات وجه رفيع ثمرز عظامه، وإتساع جانبية جميلة إلى حين  
غير متوقع. وهي عادة ما ترتدي ملابس باهضة الألوان غير حديثة،  
وجوارب فضلية ماعمة تملؤها النقوب. وقد رأيتها ذلك الصباح أنه  
بالحفاظ منها بالإسكان، والحقيقة أنه كان ممكناً -سالفيل من  
التشذيب والمناقة- أن تكون فرساً جميلة.

تكلست، كما دائماً بالناداع لاهت: كسب في الموزعة... مزرعة  
لاثر، لأرى إل كان عندهم بعض بط. إن لديهم الكثير من الحروف  
الصغيرة الجميلة! هل نحب الحرف؟ أنا أحب حني رحتهم. حسناً  
أنت ذهبي إلى بسطة غريبة؟ أليس تمشي وحيداً فحسب أن أقف  
وأصبر معك، إلا أن وقتي حبيب محله؟

- لقد موقت حوريت.

بفترت ميفان إلى سافها تسمى بشيء من الحزن وقالت: نعم.  
ولكن كان بها ثقبان من قش. ونشكده به بيم زهر كثير.

- ألا تقومين بإصلاح حواريك أهداً يا ميفان؟

- إلى حد ما... عندما نكتشف والذي نمرى. ولكنها لا تلاحظ  
كثيراً ما أنفله، وهذا من حسن حظي نوعاً ما، كيئ كذلك؟

- يبدو أنك لا تدرين أنك تائهة فاضحة.

- أتعي أنني بحب أن أكون مثل أحبتك... مثانة؟

كرهت. إلى حد ما -وصف جواتها بهذا الوصف، ولكي قلت  
إنها تبدو نظيفة ومرفقة تسر السائل إليها.

- إنها جميلة جداً. ولكنها لا تشبهك أبداً، لماذا؟

- الأخوة والأخوات لا يتشابهون دائماً.

- نعم، بالطبع. إلني لا أشبه براهان أو كوليس كثيراً... كما أن  
براهان وكوليس لا يشبه أحدهما الآخر.

سكنت قليلاً ثم قالت: أليس هذا غريباً؟

- ما هو الغريب؟

- أنت جيد -حفظت لغاتك.

- قمت مأدبة. أص قلت

نشرت بعد بياور هي ذهبا بانخبط. ثم ميفان في صمت  
بعض الوقت حتى أن قمت ميعان بصوت يرفه نيرة حجل: أنت، طيار،  
ليس كذلك؟

- نعم.

- وعلى هذا هو السبب في إصابتك؟

- نعم، تحطمت عظامي.

- لا أحد هنا يطير.

- لا، لا أفطن ذلك. هل تحيين الطيران يا ميفان؟

بقت متعشة وقالت: أنا؟ يا إلهي! كلا... ربما أصابني ذلك  
بشيء أصاب بالديوار حتى في القططار!

سكنت، ثم سألتني بتلك المباشرة التي لا يظهرها عادة سوى الطفل: هل مستعالي تماماً وتعود للطيراد من جديد أم أنت متقي عاخر إلى الأبد؟

- يقول طيبي إنني سأكون على ما يرام.

- نعم، ولكن هل هو من النوع الذي يكتف؟

- لا أظن ذلك، بل إنني واثق من هذا في الواقع، وأنا أثق فيه.

- إذن لا بأس بهذا... ولكن كثيراً من الناس يكتفون

قبل هذه الحقيقة - التي لا يمكن إنكارها - بعص.

قالت ميفان وكأنها تصدر حكماً محابداً: بمعني قلق.

كنت أعتني أن يكون السبب فيما يقع عليك من روح سيء أنك ستكون متعباً دوماً... ولكن إن كان ذلك مجرد طبع فالأمر مختلف.

قلت يروود: لست سيء المزاج.

- أنت إذن سريع الغضب.

ألا أغضب لأنني أستعمل استرداد لياقتي من جديد... وهذه الأمور لا يمكن استعمالها.

- فليم - إذن - القلق والاحتجاج؟

بدأت بالصمت، ثم قلت: يا عزيزي، ألا تستعملين حموت أبة أمورا؟

فكرت ميفان في السؤال ثم قالت: كلا، ولماذا أستعمل؟ لا شيء يدعو للمخلة فلا يحدث شيء أبداً.

لثمت انشائي شيء كيب يائس في كلماتها غلت بلطف: ماذا تعلمين بنفسك هنا؟

رفعت كتبها غير مبالية وقالت: وماذا لدي لأفعل؟

- أليس لديك أبة هوايات؟ هل تمارسين ألعاباً معينة؟ هل لديك أصدقاء هنا؟

- أنا عاشلة في الألعاب؛ كما أنني لا أحبها كثيراً. أما الفتيات في هذه البلدة قليلات، وأنا لا أحبهن. كما أنني يرووني فظومة.

- هراء... لماذا يروونك كذلك؟

هزت ميفان رأسها، فسألتها: ألم تذهبي إلى المدرسة؟

- نعم، وعدت منها قبل عام.

- هل أحببت المدرسة؟

- لم تكن سيئة... مع أنهم يطمعون المعرة الأشياء بطرفة مستغلة جداً.

- ماذا تعنين؟

- أعني... مجرد نصف صغيرة من هنا وهناك، يحترقون ويملكون من موضوع لآخر. كانت مدرسة رخيصة، كما أن المدرسين لم يكونوا جيدين؛ لم يكن يوصفهم الإحابة عن الأسئلة بطريقة صحيحة.

- القليل جداً من المدرسين يستطيعون ذلك.

- ولماذا لا يستطيعون؟ هذا واضح.

وافتهى، فقالت: إنني غبية بالطبع، والكثير من المواد تبدو لي  
ثافهة. التاريخ على سبيل المثال... إنه يختلف باختلاف المراجع!

- هذا ممكن المتعة فيه.

- والقواعد، والإنشاء الصحيح، وكل هذه الحماقات التي  
كتبها شيلي وهو يلغو بكل ذلك الكلام عن تُسرة، وذلك الآخر  
وردمورث الذي شعب عقله على بعض أزهار النرجس السخيفة،  
وشكسبير...

سألته باهتمام: ما المريب في شكسبير؟

- إنه يعصر نفسه ليقول أموراً بأسلوب صعب بحيث لا تفهم  
ما يعنيه. ومع ذلك فإنني أحب بعض ما كتبه شكسبير.

- أنا وأنتى أن من شأنه أن يتر لو علم بذلك.

لم تشك ميغان بوجود أية سخوية في عبارتي، وقالت وقد  
أضرق وجهها: أحب على سبيل المثال شخصيتي جونيريل وديفاند.

- لماذا هاتان بالذات؟

- أو، لا أعرف. يوماً فُتحتان إلى حد ما، لماذا نفضهما

كذلك؟

- كذلك ماذا؟

- كما كانا أقصد أن شيئاً قد جعلهما هكذا دون شك.

وتعصبت لأول مرة. كنت قد نقيت - دائماً - ابنتي الملك لير  
الكيرفين باعتبارهما امرأتين مريضتين بلا تفكير، ولكن حوال ميغان  
عن السبب آثار اهتمامي. فقلت لها: سأذكر في هذا الأمر.

- إنه لا يهم... كنت أَسْأَل فقط، على أية حال فإنني الأدب  
الكبرى فقط، اليس كذلك؟

نعماً، نعماً! أنتى نحكي أية عادة أخرى؟

- الرياضيات فقط.

فمت منهتة الرياضيات؟

أشرف وجه ميغان وقالت: لقد أُجِبت الرياضيات، ولكنها لم  
تُترس بشكل جيد. كان يودي لو أنعم الرياضيات بطريقة جيدة...  
إنها رائعة، على أية حال فإنني اعتقد بوجود شيء رائع في الأرقام،  
ليس كذلك؟

قلت صادقاً: لم أشعر بمثل هذا أبداً.

كما ندرت الآن الشارخ العام في البلدة. قالت ميغان وحده: ها  
هي الآتية غريفيث... امرأة بغيضة.

- ألا تحبها؟

- بل أنا أفتها، فهي تلافتني دائماً كي أنضم إلى جماعتها  
من نيات الكشافة للكريبات، وأنا أكره نيات الكشافة. لماذا يلبسن

زهرن الخاص ويخرجن في مجموعات ويضعن الشارات من أجل شيء لم يتعلمن عمله بطريقة صحيحة؟ أفلهن أمراً تافهاً.

كنت أميل إجمالاً للاتفاق مع ميغان ولكن الأنسة غريفيث نزلت علينا قبل أن أتمكن من التعبير عن موافقتي لذلك.

كان لأحدث الطبيب "وتدعي إلي" من الثقة المولودة معها ما لا يملكه شقيقها، وكانت وسامتها من النوع الرجولي الذي سقته الشمس والأنواء، ولها سموت عجيب محبب، صاحبت بنا: مرحباً أنتما اللئيم. أليس هذا صباحاً رائعاً؟ أنت هذا مبعث الإعجاب التي أردت رؤيتها؟ أريد مساعدتك في غثونة الرسائل إلى جمعية المحافظين.

نعمت ميغان بعبارة مراوغة، ثم أسلمت فراحتها على حافة الطريق ودخلت "المحازن الدولية" بطريقة مقصودة.

قالت الأنسة غريفيث وهي تنظر إليهما: طفلة غريبة... كومة عظام كسولة تقضي وقتها بتسكع هنا وهناك... لا بد أنها محنة كبيرة للسيدة سينغتن الممكينة، أعرف أن والدها حاولت أكثر من مرة أن تحملها على قلع منة ما... الطباخة بالاختزال أو نضع أو تربية الأراب. إنها بحاجة لاهتمام في الحياة.

أحسنت أن ذلك ربما كان صحيحاً، ولكني شعرت بأني لو كنت مكان ميغان - لدارست نحوه، أي اقتراح الأنسة غريفيث بسبب بسيط هو أن شخصيتها العدوانية من شأنها أن تذهي الأرمين.

أكملت الأنسة غريفيث: أنا لا أحب الكسل، وخاصة ندى

وهمام وميغان ليست بتلك القناعة العمولة أو الحذابة، بل إنني لأظنها معنوه هي بعض الأحيان... إنها حبة أمل كبيرة لأميها. ثم عنفت صوته قليلاً وقالت: كان أبوها بالتأكيد رجلاً سيئ، السلوك أعنى أن نرت الفتاة صفاته، وهو أمر مؤلم لأميها. على أية حال... إن عمران الدنيا يتطلب وجود مختلف أصناف البشر، فهذا ما أتوقعه.

أحبها. وذلك من حسن الحظ.

ضحكت إلي غريفيث بمرح وقالت: نعم، ما كنا لنفلح لو خلقنا جميعاً من نمط واحد. ولكني لا أحب رؤية أحد لا يأخذ كل ما يمكنه من هذه الحياة. أنا - شخصياً - أستمتع بحياتي، وأريد لكل مرء أن يستمتع بها أيضاً. يقول لي الناس إني أشعر - دون حش - بالملل القاتل من الحياة في الريف طيلة العام، وأحبهم بأن كنت غير صحيح إطلاقاً فأنا مشغولة دائماً وسعيدة دائماً هناك دائماً أمور تجري في الريف. إن وقتي مُستنفذ كله، بسبب الكشافة وعمهد والحدان المتعددة، فأهيك عن العناية بأني أوبن.

في تلك اللحظة رأت الأنسة غريفيث إحدى صاحباتها علي لعبت الأستر من الطريق فذاعتها محبة ثم ذهبت إليها وتركنتي حراً لتعاند طريقي إلى المصروف.

كنت أرى في الأنسة غريفيث شخصية ذات تأثير طالح لا يترك للمرء مُشعراً، رغم أنني كنت معجباً بنشاطها وحيويتها. وكان أمراً محيلاً أن نرى عليها علامات الرضى المتتهيج بحظها في الحياة، فذلك الرضى الذي كانت تبديه دائماً على النقيض تماماً من

نتمت الشكوى الخافتة التي تطلقها كثير من النساء.

بعدما أنهت عملي في المصروف بشكل مرحي ذهبت إلى مكتب محاماة عالبرت وسميتش، لا أعرف إن كان أحد من عائلة عالبرت باقي على قيد الحياة أم لا، فإن لم أجد منهم أحداً أرسلتوني إلى مكتب ريتشارد سميتش الذي كان فيه من القدم ما يوحى بمكتب محاماة عريق، وقد جعل بالعديد من حرائر الوثائق الكثيرة التي كتبت عن ملابستها أسماء مثل شيدتي هيرب، السيد إيفارد كارو، المرحل ولاد هيرب... الخ. وكان شك كنته بعقلي أنحو المخطوبات المصغر عن عائلات تريف الإقصائية وعن مكتب محاماة عريق مستقر.

وعندما تفحصت السيد سميتش وهو مكتب على ثلاثين ألفي أحضرتها له أدركت أن السيدة سميتش - إن كانت قد لاقى مصيبة في زواجها الأول - فإنها قد أخذت الاختيار بال تأكيد في زواجها الثاني. كان ريتشارد سميتش مثلاً للاحتراء الرزين، من ذلك النوع من الرجال الذين لا يسيبون زوجاتهم لحظة واحدة من نقل. كان ذا عني طويل وحنجرة بارزة وجه شاحب وأصعب فصوص ربيع. ما من شك أنه كان رجلاً صالحاً وأباً حيداً. ولكنه لم يكن ممن يجهلون النقصات لتلاحق محتون.

وسرعان ما بدأ السيد سميتش حديثه. كان يتكلم ببطء ووضوح مظهره الكثير من الفهم والهدوء. سوية المسألة التي كانت أعانها وبهتت لمعادرة وأنا أقبل. لقد تمثيت عبرة ثم مع انه ووجدت بدأ السيد سميتش لأول وهلة وكأنه لا يعرف من هي ابنة

روحته، ثم شبه وخاب أوه. نعم. بالطبع، ميفان. لقد... لقد عادت من مدرستك وقد قرأت. إما تفكر في البحث عن شيء تعمله... نعم، نعمه ولكنك لا تزال صغيرة جداً بالطبع. كما أنها متخللة بالنسبة لغيره. هكذا يقولون نعم، هكذا أصروني.

هذه هي ميفان، وهي المكتب الجارحي رأيت رجلاً غامضاً في نفس مجلس عمي كرمي ومكتب بطفه وجهه، بالإضافة إلى ولد صغير مثني، حاد، و امرأة في أوسط عمرها حياء الشعر نلسن بهارو. و كنت تصعب على الآلة الكاتبة بسرعة. ونحن كانت هذه هي الأسرة عيش عيشي أفتق مع أوبن غريميت بأن وجود غريميت بينهما وبين نفسها مسألة بعد ما تكون عن الاحتمال.

ذهبت من الجار وأوليت بالانفاد التي المتعلقة برعيف الزبيب. وقد تقى الجار تقادي بما تقتضيه المناسبة من عبارات الاستهجان وعده لتفسيق. ثم دفع إلي ترعيف ريسب جديد بدلاً منه "حرج ثوب من القطن... وقد أثبت سخونة الترعيف اللادغة على صدرتي صحة كلامه

خرجت من المحرر ونصرت إلى جاسي الطرمش أملاً وإبنة هو - فادعة تشاربوه فقد أتتني المشي كثيران وكان من العزلة نساء عيشي هي عيشي مع نديم أسر العكارين ورعيف الزبيب... ولكن لم يكن من أثر لحدوثها بعد. وهدأة تسمرت عياني دهشة؛ فقد كنت تهادي في ترصيص النجاهي وفاة كالملاك. لا توجد حقاً. كما أنه في بعدها للعلاج الكافية، والشعر الذهبي المصوج، المحسن لصديق النضاضة وكانت عيشي الهويني كالمولوك كأنها

تسبح مغتربة مي أكثر وأكثر، فتارة رافعة، متألقة، تأمر الأبواب!

وفي غمرة انفعالي العارم كان لا بد لشيء مما أن يقع، وكنا  
رغيف الزبيب هو الذي وقع، فقد انزلت من قبضتي، وانجيت لأحد  
فوقعت عباي التي طافقت على الرصيف. وانزلت أنا وكنت أفع  
على الأرض. وكانت يد العدة القوية هي التي أمسكت بي وبثبتي.  
وقد بدأت أبتعد: شكرًا لك كثيرًا، إنني أسعد... أسعد جدًا.

أعدت رغيف الزبيب عبر الأرض وأعطيته مع ليكاز. ثم  
انصرفت سلفاً وقالت: لا شكر على واجب. على الزبيب بجمع.

وبلّغني السحر فتدأبت أحوال الصوت بدلت أوصفي: فقد خست  
الصورة الساحرة إلى مجرد فتاة لطيفة مشوقة للقوام. لا أكثر.

بدأت أذكر فيما كان يحدث لو أن سفة مع بعض سرور  
نفس تلك السراويل السارفة. كما هو غريب أن تستطيع فتاة زارة  
روحك من الأعماق فلعلها هي صامتة، وإن بلاشيء كل ذلك السحر  
كانه لم يكن في اللحظة التي تكلم بها. ومع ذلك فإني أعلم أن  
العكس يحدث أيضاً؛ فقد رأيت امرأة قبيحة المنظر ما كان أحد  
ينظر إليها مرتين؛ ثم فتحت فمها فتحدثت فإذا بها تتدفق سيرة  
وسحراً فحاة وكان كلوا يتراقد نعت من حديث.

وصلت جواتنا وأوقلت السيارة بحائتي عند الرصيف دون أن  
ألاحظ وصولها. سألتني إن كان في الأمر شيء، فقلت وأنا أبتعد  
نفسى: لا شيء، كنت أفكر بهيئتي طرودة وغيرها.

باله من مكان غريب تفكر فيه بذلك! كنت أبدو غريباً جدّاً.

وبت لفتت هنا معصكاً برغيف الزبيب فأغترأ فمك على انصاعه.

لقد تعرضت لصدمة. فقد روعت لبرهة في طرودة ثم عدت  
تأنيلاً فبدأت أشر إلى تلك الفتاة التي كانت تعمي متعده:  
تعمي من النور... ههه.

قالت جواتنا وهي تنظر إلى الفتاة إنها مربية أطفال مسحفتين،  
تسألني أهله هي التي أربكك على هذا النحو؟ إنها جميلة  
أكثر فتاة صغيرة.

أعرف أنها مجرد فتاة لطيفة، وأنا شادي كنت أرى فيها  
أمر جيد.

فتحت جواتنا باباً للفتاة قدعنها. قالت: اليس هذا غريباً؟  
تري بعض فتى في غاية الجمال، كوني أن تكون لديهم أمة جاذبة،  
وهذه فتاة من هذا النوع، وهو ما يبدو أمراً مؤسفاً.

قلت: إن كانت مربية أطفال غريباً كان ذلك أفضل لها.

• • •



إنك توافقيني... أنا متأكد أنك توافقيني على أن الحمال هو الشيء الوحيد الذي يستحق أن يحيا المرأة من أجله.

قالت جوانا وقد وقعت تحت التأثير المغناطيسي لحدثه: نعم، نعم، هذا صحيح.

- إذن لماذا يحبط الناس أنفسهم بالشيء؟

قالت جوانا إن ذلك غريب جداً.

- غريب؟ إنه جريمة! حكماً أصحبه... جريمة! وبها للأغنياء التي يقدمونها! يقولون إن الشيء القلبي موحج، أو إنه غريب الشكل. غريب الشكل! يا له من وصف بطني.

ثم أكمل السيد باي: ذلك البيت الذي استأجرته، بيت لآسة إميل، باوتن... إنه بيت ساحر، ولديها بعض القطع الجميلة، محبة للغاية، وبعضها من الدرجة الأولى. وهي بحاجة ذوق أيضاً... رغب أنني لست واثقاً تماماً الآن من ذلك كما كنت في الماضي. أتصور أحياناً بأن ذوقها لا يعلو أن يكون مجرد عواطف ماذجة. إنها تحب إبقاء الأشياء في مكانها، ولكن ليس بسبب دافع جيد. ليس بسبب الانسجام الناتج عن ذلك، بل لأن أمها كانت تضعها هكذا.

ثم حول انتباهه نحوّي وقد تغير صوته... تغير من صوت الفنان الغارق في فنه، إلى صوت ثمار نضج بالقفولة.

- أنت لم تعرف العائلة إطلاقاً، أليس كذلك؟... نعم تعرفها، نعم، استأجرته من خلال وكلاء البيت. ولكن، أيها العزيز، كان يجب أن تعرفوا تلك العائلة! عندما جئت إلى هذه البلدة كانت

بأم العجوز على قيد الحياة. كانت امرأة لا تصحى... نفلعة تماماً! كانت وحشة، وحشة أكيدة. وحنناً من العهد الفيلكوري القديم تلهم معها، بعد، إلى هذا العهد، وجلست غرائها. كانت ذات جسم من. ولا ريب أنها كانت تزن أكثر من مئة وعشرين كيلو غراماً، وبنيت بناتها الخمس يدون حولها جميعاً، "البنيات"... هكذا كانت. دائماً اسمهن البنات! مع أن أكبرهن منّا كانت تتجاوز منى من عمرها مني ذلت نيت. كانت تقول عنهن أحياناً: "هؤلاء البنات اللذيات"، كن كالإمام لسوداوات بنهن وبعضهم ويحلم. وبالفنهما الرأي، وعندما تجن الساعة العاشرة عيبر الذهاب إلى النوم، ولم تكن تسمح لهن بإشغال نوار الشفافة من غرفة نومهن. أما بالنسبة لدعوة صديقاتهن إلى البيت فذلك ما لم يكن ممكناً أبداً! كانت ترفضهن بسبب عدم زواجهن، ومع ذلك كانت تتركهن بشكل يصعب من المستحيل معهن أن يلتقي بأحد. وأيضاً، لم يسمي - أو ربما كانت الأخيرة أغنيى - قد أقامت علاقة شاعية في وقت ما، ولكن والدتها أنهت تلك العلاقة!

قالت جوانا: نعم، نعم، أشبه بالروايات.

- نعم يا عزيزتي، كانت فعلاً كذلك. ثم ماتت المرأة العجوز لاحقاً، ولكن الوقت كان قد صارت كثيراً وقتها، فقد وصلن حينئذ هناك ومضين في أحاديثهن العفانية عما كانت أمهن المسكينة ستسا في كل شأن، بل إنهن شعرن بأن وضع ورق حذرات حديد من غرفتها سيكون انتهاكاً لقدسية ذكراها. ومع ذلك فهن يستمتعن في المجتمع الصغير هنا بطريقة هادئة، ولكن أيا منهن لم تكن ذات خبرة على الاستعمال. ولذلك توفين واحدة بعد الأخرى... ماتت



ليدبث من الأفق لزوا، وميتي أحترت عملية لم تنفج منها، والمسكنة  
مايل أصيبت بالسكنة، وكانت إميلي تقوم على رعايتها وتسهو عيها  
بكل تفان. والحق أن إميلي المسكنة لم تكرر تفعل شيئاً حرام  
السنوات العشر الأخيرة سوى رعاية المريضات من أخواتها، إنها  
مخلوقة رالحة، أليس كذلك؟ أشبه بقطعة حيلة من الخربل نعيسى  
الرفيقي، من المحزن جداً أن نعرض لمشاعب هالكة... ولكن جميع  
الاستفسارات قد انخفضت قيمتها في البلاد.

قالت جوانا: إننا شعر بشيء من الحرج لوجودنا في بيتها.

- كلا، كلا يا عزيزتي... يجب ألا تشعرني بمثل ذلك، إن  
خادماتها فلورنس الطيبة مخلصه لها وقد أخبرني نفسها كم هي  
سعيدة بوجود مستأجرين لطفاء مثلكم.

وهنا اتحى السيد باي اتحناية صغيرة وأضاف: أخبرني بشئ  
السيدة ترى نفسها محظوظة جداً.

قلت: البيت ذو جو مهدئ يوحى بالعلمانية.

نظر السيد باي إلي نظرة سريعة وقال: حفا؟ أشعر مهد؟ عند  
مثير للاهتمام. لقد كنت أتساءل... بهم، كنت أتساءل.

سألت جوانا: ماذا تعني يا سيد باي؟

يسأل السيد باي يديه المختلبي. وقال: لا شيء... لا شيء.  
إن السر هنا، وهذا كل ما هي الأمر. أليس يؤسف جداً بمسألة  
الحج العام. إنها أفكار الناس ومشاعرهم، يُسقطونها على المحدثين  
والأثبات.

لم تكلم لبعض الوقت. كنت أنظر حولي وأتساءل كيف يمكنني  
وصف جو برايو لودج. هذا في أد الشيء الغريب هو اقتضار هذا  
بيت لأي جو خاص به! وكان ذلك أمراً ملتناً للنظر. فكرت في  
هذه النقطة طويلاً بحيث لم أسمع شيئاً من الحديث الذي كان دائراً  
بين جوانا وعصيفها، ومع ذلك فقد نهبت إلى نفسي عندما سمعتنا  
جوانا وهي تتفلق بمقدمات الوداع، فخرجت من أحلامي وأدليت  
بشيء من عبارات الوداع.

خرجنا إلى الصلاة جميعاً. وبينما نحن نتجه إلى الباب الأمامي  
حاورت رسالة من خلال فتحة الرسائل في الباب ووقعت على  
الحداد.

نتم السيد باي وهو يرفعها: يريد العصر... لا بد أن تأتيا ثانية  
لزيارتي. أليس كذلك؟ إنه لمن الممتع أن تلقى أناساً ذوي عقول  
متفتحة... أقصد أناساً يقدرون الفن. إن الأهالي الطيبين هنا متخلفون  
عن الآخرين بمقدار خمسين عاماً. يا لانتكثرا من بلد رائيم! إن بها  
جوهراً. ولاستوك واحدة من هذه الجيوب. وهي مثيرة للاهتمام  
من وجهة نظر جامعي الآثار... أشعر دائماً أنني وضعت نفسي  
مختاراً في عزلة تامة هنا. إنه المكان الهادئ المنعزل الذي لا  
يحدث فيه شيء أبداً.

بعد أن صامنا للمرة الثانية ساعدني في ركوب السيارة بعناية  
سبح بها، وتولت جوانا القيادة. حركت السيارة بحذر لتستدير  
محاوزة منطقة عشبية متحجرة، فلما نم لها ذلك وأصبح الطريق  
مستقيماً أماناً رفعت يدها لودع مضيفا الذي كان واقفاً عند عنات  
فصت. وملت أنا إلى الأمام لأفعل الشيء ذاته.

لكن فلويحاثنا الوعائية ذهبت دون أن يلتفت إليها. كان شيبه  
بأي قد فتح رسالته، وكان يقف محققاً بالورقة المفتوحة في يده  
لفد وصفته جوانا ذات مرة بأنه أشبه بطفل مريضه مسن متور  
الوجه. وكان ما يزال سميناً في هذه اللحظة، ولكنه لم يعد يبدو  
طفلاً متور الوجه. كان وجهه محتقناً بلون غامق وقد تلوّثت قسديت  
من القصب والملاحاة.

وفي تلك اللحظة أدركت أنني قد رأيت شيئاً مألوفاً في غرف  
الرسالة، ولم أكن قد أدركت ذلك عندما نظرت إليها في حين  
كان ذلك في الواقع واحداً من تلك الأشياء التي يلحظها «خبر»  
لا شعورياً دون أن يعرف أنه قد لاحظها.

قالت جوانا: يا إلهي، ما الذي أصاب ذلك المسكين المحمل؟  
قلت: أتصور أنها اليد الخفية مرة أخرى.

انفتحت إليّ خافضة فانهرفت بنا الميابة. قلت: احترق يا بنت.  
وكرمت جوانا انتباهها على الطريق مرة أخرى وقد عسى  
وجهها وقالت: أتمنى أنها رسالة كالتي تأتيتها؟  
- هذا تخميني.

- ما هذا المكان؟ إنه يبدو - في الظاهر - أكثر مشاعلياً من بيت  
الإنكليزي هادياً وبراءة وأماناً...

قاملتها: ولا يحدث فيه شيء أبداً، إذا ما استشهدنا بكلام لسيه  
بأي. لقد اختار وقتاً غير مناسب ليقول ذلك، فقد حدث شيء فعلاً.

- ولكن من يكسب هذه الأشياء يا حيري؟

رفعته كضئ حيرة وقلت: وكيف لي أن أعرف بما عزيزي؟  
حسب أحد مجابيل القرية أو متوهرها.

- ولكن لماذا؟ يبدو عملاً أحسن.

- يجب أن تفهمي للبرود وبيع وأتالهما حتى نعرفي... أو  
سأني الدكتور أوبن.

هزمت جوانا رأسها وقالت: الدكتور أوبن لا يعني.

- ولكنه لم يكد يراك.

- يبدو أنه رأى مني ما يكفي لحمله بعمر إلى الطرف الآخر  
من الشارع عندما رأيته في الشارع العام للبلدة.

قلت: متعاطفاً: إنه رد فعل غير طبيعي أبداً، وهو لم يح تفتاده.

كانت جوانا تبس ثائية: حقيقةً يا حيري، لماذا يكتب الناس  
رسائل مغلفة من التوقيق؟

- كما قلت، نتيجة من من جوتون. أظن أن هذا يشيع عند  
ناسها حاجة محبولة ملحقة فالمرء إذا أحسن بالإحباط أو بازدياد  
الاحترق له أو كمالهم إياه وكانت حياته رتيبة ولما رغبة فأظن أنه  
يحصل على إحساس بالقوة عندما يظن من الظلام أناساً سعداء  
يستمتعون بحياتهم.

ارتحمت جوانا وقالت: هذا ليس جميلاً.

- نعم، ليس حبيلاً. أتصور أن كثيراً من الناس في هذه المناطق  
الريفية تاج لزواج الأقارب، ولذلك ترون عدداً كبيراً من المعويهي  
- أحبه شعبياً غير مثقف أبداً، وعاشراً عن التعبير عن نفسه  
فلو كان شخصاً مثقلاً...

لم تكمل جوانا حديثها ولم أقل أنا شيئاً، فانا لم أستطيع أحد  
قبول الاعتقاد السهل القاتل إذ التعليم دواء لجميع الملل.

وعندما كنا سر في السيارة داخل البلدة قبل أن نصلد ضربت  
الثلة، نظرتُ بفضول إلى الأشخاص القليلين الذين كانوا يسرون في  
الشارع العام. أين كان أن تكون واحدة من هؤلاء ثم وابت غوييت  
تمشي وتنتقل وقد أحضت وراء مظهرها الهادئ حملاً من الحقد  
والضغينة، وتخطط ربما تفرح العزيز من الأحقاد المدمرة؟

ولكنني لم أكن - بعد - قد أخذت الأمر على محمل الجد.

• • •

بعد ذلك يومين ذهبت إلى تجمع للعب الورق في بيت سيمتغن.  
كان ذلك عصر يوم السبت، وكان من عادة عائلة سيمتغن إقامة  
تجمعات كهذه أيام السبت لأن مكبة كان يفتق في ذلك اليوم.

كانت توجد طاولة، وكان اللاعبون هم سيمتغن وزوجته  
وأنا وجوانا والآنسة غريفيث والسيد ماي والآنسة سارثي وكريستين  
بدعي أبلتون لم نلتق به من قبل كان يعيش في قرية تدعى كوميكر  
تبعد نحواً من سبعة أميال. كان نموذجاً مثالياً للولاء الأمسي

تعمل تحت الحاكم، في الستين من عمره تقريباً، وكان يحب لعب  
ما يسمى "اللعبة الحرة"، وهي نوع من لعبة البريدج العادية، وقد  
بعض جوانا اهتماماً حثيثاً لا يحول نظره عنها طيلة المساء.

وقد أحبرت على الاعتراض بأن אחشي ربما كانت أكثر  
معتات الفاني شوهة من في لاميستوك جاذبة منذ فترة طويلة.

عندما وصلنا كانت إليس هولاند، مربية الأطفال، تبحث عن  
هشمت اللب. في أرواح مكتب مزعوم، وقد تهافت في الغرفة وهي  
بحمد نفس تلك الطريقة الملتقة للأناظر التي رأيتها معها أول مرة،  
ولكن نظرتُ سحرها لم تعد تفعل. لاحظتُ الآن بوضوح شديد  
استنهم ~~سحرها~~ الكبيرة حيناً كشواهد القيور. والطريقة التي تعذر بها  
نحتها عندما حصلت. كانت - لسوء الحظ - مجرد فتاة توارثت أخرى!

- أفدت هي القيثارة التي تريدتها يا سيده سيمتغن؟ كنت  
غية جنياً ~~عندما لم أذكر أني~~ وضعتها آخر مرة... إنها غلطتي أنا.  
كنت أحملها في يدي ثم صاح ~~أولاً~~ بأن غاطرته قد توقفت، فصرحت  
مسرعة. وبسبب العديد من الاهتمامات لا بد أنني وضعتها في مكان  
ما دون التباه. إنها ليست القيثارات المطلوبة فهي ذات حواف صخرية.  
هل أصر أخيراً بأن نجهز الشاي الساعة الخامسة؟ سأعد الأكل  
في لونغ بارو حتى لا يبقى هنا أي ضيق.

فأنا لطيفة وذكية. رأيت جوانا تنظر إلي وهي تصحك. نظرتُ  
إليها بغير... كانت جوانا تعرف دائماً ما يحول بها طيري. نأ لها!  
حطنا للعبة البريدج، وسرعان ما عرفت على نحو دقيق مهاراة  
صحيح من في لاميستوك هي لعبة البريدج. كانت السيدة سيمتغن

لاعبه بريدج ممتازة وكانت مولعة باللعبة كثيراً وهي - كغيرها من النساء الكثيرات اللاتي لا تقاضيه رغبة للبهن - ذات ذكاء فطري، فيما كان زوجها لاعباً جيداً ذا مستوى سليم. مع ميل قليل إلى الحذر أما السيد باي فقد كان أفضل ما يوصف به أنه لاعب ذكي. كانت عنده حاسة تمييز غير عادية للمزايدة التي تكون لأغراض الخس في اللعبة. وبما أن التجمع كان على شرفنا أنا وحوانا، فقد لعبنا على طاولة السيدة سيمنتن والسيد باي. كانت مهمة سيمنتن هي تهذئة الأحماء إذا اشتد الخلاف بين اللاعبين واستعداد لياقته في معالجة اللاعبين الآخرين على طاولته. وكما قلت كان الكولونيل أبلتون مغرماً بابنته "الحرية". وكانت الأمسة يارون دون شك أسوأ لاعبة رأيتها ولكنها كانت تستمتع باللعب كثيراً. كانت تعمل على اتباع الآخرين في اللعب ولكنها لم تكن تعرف قوة الأوراق التي بيدها، ولم تكن تعرف أسلوب تسجيل "تفاهة أبلدة"، وكانت تلقي باستمرار - بالأوراق المخلطة، ولم تكن قادرة على عد الأوراق الراجعة، ونسى كثيراً حقيقة هذه الأوراق. أما لعبه (بمعنى غريبه فيمكن تلخيصه بكلماتها هي: "أحب لعبة بريدج جيدة دون أي صباح يصبح... ولا أمارس أبداً من تلك الطرق السيئة في تمرير المعلومات للشريك. وما أقوله أعنيه. كما لا أحب تلك التحليلات بعد انقضاء اللعبة فهي في نهاية الأمر مجرد لعبة".

وهكذا نرى أن مهمة المصيف ليست سهلة كثيراً. ومع ذلك بدأ اللعب باستحمام تام مع نسيان الكولونيل أبلتون للوراء يسر السيدة والأخري وهو يحدق في حوانا. ثم وضع الشاي في غرفة طعام على طاولة كبيرة.

وعتدنا أوشكنا على النهاية ننفع ولدان صغيران هائلان إلى غرفة قداماً بيتاً وكانت السيدة - سيمنتن تشتم عفاً حرة وكذلك في موهبة. ثم وبينما نحن نأخذ للانسحاب - حجب الضوء عن الفسح أمامي فالتفت برأسي لأحد ميثان واقفه نائب الزجاجة لمعني إلى الحديقة قالت أمها: أوه، ها هي ميثان

كان في صوتها أثر بسيط من الدهشة، وكأنها قد نسبت وجود ميثان دخلت الفتاة بصافحتنا بطريقة حرقاء بدون أية لباظة نسوية.

قالت السيدة سيمنتن: أحشم أن أكون قد نسبت إحصار شاي لك يا عزيزتي! فقد أحدث الأمسة هولاند والأولاد الشاي الخاص بهم معهم. ولم يعد هناك شاي خاص بالصغار اليوم. نسيت أنك لم تخرجي معهم.

نومأت ميثان برأسها وقالت: لا يا... سأذهب إلى المطبخ.

خرجت من الغرفة متكاسلة. كانت ملابسها غير مرتبة كالمادة، وكان هناك تقويب في كلا حوزيها عند الكمين.

قالت السيدة سيمنتن وهي تضحك ضحكة اعتذارية: يا لميثان المسكينة! إننا في تلك السن الحرجة، من المراهقة، إذ دائماً ما تكون الفتيات عجولاً مريكات عندما يتركن الممرضة وتقول: أن يتفحصن نضوجاً صحيحاً.

رأيت حوانا وهي ترفع رأسها الأشقر إلى الوراء بإشارة كنت أعرف أنها هجومية. قالت: ولكن ميثان في العشرين من عمرها، ليس كذلك؟

- أوه، نعم... نعم. إنها في العشرى. ولكنها أصغر كثيراً من عمرها الحقيقي، فهي ما تزال طفلة. أظن أن من تحصيل حداً ألا تكبر الفتيات بسرعة؟

ضحكت مرة أخرى وقالت: أحسب أن جميع الأمهات يردن بقاء أطفالهن في سن الرضاعة.

قالت جوانا: لا أرى سبباً لذلك، إذ سيكون مرحباً جداً من الشيء أن يكون للفرع طفل يفي عمده ست سنوات من الناحية العقلية بينما ينمو جسده ويكبر.

أوه، يجب ألا تفهمي الأمور حرفياً يا أنسة بيرثي.

ظهر لي في تلك اللحظة أنني لا أحب السيدة سمحتن كثيراً. أحسست أن ذلك الجمال الشاب المشاطي اللامبالي يخفي وراءه طبيعة أنانية جشعة. قالت لتريد كراهيني لها قليلاً: مسكينة ميثان... إنها طفلة صعبة بعض الشيء. كنت أبحث لها عن شيء تفهمه... أظن أن المرء يمكن أن يتعلم أشياء بالمراسلة، كالصميم وتفصيل الملابس... أو ربما حاولت تعلم الطبخة والاختزال.

كان الويفيض الأحمر واقفاً في عيني جوانا. قالت بعد أن حسنت حول طاولة البريدج مرة أخرى: أظن أنها بلغت سنّاً تؤهلها للمشاركة في النشاطات الاجتماعية. ألا تفكرين بإقامة حفلة عني شرفها بهذه المناسبة؟

بدت السيدة سمحتن متفاجئة مسرورة وقالت: حفلة؟ أوه، كلا. إننا لا نلعل أشياء كهذه هنا.

- فهمت... لا تقيمون إلا مباريات تنس وأشياء كهذه.

- لم يلعب أحد في ملعب التنس هنا منذ سنوات، فلا ريتشارد ولا آنا يلعب. أظن أنه عندما يكرس أولادي مستقبلاً... أوه، ستعد معاد الفكر مما يمكن أن تفعله. إنها سعيدة تماماً بالنسكع في المنطة. هل ودعت الوري؟

عندما كنا عائدتين بالسيارة إلى البيت قالت جوانا وهي تخفض على دواصة البنزين: قوة مصا ضاعف سرعة السيارة! إنني أشعر بالأسف الشديد على تلك الدنا.

- ميثان؟

- نعم، فأمها لا تحبها.

- أوه، لا تبالغي يا جوانا... الأمر ليس بهذا السوء.

- بل هو كذلك. كثير من الأمهات لا يحبن أطفالهن، وبخيل أن وجود ميثان في البيت مسألة فظيعة مرهكة بسبب طبيعتها الفخرجة. إنها تترك النمط السائد... نمط عائلة سمحتن. العائلة بأكملها وحدة متكاملة... وهو من أشد المشاعر بؤساً بالنسبة لأمة متفردة حساسة... وهي حساسة بالفضل.

- نعم، أظنها حساسة.

صمت لبعض الوقت. وفجأة ضحكت جوانا ضحكة ملاكفة وقالت: ولكن حظك سيء بالنسبة لمربة الأطفال.

قلت بإيحاء: لا أعرفه ماذا تعنين.

- هراء، كان الحقن الذكوري يدعو على وجوهك كلما نظرت إليها، إنني متفقة معك... حرام أن يضع حملها بهذا الشكل؟  
- لا أعرف عم تتحدثين.

- لكنني مع ذلك مسرورة، إنها أول إشارة على استعادة الحياة من جديد، كنت قلقة عليك في المصحف، فأنت لم تكن تنظم إلى الممرضة الحاملة جداً التي كانت تقوم على رعيتك، رغم أنها كانت فتاة جذابة تماماً.

- إنني أجد حديثك صديقاً تماماً يا جوانا!

أكملت شقيقتي حديثها دون أدنى التفتت لملاحظاتي: ولذلك ارتحت كثيراً عندما رأيت أنك ما تزال تنحذب إلى فتاة جميلة. إنها جميلة المظهر، ومن الغريب ألا تكون لديها جذابة أيضاً. هذا عربي يا حيري! ما هو ذلك الشيء الذي تملكه بعض النساء ولا تملكه غيرهن؟ ما الذي يوجد عند امرأة معينة حتى إذا ما فلتت عنده عادية مثل: "الجو لطيف" رأيت الرجال يهرعون إليها للحديث معها حول الطقس؟ هكذا الخلق أحياناً. ترى واحدة لها حب ووجه أفروديت، ولكنها باردة ليس فيها أية جذابة، وترى المحافضة والسحر بلعاب أحياناً إلى وجه ليس فيه من الحسن الكثير. وعندها نحن نحود كل النساء الأعرجات ويقولن: لا نعرف ما الذي يراه الرجال فيها... إنهما غير جميلتي على الإطلاق!

- هل انتهيت تماماً يا جوانا؟

- أنت توافقني الرأي، أليس كذلك؟

انصمت وقلت: أعترف بشيء من حية الأمل.

- ولا أرى هنا واحدة غيرها لك... سوف تنظر للحواء إلى يساري غريفت!

- لا سمح الله

- يبدو أنها تستمتع بحياتها تماماً، إنها حوية ودودة قوية إلى حد يكاد يُعجب، أليس كذلك؟ لن أندس (ملاحظاً) إن علمت أنها تأخذ حماماً بارداً كل صباح.

سألتهما: وماذا ستفعلن أنت بنفسك؟

قلت جوانا بأسلوب غير متعجب: لن أستطيع أن أنسى بول!

- لن نساء أنا أسرع مما تنسب أنت... سوف نقولين بعد عشرة أيام: بول؟ من بول هذا؟ نه أعرف شخصاً يدعى بول أسداً.

- أنت تحمسي متعبة جداً.

- يسعدني كثيراً أن تكوني كذلك عندما يتعلق الأمر بأشخاص مثل بول.

- إنك لم تحبه أبداً... ولكنه كان فعلاً عبقرياً بعض الشيء.

- ربما، مع أنني أشك في ذلك. وعلى كل حال، نسي كل ما سمعته، يقال إن قبائره أفنر ينبغي أن يكرههم المرأة كراهية عميقة. يبقى أن أقول إنك لن تحدي أي عبقري هنا.

فكرت جوانا بعض الوقت ورأسها يعيل إلى أحد الجانبين، ثم

قلت بأسي! نعم، هذا ما أحتاجه.

تعتقد ذلك؟

قلت بإصرار: أتركي الرجل المسكين وحده.

- كيف يجرؤ على قطع الشارع وهو يراني قادمة؟

- أثنى - معشر النساء - متساهلات، ولكن تضرين علمي ولعراحتي. ستجدين أخته إيمي فلاحتك إن لم أكن معطفاً.

- إنها - أصلاً - نكرهني.

تكلمت بشيء من التأمل، ولكن بفناعة فامة. قلت حازماً: لقد جئت إلى هذا المكان للهدوء والراحة، وأعتزم الحصول عليهما.

لكن الهدوء والراحة كانا آخر ما قدر لنا أن نحصل عليه!

\* \* \*

- على أية حال، فإن أوهين غريفت هو الرجل الأعزب الوحيد في القرية الذي يمكن أن تفكري به، باستثناء الكولونيل أبلتون العجوز الذي كان ينظر إليك كالكلب الحالط طيلة المساء.

ضحكت جولاً وقالت: كان يدهم النظر، أليس كذلك؟ كان ذلك محرماً تماماً.

- لا تظاهري بذلك، فأنت لا تُحرجين أبداً.

منعت جولاً بالسيارة عبر البوابة بصمت. ثم قالت: قد يكون في نكرتك تلك بعض الصحة.

- أية فكرة؟

- لا أفهم شيئاً يجعل أي رجل يقطع الشارع عامداً كي يتحنتني. هذا تصرف وقح بعيداً عن أي اعتبار آخر.

- فهمت... تريدن صيد الرجل يدهم بارداً.

- لا أحب أن يتحنتني أحد.

عرجت من السيارة ببطء وحذر ووارنت عكازي، ثم قدمت لشقيقتي نصيحة: دعيني أخبرك بهذا يا فتاتي... ليس أوهين طرفيعت واحداً من أصحابك الفئتين المتحتمين المحتمين، وما لم نحذري فسوف نثيرين عشااً للزناهير قرب أذنيك. يمكن للرجل أن يكون خطراً.

سالت جولاً وفي صوتها كل أثر للاشمئاع بهذا الاحتمال: أوه،





إلى لغة العقل ولا إلى كلمة واحدة مما تقولها الفتاة، وعلى أية حال فقد قلت لبياتريس أنني لو كنت مكانها لرددت له الصاع ساعين، إذ ماذا عن تلك الفتاة الموجودة في الفاحونة هناك؟

أحسست بالحيرة أكثر فأكثر، وقلت: إنني أسف، فأننا لا نملكك تماماً، ما الذي حدث؟

- إنها الرسائل يا سيدي، رسائل شريرة... وبذينة جداً أحياناً، نستخدم كلمات أسوأ من أي شيء قرأته في حياتي.

تفاضلت عن تلك الحملة الاعترافية المثيرة وقلت: بالأسف، هل نلقت أبنتك مزيداً من الرسائل؟

- ليس هي يا سيدي، لقد نلقت رسالة واحدة فقط، وهي التي جعلتها تترك العمل عندكم.

بدأت أقول: "لم يكن هناك على الإطلاق أي سبب..."، ولكن السيدة بيكر قاطعتني بقوة: لا حاجة لأن تخبرني يا سيدي أن ما ورد في الرسالة كان محض افتراء شرير. تكفي شهادة الآتية ماوريدج بهذا الشأن... وقد كان من شأني أن أعرف ذلك بتدبسي أصلاً، فأنت لمست من ذلك النوع من الرجال، هنا ما أعرفه جيداً، كما أنك متقاعد. كانت افتراءات كاذبة، ولكن مع ذلك فقد قلت لبياتريس إن من الأفضل لها أن تترك العمل لأنك تعرف الإشاعات يا سيدي، فالتاس يقولون: "لا تخاف بلا نار". كما أن الفتاة شعرت بالاحتمال مما كان مكتوباً في الرسالة، ولذلك قلت لبياتريس عندما قالت إنها لن تأتي إلى هنا ثانية: "عمر الصواب". رغم أننا شعرنا بالأسف على ما سببه ذلك من إرباكك جعلكم...

سكنت السيدة بيكر نفساً عتيقاً وقد عجزت عن إكمال هذه الحملة، ثم أكملت: وكنت أرجو أن ينزع ذلك حداً للإشاعات المزعومة. ولكن خروج، الذي يعمل في المرائب والذي تخرج بياتريس معه، تلقى واحدة من هذه الرسائل. وهي تقول أشياء تبيحها عن ابنت بياتريس، وكيف أنها على علاقة مع ثوم إيسل فريسد ليدبير... وأؤكد لك يا سيدي أن تصرف الفتاة لم يخرج عن الدائرة المألوفة أبداً.

أخذ رأسي الآن يدور مع ظهور التعقيد الجديد ليوم ليدبير هذا، منيت: دعيني أفهم الأمر بشكل صحيح، لقد تلقى صديق بياتريس رسالة مُفلفة التوقيع تبشيراً بعلاقة مع شاب آخر، اليس كذلك؟

- هنا صحيح يا سيدي... ولم تكن الرسالة محتشمة، فقد استخدمت كلمات بذيئة، مما جعل جورج يستنشط غضباً كالمعتاد، وجاء ليخبر بياتريس بأنني لم احتمل هذا العمل منيأ وأنه لن يسمح لها بأن تخرج مع رجال غيرد من وراء ظهره... وقد أخبرته بأن ذلك كذب كله، فقال لها: "لا تخاف بلا نار". وعرج من البيت كالمنسحور، وظهر الحزن على بياتريس المسكين. ثم قلت لها إنني سألبي قبعتي وأتي إليك مباشرة يا سيدي.

سكنت السيدة بيكر؛ نظرت إلي متوقفة مني الرد كالكلب يتنظر جائزة بعد أداء حركة ذكية. سألتها: ولكن لماذا حدثت إلي بالتحدث؟

- لقد فهمت يا سيدي أنك نلقت واحدة من هذه الرسائل الشريرة، وقد فكرت أنك تعرف - واثقت الغامد من لندن - ما الذي

ينبغي عمله حيال هذا الأمر.

- لو كنت مكانك لذهبت إلى الشرطة؛ إذ يجب وضع حد لمثل هذا الأمر.

بددت السيدة يكرم مصدومة تماماً وقالت: أوه، كلا يا سيدي، لا يمكنني الذهاب إلى الشرطة.

- ولم لا؟

- لم يبق لي التورط مع الشرطة أبداً يا سيدي... ولم يتورط أحد منا مع الشرطة أبداً.

- صحيح، ولكن الشرطة هم وحدهم الذين يمكنهم التعامل مع مثل هذا الأمر، فهذا عمنهم.

- أذهب إلى بيت والدك؟

كنت أعرف أن بيت والدك هو الشرطة، قلت: لا بد أن هناك رقيباً أو مفتشاً في مركز الشرطة.

- أنا أذهب إلى مركز الشرطة؟

كانت نبرة التأتب والذهشة ظاهرة في صوت السيدة يكرم، وبدأت أشهر بالصيغ فقالت: هذا كل ما يمكنني تقديمه من نصيحة.

مكنت السيدة يكرم وبدا واضحاً أنها لم تكن متعصبة، قالت بحزن وحذية: يجب وقف هذه الرسائل يا سيدي، يجب وقفها فعلاً. سمعت منها أذى عاصلاً أم أجلاً؟

- يبدو لي أن الأذى قد وقع بالفعل.

- لقد قصدت العصف يا سيدي. هؤلاء الشباب الصغار يعمدون متعصب... وكذلك الكبار.

- وهل تصل كثير من هذه الرسائل إلى الناس؟

آومات السيدة يكرم برأسها: الأمر يزداد سوءاً يوماً بعد يوم يا سيدي السيد بيل وزوجته في فندق بلو بور كانوا سعيدين دائماً... والآن جعلته هذه الرسائل يكره بأشياء... أشياء غير صحيحة.

جلت إلى الأمام وقالت: سيده يكرم هل لديك أية فكرة، أية فكرة مهما كانت، عمن يكتب هذه الرسائل المغيبة؟

شدت عيني آومات برأسها بالإحباط وقالت: لدينا فكرة معينة عن ذلك يا سيدي، نعم، لدينا جميعاً فكرة واضحة عن ذلك.

- من هو؟

حيل إلي أنها قد ترد في ذكر اسم معين. ولكنها وذت على الفور: إنها السيدة كليت... هذا ما اعتقده جميعاً يا سيدي. إنها السيدة كليت بالتأكيد.

لقد سمعت كثيراً من الأسماء هذا الصباح مما جعلني شديد الحيرة. سألتها: من هي السيدة كليت؟

واكتشفت أن السيدة كليت هي زوجة بنيالي كهل وكانت تعيش في بيت على الطريق المؤدي إلى الطاحونة. ثم تلقيت أجوبة غير مرضية عن أسئلتني الأخرى، عندما سألت السيدة يكرم عن

السبب الذي يدعو السيدة كلثت لكتابة هذه الرسائل قالت بعموض  
إن "من شأن هذا أن ينسجم مع شخصيتها".

وفي نهاية الأمر تركتها تذهب، مكرراً مرة أخرى نصيحتي لها  
بأن تذهب إلى الشرطة، وهي نصيحة عرفت أن السيدة يكره لن  
تأخذ بها، وقد تركتني وأنا أصر بأنني قد عيّنت أمليها.

فليت تفكر في فيما قاله لي، ورغم غموض ما سافته من حليتي  
لأنني أدركت أن الأمر قد يكون صحيحاً إلى كان جميع أهل القرية  
يرون أن السيدة كلثت هي المتهمه. شررت الفجاءة واستشارة  
غريبت بخصوص الأمر كله. إذ أن من شأنه - كما يفترض - أن  
يعرف السيدة كلثت هذه، وإذا رأى أن من الصواب الذهاب إلى  
الشرطة فيمكن أن أعدد أنا أو هو إلى الإيحاء للشرطة بأنها هي التي  
تقف وراء هذا العمل المزعج.

وقد ساءت وصولي في تلك اللحظة التي تصورت أن غريبت  
سيكون قد أنهى فيها عمله في عيادته، وعندما غادر العيادة آخر  
مريض دخلت إليه. قال: مرحباً، هذا أنت يا بيرتز؟

شرحت له باختصار حديثي مع السيدة يكر وأخبرت بالتفاصيل  
القاتل إن السيدة كلثت هي المسؤولة، ولخيدة أمني فقد هو غريبت  
رأسه بالنفي وقال: ليس الأمر بهذه البساطة.

- ألا تظن أن السيدة كلثت هذه هي التي تقف وراء هذا الأمر؟  
- ربما، ولكن هذا أبعد ما يكون عن الاحتمال فيما ظن.

- إذن لماذا يظنون جميعاً بأنها هي؟

انضم وقال: أوه أنت لا تعرف... السيدة كلثت هي الساحرة  
المحلية هنا.

صحت: يا إلهي!

- نعم، يدعو الأمر غريباً هذه الأهم، ومع ذلك فهذا هو الوضع.  
إن شعوراً بقي في أذهان الناس بأنه من غير الحكمة تحدي بعض  
الناس أو العائلات أو الإساءة إليهم. والسيدة كلثت قد تحولت من  
عائلة من "النساء الحكيمات"، وأحسب أنها قد بذلت جهداً كبيراً  
لتطوير هذه الخبرة وتشجيع هذا الاعتقاد. إنها امرأة غريبة الأطوار  
تتمتع بروح نكهة مبررة لأدع، وقد كان من السهل كثيراً عليها - إذا  
ما خرج طفل أصعب أو وقع وقعة عيلة أو أصيب بالنكاف - أن تومئ  
مراسها وتقول: نعم، لقد سرق تفاحاتي الأسبوع الماضي، أو "شدت"  
قضتي من فنيها. وسرعان ما تأخذ النساء أطفالهن بعيداً وتحضر  
أخرياتهن لتصل أو للمكلم للسيدة كلثت حتى يتجنبن شرها وحتى  
لا "تدعو عينهن". به عقد حزني مخيف. ولكنه يحدث...  
ولذلك فمن الطبيعي أن يعتقد الآن أنها تقف وراء هذا الأمر.

- ولكن هل هي فعلاً وراءه؟

أوه، كلا، ليست من هذا النوع... ليس الأمر بهذه البساطة.

نظرت إليه نظرة فضولية وقلت: هل لديك أية فكرة معينة؟

هو رأسه بالنفي، ولكن عينيه كانتا شاركتين وهو يقول: لا، لا  
أعرف شيئاً. ولكني عبر مراتح لهذا الأمر... سيخبر عن ذلك أذى.

• • •

لمست جبراً في رفق الحواريه، ولكن ظهر لي أن الحيوط  
الصوفية المتعاطفة دون إقناع لم تكن تدل على نجاح أكيد.

قالت ميفان: ولكن حاله هكذا مزيج أكثر من وجود القنوب.  
وافقتها قائلاً: يبدو وكأن ذلك ممكن.

- هل تروق لك أمضيت بشكل جيد؟

حاولت أن أذكر إن كنت قد لاحظت أنها من إنجازات جونا  
في هذا المجال، ولكنني اضطررت للحرج للاعتراف قائلاً: لا أعرف.

- ماذا تفعل عندما تجد نقباً في حوربه؟

قلت بتردد: أظن أنها ترميه وتشري زوجها آخر.

- هذا عين العفل، ولكنني لا أستطيع فعل ذلك. إنني أتلقى  
راتباً الآن.. أربعين جنيهاً في السنة. لا يمكنك شراء الكثير بهذا المبلغ.

وافقتها على ذلك، فقالت بأساً: لو كنت أليس حواريه سوداء  
لأمكن أن أضع جبراً على سائتي مكان القنوب... هذا ما كنت أفعله  
دائماً في المدرسة. كانت الأئمة باتوريثي هي المعلمة التي تشرف  
على تعليمنا رفق الغياب، ولكنها كانت أكثر عني من العفاني. كان  
ذلك الموضوع مفيداً جداً لنا.

- لا بد أنه كان كذلك.

ثم باد الصمت بيننا وأنا أدخن شايوني... وكان صمتاً أليماً  
وفجأة قطعت ميفان الصمت قائلة بغف: أملك ترانتي فطيرة كما

عندما عدت إلى البيت وجدت ميفان جالسة على الدرج  
المؤدي إلى الشرفة وقد أسندت ذقتها على ركبتيها. حينئذ بطريقتهما  
التي تفتقر للحفاوة وقالت: مرحباً. هل تظن أن بإمكانني القدوم  
لتناول العشاء؟

قلت: بالتأكيد.

صاحت ميفان وهي تتلعلق لأعياض بارثريدج بوجود ثلاثة  
أشخاص على العشاء: إن كان الطعام شرائح لحم أو شيئاً عسيراً  
كهذا، أو كان الطعام لا يكفي فأعبرني.

يخيل إلي أن بارثريدج قد استطاعت -دون أن تنسى بكلمة  
واحدة- أن تظهر استخفافها بميفان حين أخبرتها بالأمر. وحين  
عدت إلى الشرفة سألتني ميفان بلهفة: هل الأمر على ما يرام؟

- نعم، تفعلني بالحلوس.

قدمت الكرسي لميفان فقالت: هذا لطيف منك.

- أئن تجلسي؟

- كلا، لا أظن ذلك، ولكن جئول منك أن تدعوني... تماماً  
كما لو كنت شخصاً حقيقياً.

قلت ضاحكاً: أنت شخصاً حقيقياً؟

هزت ميفان رأسها بالنفي، ثم مدت لي ساقها الطويلة الممطرة  
وقالت متفخمة بهدف تغيير الموضوع: لقد رنقت حواري.

حفظت إلى حبل جعل غليونني يسقط من قمبي. كان غليوناً جميل الألوان مصنوعاً من مادة المبرشوم التي تشبه الزجاج، وقد انكسر. قلت لميغان غامباً: انظري إلى ما فعلت.

وكظنن بهمب التيب برودة أفعانه لم تزعج؛ بل ابتسمت ابتسامة عريضة وقالت: أنت - فعلاً - تعجبني.

كانت ملاحظة دافئة جداً، إنها الملاحظة التي يُعْجَلُ للمرء أن كنه يمكن أن يقولها لو أمكنه الكلام... وهذا لي أن ميدان ذات مزاج يشبه أميرة الكلاب بدلاً من أن يشبه أميرة البشر! سألتها وأجبت: أجمع يحذر شطاباً غليظي. المكسورة: ما الذي فعله قبل هذه المأساة؟

- قلت إنني أظنك ترائي بغيبة.

قالت تلك الجملة، ولكنها لم تغلقها بنفس ليرة التي قالتها بها من قبل على الإطلاق.

- ولماذا أراك كذلك؟

قالت ميغان بتعجبهم: لأنني كذلك.

قلت عمتداً: لا تكبرني غيبة.

هرت ميغان رأسها قائلة: هذه هي النقطة تماماً... فأنا لست غيبة فعلاً، ولكن الناس يغفلونني كذلك. إنهم لا يعرفون أنني - في داخلي - أعرف حقيقتهم، وأني أكرههم طيلة الوقت.

- تكبرهم؟

- نعم.

حذفت إلى بعينين كئيبتين غير طفوليتين لم تغلظا. كانت نظيرة طويلة حزينة، ثم قالت: لو كنت مثلي لكبرهت الناس... إن كانوا لا يعرفونك.

- ألا تعتقدن أنك سوداوية النظرة؟

- نعم. هذا ما يقوله لك الناس دائماً عندما تقول الحقيقة... وهي حقيقة. إذ أن أحداً لا يعرفني، وأنا أعرف السبب تماماً. أمسي لا تحبني البتة. أحسب أنني أذكرها بالذي الذي كان يقسو عليها وكان مرعاً جداً حينما كنت أسمع. ولكن الأمهات لا يمكنهن التصريح بأنهن لا يردن أولادهن، ولا يستطعن طردهم من البيت أو أكتهم؛ فقط تأكل ما لا تحب من أولادها انفسار، وحسب أن تلك طريقة عقلانية جداً... فلا حاجة لتبديد العواطف وإثارة المشاكل! أما الأمهات من البشر فهن مضطرات للمحافظة على أطفالهن والاعتناء بهم. لم يكن الأمر على هذه الدرجة من السوء عندما كان بالإمكان إرسالهن بعيداً إلى المدرسة... ولكن ما ترغب به أمي حقاً هو أن تكون بمفردها مع زوجها والولدين.

قلت ببساطة: ما زلت أرى أنك سوداوية النظرة يا ميغان، ولكن - على فرض صحة بعض ما تقولينه - فلماذا لا تتركين هذه العائلة وتعيشين حياة مستقلة؟

ابتسمت لي ابتسامة غير طفولية وقالت: تقصد أن أحد عملاً، وأكسب رزقي؟

- نعم.

- بماذا أعمل؟

- يمكن أن تتدربي على عمل معين. طباعة واحتزال... عسك الدفاتر.

لا أعنفد أن باستطاعتني ذلك، إنني غبية فسي عمل الأشياءه وغرق ذلك ..

- ماذا؟

كالت قد أشاحت بوجهها بعيداً ولكنها أعادته الآن ببطء وقد غدا قرمزياً وذرفت من عينيها الدموع، ثم تكلمت بصوت منعم بهجرات الطفولة: لماذا أرحل؟ أو يحملونني على الرحيل؟ إنهم لا يريدونني، لكنني سأبقى. سأبقى وأجعل الجميع ناديين... سأجعلهم يأسفون جميعاً. اختازير كريهة! إنني أكره الجميع هنا فسي لايمستوك. إنهم جميعاً يروني غبية وقبيحة. سأريهم... سأريهم... سأريهم...

كانت غضباً طفولياً مشيراً للشفقة إلى حد غريب. وسمعت وقع أقدام على الحصى عند زاوية البيت، فقلت لنفسه: انهضي، ادخلي البيت من خلال غرفة الاستقبال، اصعدي إلى الطابق الأول حيث الحمام في نهاية الممر، واغسلي وجهك بسرعة.

فقرت واقفة بطريقة خرقاء ودخلت من الباب الزجاجي لغرفة الاستقبال فيما جاءت جوانا من وراء زاوية البيت قائلة: أوه، إنني أشعر بالحرارة. أتعلم يا حبري، كان علينا إحضار كلب معنا؟

- هذا ما أراه أيضاً. على فكرة، ستناول ميفان الغداء معنا.

- أحياناً؟ جيد.

- أتحينها؟

- أحسب أنها من أولئك الأطفال الذين تستبدلهم الحننات. أنت تعرف تلك الخرافة التي تقول إن الحننات كمن يضعن ملقلاً على عتبة الباب ويأخذن الطفل الحقيقي بعيداً. من الشير جداً الالتقاء بطفل شُتيدل. أوفد... يجب أن اصعد وأغتسل.

- لا تستطعين ذلك الآن، ميفان نغتسل.

- أوه، هل خاضت في الوحل مرة أخرى؟

أخرجت جوانا المرأة ونظرت إلى وجهها بحدية لفترة طويلة وقالت: لا أحب أحمر الشفاه هذا.

خرجت ميفان من الباب الزجاجي هادئة ونظيفة نوعاً ما، ولم تظهر أي أثر للعاصفة التي مسبت ذلك بقليل. نظرت إلى جوانا بارتياح، فقالت جوانا وهي ما تزال مشغولة بالنظر إلى وجهها: مرحباً، إنني مسرورة لمجيئك للغداء. يا إلهي، توجد حبة نمس على أنفسي. لا بد أن أفضل شيئاً فالتعشى خطير جداً، وهو صفة استكندية.

جاءت بارفريدج وقالت ببرد إن الغداء جاهز، فنهضت جوانا قائلة: هيا، إنني أفتور جوعاً.

أدخلت ذراعها تحت ذراع ميفان ودخلتا البيت معاً.

• • •

هزلية لنساء يحسرن أنوفهن في كل مكان ويتفوهن بالتفاهات.  
وربما لا يكون في الدنيا وجود لمثل هذا النمط.

ثم نحضر السيدة كالثروب أنفها في أي مكان أبداً، ومع ذلك  
كانت لها قوة غامضة غريبة في معرفة الأمور، وسرعان ما اكتشفت  
أن جميع أهل القرية تقريباً يحسبونها. لم تكن تقدم أية نصيحة ولا  
تتدخل في شيء أبداً، ومع ذلك كانت تعمل -لاي شميمير عالف-  
صورة القاضي الحازم والسيف المسلول.

## الفصل الخامس

أرى أن لي نصفي قصصاً واحداً، فحتى الآن لم أذكر السيدة  
كالثروب أو زوجها الكاهن كاليب كالثروب.

كان الكاهن وزوجته شخصيتين متميزتين. كان كاليب كالثروب  
نفسه بعيداً عن الحياة اليومية أكثر من أي شخص التقيت به، حيث  
استغرقه العيش بين كتيه متباً في التاريخ القديم حتى صار على دراية  
واسعة في هذا الموضوع. أما زوجته فكانت موجودة دائماً في كل  
مكان، وربما كنت قد نعددت تأجيل ذكرها لأنني كنت منذ البداية  
خائفاً منها قليلاً. كانت امرأة ذات شخصية متميزة ومعرفة واسعة.  
لم تكن إطلاقاً من النوع التقليدي لزوجات الكهنة... ولكنني أسأل  
نفسي وأنا أسجل ذلك: ما أدراي أنا بزوجات الكهنة؟ فزوجة  
الكاهن الوحيدة التي أذكرها جيداً كانت امرأة هادئة ليس لها ما  
يميزها، مخصصة للزوج قوي طبعه ذي أسلوب ساحر في مواعظه.  
لم تكن تشارك في الأحاديث العامة إلا نادراً بحيث يحار المرء في  
كيفية المص في حديث معها. وفيما عدا ذلك كنت أعتمد على  
الصورة التي كانت القصص ترسمها لزوجات الكهنة، وهي صورة

لم أر امرأة أكثر منها لامبالاة بالعالم المادي حولها. كانت في  
الأيام الحارة تمشي في القرية وهي تلبس تنورة من العفوف  
المحش، وفي وقت المطر أو حتى الحليد كنت أراها تمشي في  
طرقات القرية شاردة الذهن وهي تلبس فستاناً من القطن أو القماش  
المعادي. كانت ذات وجه طويل رفيع يوحى بكرم المحنة، وفي  
كلامها إخلاص وصدق وهيب.

أوقفتني في الشارع العام بعد يوم من تناول ميثان الغداء معنا.  
وقد تملكني إحساسي المتعبد بالدهشة؛ لأن سيرها كان أشبه  
بالهرولة منه بالمشي، وكانت عيناها مركبتين خالماً على الأفق البعيد  
مما يجعل المرء يشعر بأن هدفها الحقيقي يقع على بعد ميل ونصف  
تقريباً. قالت: أوه، سيد بيرن!

قالتها بشيء من بشوة النمر كمن حلّ لغزاً محيراً.

اعترفت لها بأنني السيد بيرن فتوقفت عن تركيز نظرها على  
الأفق البعيد وبدأت كأنها تحاول تركيز نظرها عليّ بدلاً منه. فسألت:  
ما الذي كنت أريد رؤيتك من أجله؟

لم يكن يوصي مساعدتها في هذا الأمر. وقفت عابسة ومتحيرة كثيراً، ثم قالت: كان شيئاً بغيضاً.

قلت وقد جففت: إنني أسف لهذا.

صاحت: أوه، تذكرت! الرسائل مجهولة المصدر! ما هذه القصة التي أحضرتها معك عن الرسائل المُنْفَعَة من التوقيع؟

- أنا لم أحضرها معي، لقد كانت موجودة هنا من قبل؟

قالت بنبرة اتهام: ومع ذلك لم يفلح أحد أية رسالة منها إلى أن حُثت إلى هنا.

- لكنهم تلقوا رسائل منها يا سيده كالثروب. كانت المشكلة قد بدأت من قبل.

- يا إلهي، لا أحب هذا.

وقفت نظرت بعينين شارقتين ثم قالت: لا أستطيع تمالك الإحساس بأن هذا كله غير طبيعي. نحن لسنا على هذه الشاكلة هنا. بوجد - بالعطيم - حسد ومكر ومناكفة وغير ذلك من الخطايا الصغيرة هذه... ولكنني ما كنتُ أفكر أن أحداً يمكن أن يفعل هذا... كلاء لم أحسب ذلك حلاً. وهو أمر بحريري، فلنا حسب أن أعرف.

عادت عيناها الدقيقتان من الألق البعيدة والتفت بعيني. كانتا عيونين قلقتين وكان حيرة الأطفال الصادقة يادية ليهما. قلت لها: وكيف لك أن تعرفي؟

- أنا أعرف في العادة، لقد أحسست دائماً أن هذه هي وظيفتي. أن كالب يعطي مواعظ جيدة ويشرح المبادئ، وهذا هو واجب الكاهن. ولكن إذا ما سمحت للكاهن بالزواج فأظن أن من واجب زوجته معرفة ما يشعر به الناس أو يتكبرون فيه، حتى لو لم تكن تستطيع عمل شيء بشأن مشاعرهم وأفكارهم تلك. وليست لدي أية فكرة عن صاحب ذلك القلل الذي...

سكتت، ثم أصالت وهي شاردة الذهن: إنها رسائل سخيفة.

- هل... هل تُلقيت أبداً منها؟

شعرت ببعض الحياء وأنا أسألهما هذه السؤال، ولكن السيدة كالثروب ردّت بطريقة طيبة تماماً وقد اتسعت عيناها قلباً: أوه، نعم، اثنين... لا بل ثلاثاً، وقد نسيت ما قيل فيها بالضغط. أظنها ذكرت شيئاً سخيفاً حلداً عن كالب والمُتْرَمِسة. سخيفة تماماً، لأن كالب ليس من هذا النوع من الرجال بأي حال.

- تماماً، تماماً.

- إنه غارق بين كتبه مستغرق في أبحاثه بحيث ينسى كل شيء حوله.

لم أشعر بأنني مؤهل للإحابة على هذا النقد، وعلى أية حال فقد واصلت السيدة كالثروب كلامها وهي تلتزم من الحديث عن زوجها إلى الرسائل مرة أخرى بطريقة محببة: توجد أشياء كثيرة جداً يمكن أن تقولها الرسائل ولكنها لا نقولها... هذا هو الغريب في الأمر.



قلت بمزعة: لا أكاد أرى أن الرسائل قد فُصرت في مسألة الحشمة والتخفُّف.

- ولكنها لا توحى بمعرفة أي شيء. لا شيء من الأمور الحقيقية.

- ماذا نقصد؟

نظرت إلى بعينها الدقيقين الغامضين وقالت: يوجد بالطبع الكثير من الفحش والعلاقات المحرمة هنا... ومن الأشياء الأخرى، أسرار مخزونة كثيرة. لماذا لا يستعملها الكاتب؟ سكنت ثم سألت فجأة: ماذا كان يقول في رسالتك؟

- كان يقول إن أعني لست أعني فعلاً.

- وهل هي أعني؟

سألت السيدة كالثروب هذا السؤال باهتمام ودي لا حرج فيه.

- جونا شقيقتي بالتأكيد.

أومأت برأسها وقالت: هذا يوضح لك ما أعنيه. وأظن أن أموراً أخرى..

نظرت إلى متأملة بعينها الصانيتين اللامعيتين، ونجاة أدركت سبب خوف اهالي لايمستوك من السيدة كالثروب! فهي حيمة كل امرئ يعمل مسخرة بأمل أصبحهاها ألا تعرف أبداً. وقد أحسست أن السيدة كالثروب كانت تعرفها.

ولأول مرة شعرت بالبهجة إذ سمعتُ صوت إيمي غريفيث

المرح يصيح بقوة: مرحباً يا مود. أنا سعيدة لأنتي وحدتك! أريد أن أقترح عليك تغيير موعد المزايا. صباح الخير يا سيد بيرتن... يجب أن أدخل إلى البقال وأترك عندك طلبتي، ثم سآتي إلى المعهد مباشرة إن كان هذا يناسبك؟

قالت السيدة كالثروب: نعم، نعم. هذا جيد.

تدخلت إيمي غريفيث إلى المحل المسمى "المخازن الدوائية". وقالت السيدة كالثروب: ممكنة!

كنت متحيرة، إذ هل يُعقل أن ترني لحال إيمي؟ ولكنها أكملت حديثها: أعلم يا سيد بيرتن؟ إنني خائفة بعض الشيء...

- من مسألة الرسائل هذه؟

- نعم، إنها تعني... لا يد أنها تعني...

سكنت وهي مستغرقة في التفكير وقد ضاقت عينها، ثم قالت ابتداءً كمن يحل لغزاً: إنها كراهية عمياء... نعم، كراهية عمياء. ولكن حتى الرجل الأعشى قد يعلن أناساً حتى قلوبهم بمحض الصدقة... فما الذي سيحدث عندها يا سيد بيرتن؟

وقد قُدر لنا أن نعرف ذلك قبل أن يمر علينا اليوم.

• • •

كانت بارثريدج هي التي أبلغتنا بخبر المأساة. وبارثريدج امرأة تنفذ بالفلوجاع، وكنت ترى أنفها يرتجف نشوة عندما تريد إبلاغنا بأي خبر سيئ. جاءت إلى غرفة جونا وألقها بعمل يكامل

لمحت جوانا ومضة للحقيقة، وقالت: لا نقولي... ؟

كانت عينها نظران إلى بارترديد نظرات تساؤل. أومأت بارترديد برأسها وقالت: هذا صحيح يا أنسة! بسبب واحدة من تلك الرسائل القذرة!

- ماذا قالت الرسالة؟

ولكن هذا - مع شديد أسف بارترديد - ما لم نتح في معرفته. قالت جوانا: إنها أعمال وحشية، ولكنني لا أرى سبباً بحملها تدفع المرء للانتحار.

استنقذت بارترديد ثم قالت بكثير من المعنى: ما لم نكن رسائل صحيحة يا أنسة.

- أوه.

شربت جوانا إنشاي بعد مغادرة بارترديد للغرفة ثم ألقت رداءً على كتفها وجاءت إلي لتعبرني بالخبر، فكرت فيما قاله أوبن غريفيث: "عاجلاً أم آجلاً ستطلق رصاصة في الظلام لتصيب مقتلًا"، وقد أصابت مقتلًا لدى السيدة سيمنتن. لقد كان لها سرها، وهي التي تقيس أبعاد النساء عن ذلك... وفكرت بأنها - رغم كل ذكائها - لم تكن تمتلك قوة التحمل؛ كانت من النوع الشاحب الضعيف المشوش الذي ينهار بسهولة.

ركزتني جوانا وسألني عما أكره فيه. كبروت على مسامعها ما قاله أوبن لي، فقالت بحدة: من شأن طبعاً أن يعرف كل شيء عن هذا الأمر، فهو يرى أنه يعرف كل شيء.

طائفته، وعيناها تلمعان؛ وقد انخفض فيها ليعطي انطباعاً مبالغاً به من التجهم. قالت وهي تفتح مغالقة الثافلة: يوجد خبر رهيب هذا الصباح يا أنسة.

كانت حوالا - بماداتها اللندنية - تحتاج لبعض الوقت حتى تنبه تماماً في الصباح، ولذلك اكتفت بالقول: "أوه"، ثم نقلت على فراشها دون اهتمام حقيقي. وضعت بارترديد شاي الصباح إلى جانبها وقالت مرة أخرى: خبر رهيب يحدث على الصدمة... لم أكله أبدته عندما سمعته!

سألت جوانا وهي نحاهد للاستيفاض: ما هم الرهيب؟

قالت بارترديد: "المبدا سيمنتن المسكية". وسكنت على نحو درامي ثم عادت لتقول: ماتت!

- ماتت؟

انتصبت جوانا جالسة على سريرها وقد استيقظت الآن تماماً.

- نعم يا أنسة، عصر الأسس. والأسوأ من هذا أنها انتحرت.

- أوه أحقاً يا بارترديد؟

صدمت جوانا بالفعل... للسيدة سيمنتن لم تكن - بشكل ما - مسيحياً للمرأة أن تربط بينهم وبين هذه المأساة.

- نعم يا أنسة، إنها الحقيقة. لقد قتلت نفسها عمداً، وهذا لا يعني أنها لم تدفع لذلك المسكينة.

- تدفع؟

- إنه ذكي.

- بل هو مغرور، مغرور إلى حدٍ بعيدٍ!

ثم قالت بعد وقت قصير: حادث فظيع بالتحديد للروح... وللنساء أيضاً. كيف منتشر ميثان إزاء هذا الأمر برأيك؟

لم تكن لدي أية فكرة عن ذلك، وهو ما قلته لها. كان غريباً ألا يستطيع المرء معرفة ما يمكن أن تفكر به ميثان أو تشعر به. أومأت جوانا برأسها وقالت: نعم، ليس يومع المرء أبداً أن يعرف شيئاً من مشاعر طفلة مُسذلة.

ثم قالت بعد سكوت قصير: هل ترى... أترغب بأن... لا أدري إن كانت الفتاة ترغب بالمحبة للبقاء عندها يوماً أو يومين؟ إنها صدمة قوية لفتاة بهذا السن.

وافتشها وقلت: يمكننا الذهاب واقتراح هذا عليها.

- لا بأس على العيين، فعندئذ تلك المريضة. ولكنني أظنها من النوع الذي قد يدفع فتاة مثل ميثان إلى الحزن.

رأيت أن ذلك ممكن جداً. كنت أستطيع تصور الأنسة هولاند وهي تنفث عبارات تالفة واحدة تلو الأخرى وتشرح عليها عدداً لا يحصى من نماذج النسيان. فتاة لطيفة ولكنني لست أر فيها مربية تستطيع التعامل مع فتاة حساسة.

كنت قد فكرت في إبعاد ميثان عن بيتها، ولقد سررت جداً لأن جوانا فكرت في هذا الأمر تلقائياً دون حث مني. ذهبت إلى

بيت سيمنتن بعد الإفطار. كنا مرتبكين قليلاً كلانا إذ ربما بدأ وصولنا مجرد فضول لكل ما هو كارثي. ولحسن الحظ التقينا بأوين غريفيث وهو خارج لتودع ابنته. كان يبدو قلقاً مبهوم الفكرة ولكنه حيائي ببعض الحرارة فتلاً: مرحباً يا بيرن، تسرني رؤيتك. إن ما خشيت وقوعه عاجلاً أم آجلاً قد وقع فعلاً. قضية مؤسفة جداً!

قالت جوانا بصوت كانت لثغره لعمري لنا سماء: صباح الخير يا دكتور غريفيث.

فوحى غريفيث وأحمر وجهه وقال: أوه، أوه، صباح الخير أنسة بيرن.

قالت جوانا: حسبك ثم فرني.

ازداد احمرار وجه أوين غريفيث وأخذ الحياء منه كل ما أخذ وقال: أنا... أنا أسف. كنت مشغول بالبال... ولم...

أكملت جوانا دون رحمة: رغم أنني بنفس حملي، لم أغير.

قلت لها بعبارة جانبية لاذعة: ولكنك بحجم صورة تصفية.

ثم أكملت: لذا، نساءنا أنا وأختي يا غريفيث، إن كان من العسكسين أن تأتي الفتاة لتقيم معنا يوماً أو يومين؟ ما رأيك؟ لا أحب التدخل... ولكن الأمر سيكون صعباً على الفتاة المسكينة دون شك. ماذا سيكون رأي السيد سيمنتن في هذا الأمر برأيك؟

قلب غريفيث الفكرة في رأسه بعض الوقت ثم قال بصوت:

أفطنها ستكون فكرة ممتازة. إنها فتاة عصبية غريبة الأطوار، ومن الأحسن لها أن تبعد عن البيت. الأنسة هولاند ممتازة... إنها فتاة عاقلة جداً، ولكن لديها ما يكتسبها من العمل مع الولدين ومع سيمنتن نفسه. إنه منهار تماماً... جمعته المصاب.

قلتُ بتردد: أكان الأمر انتحاراً؟

أوما غريفيث برأسه: نعم. ما من إمكانية لكونه حادثاً، كتبتُ ملاحظة على ورقة صغيرة تقول فيها: "لا يمكنني المضي"، لا بد أن الرسالة قد وصلت في برهة عصر أمس. كان المقلب على الأرض بجانب كرسبها، وكانت الرسالة نفسها قد كُوِّرت وألقيت قرب الموقد.

- ماذا كانت...

سكتُ وقد أربكتني جرأتي، فقلت: أرجو العذرة.

ابتسم غريفيث ابتسامة حزينة سريعة وقال: لا تتخرج من السؤال؛ إذ لا بد أن تُقرأ تلك الرسالة في التحقيق. هذا ما لا مفر منه، وهو أمر يدعو لمزيد من الأسى. كانت رسالة من نفسي ذلك الطراز... كتبتُ بنفس الأملاب الشريرة. ولكن الاتهام المحدد هو أن الولد الثاني، كولير، لم يكن ابن سيمنتن.

صحت غير مصدق: أتظن ذلك صحيحاً؟

رفع غريفيث كتفيه حيرة وقال: ليس لدي من الوسائل ما يمكنني من تكوين حكم. لم أت إلى هنا إلا منذ خمس سنوات، وحسبما رأيت، دوماً فلان سيمنتن وزوجته كانا زوجين هادئين

سعيدين بهجان بعضهما وأطفالهما. صحيح أن الولد لا يشبه والديه بشكل محدد... نشعر أحمر فاتح، من ضمن أمور أخرى... ولكن لا تغفل كثيراً ما يعود لأجمل أوصاف جده أو جده.

- ربما كان عدم التشابه هذا هو الذي تسبب في ذلك الانتهام بحدوثه؟ إنه اتهام شنيع أطلق حزناً دون أي مبرر.

- محتمل جداً؛ إذ لم يكن ذلك القلم المسموم ينطلق من أية معرفة دقيقة باستثناء الحقد المنفصل والضغينة.

قالت حوانا: ولكنه صادف أن أصاب مقتلاً، وإلا لما كانت ستقتل نفسها، أليس كذلك؟

قال غريفيث مرناً: لست متأكداً تماماً. كانت السيدة ميتة منذ بعض الوقت، وكانت مصابة بغضاب وهستيريا كنت أعالجها معها، أظن من الممكن أن تكون العبدمة - عند تلقيها مثل هذه الرسالة التي صيغت بتلك العبارات - قد أدت إلى حالة من الذعر والاكتئاب اليائس مما جعلها تفكر في الانتحار. ربما قلتُ إلى حدٍ شعرت معه أن زوجها قد لا يصدقها إذا أنكرت القصة، وربما أثر عليها الشعور بالخزي العام والاشتمال مزعومة أدت إلى زعزعة قدرتها على الحكم على الأشياء لفترة مؤقتة.

قالت حوانا: التحار في حالة عقلية مضطربة.

- بالضبط، أظن أنني سأكون معذوراً تماماً في عرض وجهة النظر هذه أثناء التحقيق.

قالت حوانا: فهمت.

كان في صوفها شيء جعل أوبن يقول بصوت غاضب: سأكون معذوراً تماماً. ثم أضاف: ألا توافقين على ذلك يا آنسة بيرتن؟

- أوه، نعم، أوافقك. لو كنت مكانك لفعلت نفس الأمر.

نظر أوبن إليها نظرة ارباب، ثم ذهب بعده في الشارع، ودخلنا إلى البيت. كان الباب الأمامي مفتوحاً وهذا الدخول أسهل من ذي الحرس، خصوصاً عندما سمعنا صوت إلسي هولاند بالدخول. كانت تتحدث إلى السيد سيمنتن الذي ألقى بحجمه مترهاً على كرسي. وهو يبدو ذاهلاً تماماً؛ كلاً، بحسب أن تأكل شيئاً يا سيد سيمنتن. أنت لم تتناول الإفطار، أو ما أسميه الإفطار الصحيح، ولم تأكل شيئاً اللطيف الماضية، وإن العذبة وغيرها متعملك تعرض أنت الآخر، وأنت تحتاج كل قوتك. وقد قال الطبيب ذلك قبل أن يفادر.

قال سيمنتن بصوت لا حياة فيه: هذا من طفلك يا آنسة هولاند، ولكن...

قالت إلسي هولاند: فنتجان من الشاي الساعن الجديد. ثم دفعت له بالشاي أمامه.

أما شخصياً، كنت سأعطي هذا المسكين كأساً من الليمون ليعيشه قليلاً، فقد بدا أنه بحاجة إليه. ومع ذلك قبل الشاي وقال وهو يرفع بصره إلى إلسي هولاند: لا أستطيع التعبير عن شكري لكل ما فعلته وتعلمته يا آنسة هولاند؛ لقد كنت رائعة تماماً.

احمر وجه الفتاة وبدأت مسرورة وقالت: حملي منك أن تقول

هذا يا سيد سيمنتن. بحسب أن شكري الفعل كل ما أستطيعه لمساعدتك. لا تقلق على الطفلين... سأتولاهما برعائي، وقد هدأت الحدم، وإذا كان هناك شيء يمكنني فعله، كتابة رسائل أو مكالمات هاتفية، فلا تردد بطلب ذلك مني.

قال سيمنتن ثانية: هذا من لطفك الشديد.

عندما التفتت إلسي هولاند رأياً رجاءت إلى العالة معسرة قاللة بهمس خافت: أليس الأمر مرعباً؟

رأيت وأنا أنظر إليها أنها فتاة لطيفة حقاً. لطيفة، وقديرة وعملية في أوقات الطوارئ. كانت عيناها الزرقاوان الرائعتان صحرتين خيلاً مما يظهر أنها كانت من الرقة بحيث ذوت الدموع على موت سيدتها.

قالت جوانا: أيمكننا الحديث معك دقيقة؟ لا تريد لزجاج السيد سيمنتن.

أوصات إلسي هولاند برأسها مسترعية وتقدمنا إلى غرفة الطعام في الجانب الآخر من الصالة. قالت: كان وقع الأمر كبيراً عليه... يا لها من صدمة! من كان يظن أن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث؟ لكنني أدرك الآن بالطبع أنها كانت غريبة الأملوار عند رخص؛ كانت عصبية المزاج كثيراً وكثيراً البكاء. كنت أظن ذلك سبب سجنها، رغم أن الدكتور غريفيث كان يقول دائماً إن سجنها جيدة؛ لكنها كانت فتاة سريعة الاهتياج وأحياناً لم تعرف كيف تعاملها.

قالت جوانا: إنه ما جئنا لأجله حقيقة هو معرفة ما إذا كان

بامتطاعتنا أخذ ميفان عندنا بضعة أيام... هذا إن رغبت هي بالأمر.

بدت إليّ هولاء مندهشة بعض الشيء، ثم قالت بارتياح:  
ميفان؟ لا أعرف. أقصد أنه لطف كبير منك، ولكنها فتاة غريبة  
الأطوار، لا أحم. أعلم ما الذي ستقوله أو تشعر به بخصوص الأشياء.  
قالت حيواناً بشيء من التمعن: رأيت أن ذلك ربما يساعد.

أوه، من هذه الفاحية فهو يساعد فعلاً. أقصد أنني بحسب أن  
أرعى الولدين (وهما الآن مع الطالبة) والسيد حينئذ المسكين..  
فهو يحتاج حقاً إلى العناية كالأخرين، وعندي الكثير مما ينبغي  
القيام به والإشراف عليه، وأنا لا أملك -فعلاً- وقتاً كالياً لرعاية  
ميفان. أظنها في غرفة الأطفال القديمة في الطابق العلوي. يبدو أنها  
تريد الاعتماد عن الجميع. لا أعرف إن كانت...

نظرت حيواناً إليّ نظرة خفيفة فهُرعت خارج الغرفة وصعدت  
الدرج وفتحت باب غرفة الأطفال ودخلت. كانت غرفة الأطفال  
القديمة في أعلى البيت، وكانت الغرفة الواقعة تحتها تشرف على  
الحديقة من الخلف ولم تكن الستائر فيها مسدلة، أما في هذه الغرفة  
التي تواجه الطريق فكانت الستائر مسدلة.

رأيت ميفان من خلال شوه خافت. كانت جالسة على أريكة  
عند الحائط البعيد وقرأت لي على الفور صورة حيوان مخالف،  
محتج. بدت كمن شله الخوف، قلت: "ميفان"، وتقدمت نحوها  
منياً -دون وعي- نبرة من يردد طمأنينة حيوان مخالف. وأنا منهش  
حقاً لأنني لم أمد يدي بحزرة أو قطعة من السكر، فقد كان هذا ما  
شعرت به.

نظرت إليّ، ولكنها لم تتحرك ولم تتغير ملامح وجهها. قلت  
مرة أخرى: ميفان، لقد جئتُ وحيواناً لطلب منك القلوم لتفحصي.  
معنا بعض الوقت (لا شئت).

جاء صوتها من خلال الضوء المخافت عميقاً كأنما هو أمّ من  
أجدود: أقيم معكم؟ لي بيتكم؟

- نعم،

- أتمنى أنك ستأخذني بعيداً عن هذا المكان؟

- نعم يا عزيزتي.

فجأة بدأ حسداً كنه يرتجف، وكان ذلك مخيفاً ومؤثراً.  
قالت: أوه، أرجوك أن تأخذني بعيداً أرحوك... إن البقاء هنا  
والشعور بكل هذا الشر أمر قضيع.

تقدمت منها فشبثت يداها بأكمام معطفي وقالت: أنا جبانة  
حداً... لم أكن أعرف أنني جبانة هكذا.

- لا بأس عليك؛ هذه الأمور لرحق الأعصاب. هيا،

- هل يمكنك الذهاب فوراً دون انتظار دقيقة واحدة؟

أظن أن عليك أن نسعي بعض حاجياتك.

- أية حاجيات؟ لماذا؟

- يا عزيزتي، يمكننا أن نوفر لك سريراً وحماماً وغير ذلك،  
ولكني لا أستطيع إعارتك فرشاة أسناني.

ضحكت ضحكة ضعيفة باهتة وقالت: فحمت. أظن أنني غيبة اليوم... سأذهب وأحزم بعض الأشياء. أين تذهب؟ هل تنتظرنني؟

- سأنتظرك.

- أشكرك... أشكرك كثيراً. أسفة لأنني بمثل هذا الغباء ولكن فدايا الأم أمر فطبع.

- أعرف.

خرجت من غرفتها فوجدت في فطيرة أمثالها وهي تسير في غرفة نومها، فيما نزلت أنا إلى الطابق السفلي، كنت وجدت ميغان وهي قادمة.

صاحت إلي هي هولاندت هذا شيء رائع، هذا سيلهيها تماماً. إنها فتاة صعبة عصية المزاج؛ سأرتاح تماماً حين أشعر أنني لن أنشغل بها مع المشاغل الأخرى. هذا لطف كبير منك يا آنسة بيرن. أرحو ألا تكون مصدر إزعاج لكما، أود جرس الهاتف يرن، يجب أن أذهب لرد عليه، فمزيجي سيمتحن ليس مستعداً لذلك.

ثم أسرعت خارجة من الغرفة فوجدت جواركا: إنها الملاك المحارس تماماً!

قلت: لقد قلت هذا بشيء من اللوم، إنها فتاة لطيفة وكرهية؛ وواضح أنها قديرة جداً.

- جداً، وهي تعرف ذلك.

- هذا ليس من طبعك يا جواركا.

• لا أنحمل رؤية من يزهو بنفسه؛ فهذا يشتر أسوأ غرامزي! كيف وجدت ميغان؟

- كانت حائسة في غرفة معنمة أشبه بفراش مصاب.

- مصكينة. أكانت راغبة تماماً في المجيء؟

- لقد ففرت من الفرحة.

معنمة صوت أقدام في الصالة دلت على مرور ميغان حاملاً حقيبتها، خرجت وأخذتها معها، وقالت جواركا: ها بسرعة! ألا يكفي أنني رفضت مولي حتى الآن شرب كوب حار رابع من الشاي؟

خرجنا إلى السيارة فدعشنا ميغان وتبعها، وانطلقت بنا حواتنا. وصلنا إلى لين فيرز ودخلنا غرفة الاستقبال. أنقذت ميغان نفسها عني كرسي وانفجرت في البكاء. بكت بكاء الأطفال المربر... وكان بكائها أقرب إلى الصراخ، تركت الغرفة بحثاً عن علاج، فيما دفعت جواركا وهي تشتر باللعن كما أنش.

وتبعها ما سمعت صوت وهي تقول بصوت خففت العسرات: أسفة للعل! يبدو كتصرف الحمقى.

قلت جواركا بلطف: إلهالاً، خذي متديلاً آخر.

وأحسب أنها قدمت لها ما يصلح حالها قبل أن أتبعها بكأس من عصير الليمون قبلته مني بامتنان، ثم حوكت انبائها إلى جواركا وقالت: أنا أسفة حقاً لهذا الإزعاج الذي سببته لك في الصباح بهذه

الطريقة. لا أعرف لماذا... يبدو تصرفاً ضعيفاً مع سعادتني الكبيرة بوجودي هنا.

قالت جوانا: لا بأس، نحن سعداء جداً بوجودك معنا.

- لا يمكن ذلك... هذا لعلف ملكما، لكنني مستعدة لكم.

أرجو ألا تشكرنا؛ فهذا سيثيرني بالحرج. كنت أقول الحليفة عندما أكدت أننا سعداء بوجودك معنا؛ لقد استهلكنا أنا وخيري كل الحديث، فما عدنا نستطيع التفكير بأشياء أخرى نقولها.

قلت: ولكن سيحكي الآن التحولات سيوية في مختلف الموضوعات الشيفة... عن جينيريل وريغان وغير ذلك من الأمور.

أشرق وجه ميفان وقالت: كنت أفكر بهذا، وأظن أنني أعرف الإجابة: والدعما العجوز الفظيع كان يلح دائماً على سماع مثل هذا التملق والتبذل. عندما تضطر دوماً لأن تقول: "شكراً" وهذا لعلف منك" وغير ذلك من كلمات التملق والمديح فإن هذا يخلف في داخلك بذرة غضب وشذوذ، وسوف تشتاق لأن تكون إنساناً قاسياً من باب التغيير... وعندما تنأج لك الفرصة، فربما وجدت أن الفكرة قد دخلت رأسك، لتذهب بعيداً في ردود أفعالك. فقد كان العجوز لير فظيلاً جداً، أليس كذلك؟ أقصد أنه كان يستحق فعلاً التوبيخ الذي سمعه من ابنته كررديا.

قلت: أظن أننا ستخوض في كثير من الأحاديث المتصوقة عن شكسبير.

قالت جوانا: أرى أنكما متكشفتان عن ثقافة رقيقة واسعة. أما

أنا فأعشى القول بأنني أجد كتابات شكسبير دائماً كئيبة مملّة.

قلت وأنا ألتفت إلى ميفان: كيف تشعرين الآن؟

- على ما يرام، أشكرك.

أعدت جوانا ميفان إلى الدور العلوي لتفريغ حقيبتها، وحدثت بارتريديج وهي تبدو متجهمة فقالت إنها عملت كأسين من الكاستر للفداء، لماذا نصنع حيال هذا الأمر؟

• • •



## الفصل السادس

جرى التحقيق بعد ذلك بثلاثة أيام، وقد تم بصورة لائقة قدر الإمكان. ولكن الحضور كانوا بأعداد كبيرة، وكما عُلقت جوانا؛ كانت قلنسوات النساء حول وجوههن تتحرك صعوداً ونزولاً لكثرة أحاديثهن.

تم تحديد وقت وفاة السيدة سيمينغتن فيما بين الساعة الثالثة والرابعة. كانت وحدها في البيت، وكان زوجها في مكتبه، فيما غابت الخادومات في عطلتهن الأسبوعية، وكانت إلسي هولاند والولدان في الخارج يتمشون، أما ميغان فكانت قد خرجت في جولة على الدراجة.

لا بد أن الرسالة قد جاءت في بريد العصر. ولا بد أن السيدة سيمينغتن قد أخذتها من الصندوق، وقرأتها... ثم ذهبت - وهي في حالة من الاحتياج والغضب - إلى سقيفة الأواني وأحضرت بعضاً من السيانيذ (الموجود هناك للقضاء على أعشاش الزنابير) فحلته في الماء وشربه بعد ما كتبت كلماتها المنفصلة الأخيرة تلك: "لا يمكنني الاستمرار..."

وقدّم أوين غريفيث شهادته الطيبة وشدّد على رأيه الذي أوضحه لنا عن الحالة العصبية عند السيدة سيمينغتن وضعف قدرتها على الاحتمال. كان قاضي التحقيق لطيفاً وحكيماً، وقد دان بمسألة أولئك الذين يكتبون هذه الأشياء الحفيرة؛ الرسائل المغلفة، وقال إن كاتب تلك الرسالة الشريرة والكاذبة - كائناً من كان - مسؤول أخلاقياً عن جريمة القتل، وأعرب عن أمله في أن يتمكن الشرطة قريباً من اكتشاف الفاعل لاتخاذ إجراء ضده رجلاً كان أم امرأة، لأن تصرفاً جباناً حاقداً كهذا يستحق أقصى عقوبة يفرضها القانون.

وبناء على أقواله تلك، توصل المحلفون إلى الحكم الحتمي: انتحار في لحظة جنون مؤقت.

وقد بذل القاضي كل ما في وسعه... وكذلك أوين غريفيث، ولكني بعد ذلك - عندما اختلطت بجموع نسوة القرية المحتشدة المتلهفة - سمعت نفس الهمسات البغيضة التي بدأت أعرفها جيداً مثل: "لا دخان بلا نار، هذا رأيي!" أو "لا بد من وجود شيء في الأمر، وإلا ما كانت لتفعل ذلك أبداً..."

وفي تلك اللحظة كرهت لايمستوك، وكرهت حدودها الضيقة ونساءها الهماسات الشرارات.



يصعب تذكر الأشياء حسب ترتيبها الزمني الدقيق. كان المعلم الهام التالي - بالطبع - هو زيارة المفتش ناش، ولكن أظن أننا تلقينا قبل هذه الزيارة زيارات أخرى من أشخاص عديدين من

البلدة، وكانت كل زيارة من تلك الزيارات مثيرة للاهتمام بطريقتها الخاصة بإلقائها بعض الضوء على الشخصيات المعنية.

جاءت إيمي غريفيث في صباح اليوم الذي تلا التحقيق. كانت تبدو كمعادتها مليئة بالحيوية والنشاط والحماس ونجحت - كمعادتها أيضاً - في إزعاجي على الفور تقريباً. كانت جوانا وميغان خارج البيت ولذلك قمت بالواجب.

قالت الأنسة إيمي غريفيث: صباح الخير... سمعت أنكما تستضيفان ميغان هنتر عندكما هنا؟

- نعم.

- هذه طيبة منكما؛ لا بد أن في ذلك إزعاجاً لكما. حنت لأقول إن بوسعها أن تأتي إلينا إن شاءت. أظن أن باستطاعتي إيجاد وسائل لجعلها مفيدة في البيت.

نظرت إلي إيمي غريفيث نظرة استياء شديد وقلت: هذا لطف منك، لكننا نود بقاءها معنا؛ إنها سعيدة تماماً بالتسكع هنا.

- أظن هذا. هذه الطفلة تحب التسكع كثيراً، ولعلها لا تملك أن تكون غير ذلك؛ فهي عملياً بنصف عقل.

- أظن أنها فتاة ذكية.

نظرت إيمي غريفيث إلي نظرة قاسية وقالت: هذه هي أول مرة أسمع فيها شخصاً يقول هذا عنها... حتى أنك عندما تتحدث إليها فإنها تنظر إليك وكأنها لا تفهم ما تقوله!

- ربما لا تكون مهتمة بالموضوع فقط.

- إن كانت كذلك فهي وقحة جداً.

- ربما، ولكنها ليست بنصف عقل.

قالت بحدة: إنه الشرود والغفلة في أحسن الأحوال. ما نحتاجه ميغان هو عمل دؤوب جيد؛ شيء يجعلها تهتم بالحياة أنت لا تتصور الاختلاف الذي يحدثه ذلك في حياة الفتاة. أنا أعرف الكثير عن الفتيات، وسيددهشك الاختلاف الذي يحدث عند الفتيات حتى من الانخراط في سلك الكشافة. إن ميغان أصبحت أكبر بكثير من أن تقضي وقتها في التسكع والبطالة.

- كان من الصعب عليها حتى الآن عمل شيء آخر؛ فقد بدا دوماً أن السيدة سيمنتن ترى فيها فتاة في الثانية عشرة من عمرها.

زفرت الأنسة غريفيث بازدياء وقالت: أعرف، ولم أكن أطيق صبراً على موقفها ذاك. المسكينة ميتة الآن بالطبع، ولذلك لا أريد قول المزيد، ولكنها كانت مثلاً نموذجياً للمرأة غير الذكية التي لا تشغلها إلا هموم المنزل: لعب البريدج والقيل والقال وأطفالها... وحتى في مسألة الطفلين كانت لديها الأنسة هولاند تقوم بالعناية بهما. أنا لم أكن من المعجبات أبداً بالسيدة سيمنتن، رغم أنني لم أشك في الحقيقة أبداً.

قلت بحدة: الحقيقة؟

احمر وجه الأنسة غريفيث وقالت: لقد أسفت كثيراً على السيد سيمنتن بسبب نشر كل تلك الأمور في التحقيق. كان ذلك

أمراً شديداً الحرج بالنسبة له.

- ولكن لا سد أنك سمعته وهو يؤكد عدم وجود كلمة صحيحة واحدة في تلك الرسالة... وأنه متأكد تماماً من هذا؟

- طبعاً قال ذلك، وهو موقف صحيح تماماً. لا بد أن يقف الرجل مدافعاً عن زوجته، ومن شأن ذلك أن يفعل ذلك.

سكنت قليلاً ثم أوضحت: لقد عرفت ذلك سيمنتن منذ وقت طويل.

فوجئت قليلاً وقالت: حقاً؟ لقد فهمت من أخيك أنا اشترى عيادته هنا منذ بضع سنوات فقط.

- نعم، ولكن ذلك سيمنتن كان يأتي قبل ذلك ويقيم في منطقتنا في الشمال. لقد عرفته منذ سنوات.

إن النساء يقفون إلى نتائج لا يقفز إليها الرجال، ومع ذلك فإن نبرة إيمي غريفيث التي أصبحت ناعمة فجأة جعلت أفكاراً عديدة تراودني. نظرت إلى إيمي بفضول، فيما واصلت هي حديثها بذلك الصوت الناعم: أعرف ذلك جيداً... إنه رجل ذو كبرياء، ومتحفظ جداً، ولكنه من النوع الذي يمكن أن يكون غيوراً جداً.

قلت متأنياً: هذا يوضح سبب خوف السيدة سيمنتن من عرض الرسالة عليه أو إخباره عنها. كانت تخشى - نتيجة غيرته - ألا يصدق إنكارها.

نظرت الأنسة غريفيث إليّ بغضب وازدراء وقالت: يا إلهي،

هل تظن أن من شأن امرأة أن تذهب وتبتلع كمية من سيانيد البوتاسيوم بسبب اتهام غير صحيح؟

- يبدو أن قاضي التحقيق رأى ذلك ممكناً، وأخوك أيضاً...

قاطعتني إيمي: الرجال كلهم سواء؛ كلهم يريدون المحافظة على الآداب العامة. ولكنك لن تراني أنا أصدق هذا الهراء. إذا تلقت امرأة بريئة رسالة مجهولة قدرة فإنها تضحك وتلقي بها بعيداً. أنا هكذا...

سكنت فجأة ثم أكملت: كنت سأفعل.

لكنني تنبعت لسكونها القصير هذا. كدت أكون وألقاً أن ما أرادت قوله هو: "أنا هكذا فعلت". قررت نقل الحرب إلى ساحة الخصم فقلت بمرح: فهمت، إذن فقد استلمت واحدة من تلك الرسائل أيضاً؟

كانت إيمي غريفيث من النوع الذي يحتقر الكذب. سكنت بعض الوقت واحمرّ وجهها ثم قالت: حسناً، نعم. لكنني لم أتركها تفلقني!

سألتها متعاطفاً إذ كنا في البلية سواء: هل كانت بذيئة؟

- بالطبع، هذه الأشياء دائماً بذيئة. إنها هذيان شخص معتوه. قرأت بضع كلمات منها وفهمت ما هي وألقيتها مباشرة في سلة المهملات.

- ألم تفكري في أخذها إلى الشرطة؟

- لم أفكر بملك وقتها، فقد شعرت - كما يقول المثل - بأن الكلام كلما قل كان إصلاحه أسرع.

أخسست بدافع في داخلي بدفعني لأقول: "لا دخان بلا نار"، ولكنني ضبطت نفسي - وحتى أجنب هذا الإغراء انتقلت إلى موضوع ميثاق. قلت: هل لديك أي علم بوضع ميثاق الصلي؟ نبي هذا فعلاً تافهاً من ناحيتي، ولكنني كنت أفسد إن كان من الضروري لها أن تعمل.

- لا أفله ضرورياً بالمعنى المحدد. لقد تركت نهجاً حاداً لها بدلاً من أن أفكر، وعلى أية حال سيأتي ذلك سيمتحن معاً لها السكك والمصروف حتى لو لم تتحرك لها أمها أي شيء. كلا، ولكن الممالة مسألة بعيداً.

- أي مبدأ؟

- العمل يا سيد بيرن... لا شيء، مثل العمل. إن التكسل هو الخطيئة التي لا تغفر.

- لقد طرد السير إدوارد غري - الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية - من جامعة أكسفورد بسبب كسبه السذي لا سبيل لإصلاحه. وسبعت أن أدرك ويلنغتون كان غيباً ومهملًا لواجباته الدراسية. ثم ألم يحظر ببالك - بما أنسة غريغث - أنك ربما لم تكوني قادرة على استقلال قطار سريع إلى لندن لير أن جورج سيغنس كان قد خرج في نشاط شبابي بدل أن يتسكع سلباً في مطبخ والدته حتى استمرت انتباهه الكسول الطريقة الغريبة التي يعمو ويهبط فيها غطاء الإبريق على النار، فكان ذلك بداية ابتكار الفطار؟

أخسست إيمى بأن زفرت بتأفف، فيما قلت وأنا أتحسس لموضوعي: إن لدي نظرية تقول إننا ندين بمعظم اختراعاتنا العقلية ومعظم الإنجازات العبقريّة إلى الكسل... الإجماري منه والطوعي. إن العقل البشري بفضل أن يتغذى على أفكار الآخرين، ولكنه عندما يحرم من هذا الغذاء فإنه سيبدأ كارهاً في التفكير لذاته... وتذكرى إن مثل هذا التفكير هو تفكير إبداعى وقد يؤدي إلى نتائج قيمة.

ثم أكملت قبل أن تزفر إيمى من جديد: ولقد ذلك فهناك خصائص القبي.

بهرت وأخذت من مكنتي صورة كانت تلامني دائماً لعنظر صبي مقبّل عندي. كانت تمثل رجلاً عجوزاً يجلس تحت شجرة - مني نفسه بملك اللعبة القديمة التي يشبك الأطفال فيها حيولاً - أصابعه نحى يؤنسوا عنها شكلاً عندما أصبحت. أحضرت الصورة - وقلت لها: كانت في المعرض القيني، وقد سحرتني. اسمحي لي أن أريك إياها، إنها تدعى "رجل عجوز يستمتع بمسكة الكسل".

لم تأثر إيمى عرفت لصورتي الجميلة، وقالت: حسناً، إننا نعرف جميعاً كيف هي طبيعة الصينيين!

سألها: ألا تعجبك؟

- بصراحة، لا. نست مهتمة كثيراً بالفرن، إن موقفتك يا سيد إيرش هو موقف تقليدي لمعظم الرجال؛ فأنت تكره فكرة عمل النساء... ومناقستهن...

فوحشت بكلامها، فقد أصبحت في موقف معادٍ للحركة

النسابة. وسرعان ما غضت إيمي وقالت: وقد احصرت وحنناها؛  
أنت تستعرب سعي المرأة وراء مهنة لها، والداي - أيضاً - كانوا  
يستغربان ذلك، كنت شديدة الحرص على دراسة الطبيب، ولكنهما  
لم يوافقا على دفع رسوم الدراسة، ومع ذلك ذهباها لأخي أوبن عن  
طبيب عفاطر، ربما كان من شأنه أن أصبح طبيباً أفضل منه!

- أنا أسف لذلك. ربما كان وقعه صعباً عليك، فلماذا أراد  
المرء فعل شيء...

أكملت حديثها بسرعة؛ لقد تغلبت على ذلك الآن. لئدي  
الكثير من قوة الإرادة! حياتي مشغولة ونشطة. إنني واحدة من أسعد  
الناس في لاهمستوك. لئدي الكثير من الأعمال أقوم بها، لكنني  
أحارب ذلك التميز الرجعي السخيف الذي يقول إن مكان المرأة  
في بيتها دائماً.

- آسف إن كنت قد أغضبتك، فذلك لم يكن - حقاً - ما  
قصدته. ولكنني لا أستطيع تصور ميلان في دور امرأة بشكل ثابت  
محور حياتها.

- لا، إنها طفلة مسكينة. أحشى أنها لن تصلح في أي مجال.  
كانت إيمي قد هدأت وعادت تتحدث بأسلوبها القلبيعي:  
أبرها كما تعلم...

ثم سكنت، فقلتُ بفظافة: كلا، إنني لا أعلم. الجميع يقولون  
"أوهاء"، ثم يخفزون أصواتهم. ماذا كان يفعل الرجل؟ أما زال على  
تهد الحياة؟

- لا أعرف حقاً. كما أنني - شخصياً - أحول الكثير من شؤون  
أبيها، ولكنه كان رجلاً سيئاً بالتأكيد. أظنه من أصحاب السجون،  
كما أن في عائلته عرق شذوذ قوياً. هذا ما لا يجعلني أقاسم إذا ما  
كانت ميلان "ناقصة" قليلاً.

- بل هي لي كامل قواها العقلية، وكما قلتُ من قبل فإني  
اعتبرها فتاة ذكية. أحبتي تراها كذلك أيضاً، إن جازنا نحيا كثيراً.

قالت: أحشى أن أختك تحب المكان هنا مثلاً جداً دون شك.

وعندما قالت عبارتها تلك أدركتُ شيئاً آخر، فقد كانت  
إيمي غريبتُ تكرة أحسني. كان ذلك واضحاً في ليرات صورتها  
الهادئة والتفليدية. قالت: لقد تعجبنا جميعاً من قدرتكما على تحمل  
العزلة في مكان لاهم كهذا.

كان ذلك سؤالاً وقد أجبت عنه: إنها أوامر الطبيب. كان عليّ  
أن أذهب إلى مكان هادئ جداً لا يحدث فيه شيء. سكنتُ ثم  
أضفت: وهو ما لا يصبح تماماً على لاهمستوك الآن.

- صحيح، صحيح.

بهذه قلقة، ثم نهضت لكي تذهب قالبة؛ يجب وضع حد  
لكل هذه الوحشية! لا يمكننا السماح باستمرار هذا الحال.

- ألا يفعل الشرطة شيئاً؟

- ليست أدري، لكنني أظن أن علينا معالجة الأمر باللعنة.

- نحن لا نملك الوسائل التي يملكونها.

قالت: "هراء! ربما كنا أكثر منهم إدراكاً وذكاء! إن كل ما نحتاجه هو شيء من التصميم". ثم ودعنتي بسرعة وذهبت.

عندما عادت جونا وميفان من رحلتيهما أرابت ميفان صورتي الصبينة، أشرق وجهها وقالت: إنها رائعة، اليس كذلك؟

... هذا في الواقع هو رأيي.

كان جينها يتجعد بالطريقة التي كنت أعرفها جيداً عنها. قالت: ولكن من شأن ذلك أن يكون صعباً، اليس كذلك؟

... أن يكون المرء كسولاً؟

... لا، ليس أن يكون كسولاً... ولكن أن يستمتع بالكسل! إذ عليك أن تكون كبيراً في السن كثيراً...

سكنت فقلت لها: وهو بالفعل رجل عجوز.

... لا أقصد أنه كبير بهذا المعنى. لا أقصد السن. أقصد أن يكون كبيراً من... في...

... تقصدين أن على المرء أن يرقى إلى درجة عالية من التحضر حتى يبدو له الأمر على هذا النحو... أي أنها نقطة دقيقة لا يدهمها إلا عقل مقطور ممدد؟ أظن أنني سأكمل تعليمك يا ميفان بأن أقرأ عليك مئة قصيدة شعرية مترجمة عن اللغة الفيلية.

• • •

قابلت سيمنتن في البلدة في نفس ذلك اليوم وصانته: هل نسي

الأمر شيء لو أن ميفان بقيت عندما قليلاً! إنها تؤنس جونا... فهسي تشعر بالوحشة أحياناً لعدم وجود أي من صديقاتها.

... أوه... ميفان! أوه نعم، كرم كبير منك.

شعرتُ عندما بكرهية لسينتس لم أستطع التخلص منها تماماً بعد ذلك! فمس الواضح أنه قد نسي كل شيء عن ميفان. ما كنت لأهتم لو أنه كره الشتاء كرهها إيجابياً إذا صح التعبير... فقد يغار الرجل أحياناً من ابن الزوج الأول... ولكنه لم يكن بكرهها، بل إنه لا يكاد يشعر بوجودها. كان شعوره نحوها أشبه بشعور رجل لا يهتم كثيراً بالكلاب وصادف أن في بيته كلباً. فإنك في هذه الحالة لا تلاحظ وجود الكلب إلا عندما ترتطم به فتشتمه، وأنت تربت عليه بشكل عارض عندما يتمسح بك. لقد أزعجتني كثيراً عدم مبالاة سيمنتن المطلقة بابتة روحه.

قلت له: ما الذي تخطط لعمله بشأنها؟

بما وكأنه قد حصل لسؤالي وقال: بشأن ميفان؟ متواصل حيائها في البيت. أتعتقد أنه بيتها طبعاً.

كانت جدتي التي كنت أحبها كثيراً تغني أغاني قديمة علي فنارتها، وأذكر إن إحدى تلك الأغاني كانت تنتهي هكذا:

"أنا لست هنا يا فتاتي الغالية،

ليس عندي بيت أو مكان،

ولم يعد لي مأوى لا في البحر ولا على الشاطئ

سوى في قلبك".

لغرض معين.

ذهبت إلى البيت وأنا أدندن بهذه الأغنية.

قلت متجهماً: لقد أرسل لغرض بالتأكيد.

• • •

جاءت إميلي بارتون بعد تناولنا الشاي مباشرة. أرادت الحديث بشأن الحقيقة، فخرجنا وتحدثنا لحواً من نصف ساعة، ثم درفنا وعدنا إلى البيت. وعندها خلعت صولتها وهمت: أرحر ألا تكون تلك الطفلة... قد تصابقت كثيراً من كل هذا الأمر الرهيب؟

- تقعين وفاة أمها؟

- عنت ذلك طبعاً. ولكن ما تصدته حقيقة هو... بشاعة الاتهام الذي يقف خلف ذلك.

شعرت بالفضول وأردت معرفة رد فعل الأنسة بارتون فقلت: ما رأيك بذلك الاتهام، أكان صحيحاً؟

- أوه، كلا، كلا بالتأكيد؟ إنني واثقة أن السيدة سيمنتن لم يسبق لها... إنه لم يكن... احمر وجه إميلي بارتون وارتبكت، ثم اكملت كاللثة: أقصد أنه غير صحيح على الإطلاق... رغم أنه قد يكون بالطبع حكماً تم إطلاقه.

قلت وأنا أصدق لها: حكماً؟

اشتد احمرار وجهها وقالت: لا أعطك إلا أن أشعر بأن كل هذه الرسائل الفظيعة وكل هذا الحزن والألم الذي سببته، إنما أرسل

- كلا، كلا، لقد أسأت فهمي يا سيد بارتون، لا أتحدث عن ذلك الإنسان الضال الذي كتبها... فلا بد أنه شخص منسود تماماً، أقصد أن العناية الإلهية هي التي سمحت بذلك! حتى توفقتا وتبينتا (لبي عبرتنا)

- كلا، لا يقللم الله الثامر بغير ذنوب يرتكبوها، فإن لم تكن كما تقول تلك الرسائل فلا بد أن الذي كتبها إنسان شاذ.

- ما لا أستطيع فهمه هو لماذا يريد أي امرئ فعل مثل هذا الشيء؟

رفعت كفي حيرة وقلت: عقبة مريضة.

- يبدو أمراً محزناً جداً.

- لا يبدو لي محزناً، بل يبدو أمراً يستحق اللعنة. ولست بأسف على استخدام هذه الكلمة، فهذا ما أعنيه تماماً.

كانت الحمرة قد اختفت عن وجهي الأنسة بارتون، وأصبحت شاحبتين تماماً. ولكن لماذا يا سيد بارتون، لماذا؟ أمة متعة يمكن للمرء أن يحصل عليها من هذا الأمر؟

هذا ما لا نستطيع فهمه - لا أنت ولا أنا - والحمد لله.

خلعت إميلي بارتون صولتها وقالت: يقولون إنها المسيدة

كليت... ولكن لا يمكنني تصديق ذلك.

هزئت رأسي، فواصلت حديثها باهتاج: لم يحدث مثل هذا الشيء من قبل أبداً... لا أذكر حدوث أمر كهذا، كانت بلدة صغيرة سعيدة، ماذا كانت أمي العزيزة ستقول؟ لا بد أن نحمد الله إذ وفر عليها رؤية هذا الأمر.

ولكثرت بأف السيدة بارون المجر - من كل ما سمعته عنها - كانت امرأة قوية لا يمكن لأي شيء أن يؤثر عليها، ولعلها كانت مستمتعة بهذا الحدث العتيق.

أكملت إيلي حديثها: إنه أمر يحزنني كثيراً.

- ألم... ألم تلقي شيئاً منها؟

احمر وجهها كثيراً وقالت: آره، كلا.. سيكون ذلك فظيماً!

أسرعت بالاعتذار لها، ولكنها ذهبت وهي تبدو منزوعة بعض الشيء. دخلت البيت لأحد جوانا تقف قرب النار في غرفة الاستقبال وكانت قد أشعلتها لتوها إذ كان المساء بارداً، وكانت تمسك بيدها رسالة مفتوحة.

عندما دخلت التفت إلي بسرعة وقالت: حيري! وجدت هذه في صندوق الرسائل.. وضع في الصندوق باليد. إنها تبدأ بالقول: "أيتها المومس العتيقة..."

- ماذا تقول غير ذلك؟

قالت وقد كثرت نكسيرة عريضة: نلس القضاة القديمة.

ثم انتبها في النار.

ولكنني فزت بحركة مربعة المصّ ظهري فمسحتها قبل أن تشتمل فيها النار وقالت: لا ترميها، غدا نحتاج إليها.

- نحتاج إليها؟

- لأجل الشرطة.

• • •

جاء المفتش فاش لرؤيتي في صباح اليوم التالي، ومنذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها أحبيته كثيراً. كان كانضل ما يكون عليه مفتش شرطة محلي؛ طويل القامة عسكري السم، ذا عيين هادئين متأملين، وأسلوب صريح متواضع.

قال: صباح الخير يا سيد بيرن، أفن أنك تستطيع تخمين سبب مجيئي لرؤيتك.

- نعم، أفن ذلك. بخصوص تلك الرسالة.

أوما برأيه موافقاً وقال: فهمت أنك تلقيت واحدة منها.

- نعم، بعد وصولنا إلى هنا مباشرة.

- ماذا قالت بالضبط؟

فكرت دقيقة، ثم كررت كلمات الرسالة بأكبر قدر ممكن من الدقة. أصغى مدير المباحث دون أدنى حركة من وجهه، ودون أن يسدي أي نوع من الانفصال، وعندما انتهيت قال: فهمت. هل



احتفظت بتلك الرسالة يا سيد بيرتن؟

- أنا أسف. لم أحتفظ بها؛ فقد ظننتها حدثاً منقطعاً. لمناكفتنا  
كقادمين جدد إلى المنطقة.

أوما مدير المباحث برأسه مثلهما ثم قال بالقتصاب: هذا مؤسف.  
ومع ذلك فقد تلقت أحتي واحدة بالأمس، وقد منتهها في  
الوقت المناسب من إحراقها.

- أشكرك يا سيد بيرتن، هذا عمل حكيم منك.

ذهبت إلى مكتبي وفتحت فعل الفرج الذي صنعت فيه الرسالة.  
فقد رأيت من غير المناسب أن نراها بارنويديج. أعطيت الرسالة  
لناش، مقرأها متعمداً، ثم رفع بصره وسألني: أكانت الرسالة الأولى  
تشبه هذه من حيث المظهر؟

- أفن ذلك... حسناً أذكر.

- نفس الاختلاف بين المغلف ونص الرسالة؟

نعم. كان المغلف مكتوباً على الآلة الطباعة؛ أما الرسالة  
فكانت من كلمات قصت وأصقت على الورقة.

أوما ناش برأسه ووضعها في جيبه، ثم قال: ترى، هل يمكنك  
أن تأتي إلى مركز الشرطة معي يا سيد بيرتن؟ بإمكاننا أن نتباحث  
في الأمر هناك وسوف يوفر علينا هذا وقتاً كبيراً بالإضافة إلى تجنب  
تداخل العمل.

- بالتأكيد. أريدني أن أذهب الآن؟

-- إن لم يكن عندك مانع.

كانت سيارة الشرطة تنتظر عند الباب. فانطلقنا بها إلى  
المركز. قلت: هل تعتقد أن باستطاعتكم التوصل إلى حقيقة هذه  
المسألة؟

أوما ناش برأسه واقفاً وقال: أوه، نعم، سوف نصل إلى  
الحقيقة بالتأكيد. إنها مسألة وقت وروتين. مثل هذه القضايا تأخذ  
وقتها، ولكنها مطمونة الحل. إنها مسألة تطبيق للاحتتمالات وصولاً  
إلى القاعلي.

- عن طريق استثناء أسماء معينة؟

- نعم، بالإضافة إلى الإحصائيات الروتينية الأخرى.

- أتعني مراقبة صناديق البريد، وتفحص آلات الطباعة  
والبصمات وغير هذه الأمور؟

اتصم وقال: كما تقول.

في مركز الشرطة وجدت سيمنتن وغريث قلح مسبقاً إلى  
هناك. وقدماني لرجل طويل ذي فك طويل يلبس الملابس  
المانية ويدعى الملقب غريفر.

أوضح المفتح ثلاث قاعات؛ لقد جاء المفتح غريفر من لندن  
لمساعدتنا، فهو خبير في قضايا الرمال المحبولة.

اشتم المفتح غريفر بشجاعة حزينة. وفكرت في نفسي بأن  
حياة تُقضى في ملاحقة كتابتي الرسائل المحبولة لا بد أن تكون

منها... وأن تيزل ألت أيها الطبيب - على وجه الخصوص - بين مرضاك جهدك لإقناعهم بالمجيء برسالهم إلى هنا.

ثم قال وهو يفرز الرسائل المكرومة أمامه: لذي واحدة رجعت إلى السيد سيمنتن استلمها قبل حوالي شهرين، وواحدة إلى الدكتور غريفز، وواحدة إلى الألسة غيتش، وواحدة مكتوبة إلى السيدة مذبح زوجة الحزارة، وواحدة لجينيفر كلارك الساقية في مدلع تري كراونز، والرسالة التي تلقتها السيدة سيمنتن، وهذه الرسالة الآن إلى الألسة بيرس... أوه نعم، وواحدة أخذناها من مدير البنك.

فلت: إنها مجموعة تعمل كل الشرائع تماماً.

- ولها كلها مثل في القصص الأخرى! هذه الرسالة هنا لا تختلف بشيء عن تلك التي كتبها بالأمم القبعات تلك. وهذه الأخرى صورة طين أفضل عن حملة رسائل محرمة شهدناها في نورثامبرلاند، وكانت كاتبها طالبة مدرسة في ذلك الوقت. ولعلي أقول أيها السادة إنني أود رؤية شيء جديد أحياناً بدلاً من هذه الأساليب المكرورة نفسها.

تمتعتُ فألاً: لا جديد تحت الشمس.

- هذا صحيح... لو كنت في مهنتنا لعلمت ذلك جيداً.

تهنأ فاش وقال: نعم، هذا صحيح.

ثم تساءل سيمنتن: هل توصلتم إلى رأي محدد بخصوص هوية الكاتب؟

حياة كتيبة إلى أبعد الحدود، ومع ذلك أظهر المفتش غريفز نوعاً من الحماسة الكتيبة. قال بصوت عميق حزين ككليب الصبيد المحبب: هذه القضايا متشابهة كلها. سوف تندش لتشابه في كلمات الرسائل والأشياء التي تقولها.

قال فاش: حدثت عندنا قضية منها قبل سنتين فقط، وقد ساعدنا المفتش غريفز فيها.

وأبت أن بعض تلك الرسائل كانت منشورة على الطاولة أمام غريفز، ومن الواضح أنه كان يتلخصها. قال فاش: نكس الصعوبة في الحصول على الرسائل؛ فالتاس إما أن يحرقوها أو أنهم لا يعترفون أصلاً بأنهم استلموها. أغبياء، ويخافون من التورط مع الشرطة... الناس هنا متعلقون.

قال غريفز: ومع ذلك لدينا عدد لا بأس به هنا ويمكننا العمل به.

أخرج فاش الرسالة التي أعطيها له من جيبه ولفها أمام غريفز الذي ألقى عليها نظرة سريعة ثم وضعها مع الرسائل الأخرى قاتلاً باستحسان: جميل جداً... حقاً هذا جميل جداً.

ما كنت أنا لأصنف الرسالة تلك بهذه الطريقة، ولكني أحب أن للخبراء وجهات نظرهم الخاصة، وقد أسمعني أن يستمتع أحد بهذا الكم من الرسائل الفادحة البديهة الفاحشة.

قال المفتش غريفز: أعزبه أن لدينا ما يكفي لتباشر به عملنا، ومؤكد أن طلب منكم أيها السادة أن تحضروا لنا أية رسائل تحصلون عليها على الفور. وأيضاً إذا سمعتم عن شخص آخر تلقى واحدة

تصبح غريفرز وألقى محاضرة صغيرة: توجد بين كل هذه الرسائل عوامل مشتركة معينة، وسوف أعلّنها عليكم أيها السادة لعلها توحى لكم شيء: إن نص الرسائل مؤلف من كلمات مركبة من حروف منفصلة ثم قضتها من كتاب مطبوع، وهو كتاب قديم ألفته طبع حوالي العام ١٨٣٠. ومن الواضح أن الكاتب قد فعل ذلك لتجنب خطر التعرف عليه من خلال خط اليد، وهو أمر في غاية السهولة كما يعرف معظم الناس في أيامنا هذه، لمحاولات تغيير الخط لا تصمد أمام اختبارات الخبراء. لا توجد على الرسائل أو المخططات بصمات أصابع لشخص محدد، وهذا يعني أن الرسائل قد مرت على أيدي موظفي البريد وأيدي من أرسلت إليهم، كما أنه هناك بصمات أخرى، ولكن لا توجد بصمات تشترك فيها جميع الرسائل، مما يظهر أن الشخص الذي كتب الرسائل كان حريصاً على ارتداء القفازات. وقد فُيِّعت العناوين على المخططات الخارجية بواسطة آلة كتابية بالية تماماً من نوع "فودسور ٧" يخرج فيها حرفاً الألف والياء عن الخط المستقيم. ومعظم هذه الرسائل أرسلت من مكتب بريد البلدة أو أنها كانت توضع في صندوق البريد المتزلي باليد، ولذلك فمن الواضح أنها من أصل محلي. وقد كتبها امرأة، وبرأي أنها امرأة في وسط العمر أو أكبر قليلاً من ذلك، وربما لم تكن متزوجة، رغم أن هذا ليس أكيداً.

إن علونا سميت مطبق بعض الوقت ثم قلت: إن الآلة الكتابية هي أسهل السبل لديك، اليس كذلك؟ يجب ألا يكون كشفها صعباً في بلدة صغيرة كهذه.

هز غريفرز رأسه بحزن وقال: أفت مخطوئتي في هذا يا سيدي.

قال المغتسل للثلاث: من الممثل جلد - لسوء الحظ - الوصول إلى الآلة! فهي آلة قديمة من مكتب السيد سيمتزن: أهداها لجمعية المرأة، ويمكنني القول إن بإمكان أي امرأة أن يصل إليها هناك، فما أكثر السيدات اللاتي يذهبن إلى الجمعية في هذه البلدة!

- ألا يمكنك الجزم بثني، محدد من الدول، من التمسمة الفضية كما تسمونها؟

أوما غريفرز برأسه ثانية وقال: نعم، يمكن عمل هذا... ولكن هذه المخططات طبعت كلها بواسطة شخص يستخدم أصبعاً واحداً.

- إذن فهو شخص غير معاد على استخدام الآلة الكتابية؟

- لا، ما كنت لأقول ذلك، بل لنفعل إنه شخص يتقن الطابعة ولكنه لا يريد أن نعرف هذه الحقيقة.

قلت: يبطء: أيّاً كان كاتب هذه الرسائل فهو ماهر جداً.

قال غريفرز: إنها ماهرة فعلاً يا سيد بيرتن، ماهرة فعلاً... تستخدم كل الجبل الواردة في هذا المجال.

قلت: ما كنت لأظن أن حسن شأن واحدة من هؤلاء النساء الفلاحات هنا أن تملك هذا الذكاء.

سئل غريفرز وقال: أخشى أنني لم أوضح قصدي كما يجب! فهذه الرسائل كتبها امرأة مثقفة.

-- ماذا؟ أكتبها "ليدي"؟

خرجت الكلمة من فمي رغماً عني، لم أكن قد استعدت

كلمة "ليدي" منذ سنوات لكنها صدرت الآن بصورة آنية، وقد عاد صديها من أيام طويلة مضت تذكرت فيها صوت جدي الضعيف وهو يقول لي: "إنها بالطبع ليست ليدي يا عزيزي".

فهم ناش ما قصده على الفور فكلمة "ليدي" ما تزال تعني له شيئاً، ولذلك قال: ليس ضرورياً أن نحصل لقب ليدي، لكنها بالتأكيد ليست امرأة قروية. إنهن أميات هنا في الغالب ولا يعرفن التهنية، ولا يستلطن -قلعاً- التعبير عن أنفسهن بطلاقة.

كنت صامتاً لأنني صدمت؛ فالمجتمع هنا كان صغيراً جداً، وكنت قد تصورت في اللاوعي أن كاتبة الرسائل امرأة مثل السيدة كليت، امرأة مثلكة مأكرة بلصق عقل.

عبر سيمنتن عن أفكاره، إذ قال بحة: وهذا يحصر الأمر بين ست نساء واثنتي عشرة هي القرية كلها!

قال ناش: هذا صحيح.

صاح سيمنتن: لا أستطيع تصديق هذا. ثم قال بإذلال بعض المجهود وهو ينظر أمامه مباشرة وكأنه أحس أن مجرد سموت كلماته كان مخرجاً: لقد سمعتم ما قلته في التحقيق، ولئن ظنتم أن تلك الشهادة كانت يدافع الرتبة في حماية سمعة زوجتي قبلاني أود أن أكرر الآن بأنني مقتنع تماماً بأن موضوع الرسالة التي تلقفها زوجتي كان ملفاً تماماً. إنني أعرف أنه ملف، كانت زوجتي امرأة حساسة جداً... يمكنكم وصفها بالبالغة بالحسنة في بعض الأحوال، وكان من شأن مثل هذه الرسالة أن تشكل صدمة كبيرة

لها، بالإضافة إلى أنها كانت معتلة الصحة.

كانت استجابة غريغز قوية: هذا هو المرجح يا سيدي... ليس في أي من هذه الرسائل ما يدل على معرفة وثيقة. إنها مجرد اتهامات عمية، ولا توجد أية محاولة للاعتزاز، كما لا يظهر فيها أي تعصب ديني كالذي نشهده أحياناً. إن موضوع الرسائل ينحصر في الحسن والجدد وسوف يعطينا هذا مؤشر جيداً باتجاه كاتبها.

نهض سيمنتن، ورغم ما كان يتصف به الرجل من برود فلد كانت شفتاه ترتجفان. قال: أرجو أن تمكنوا قريباً من اكتشاف الشيطانة التي كتبت ذلك. لقد قتلت زوجتي كما لو أنها غرست سكيناً في جسدنا. لا أفري ما هو شعورها الآن؟

ثم خرج تاركاً ذلك السؤال دون إجابة.

سألت: ما هو شعورها يا غريغز؟

بدا لي أن الإجابة عن هذا السؤال كانت ضمن دائرة اختصاصه. قال: الله أعلم... ربما كانت نادمة، ولكنها قد تكون أيضاً مستعينة بقوتها، وربما كانت وفاة السيدة سيمنتن قد أشعبت هوسها.

قلت وأنا أرعد: أرجو ألا تكون كذلك، وإلا فإنها...

ترددت، فأكمل ناش الجملة عني: ستحاول ثانية؟ سيكون هذا يا سيد بيرن أفضل شيء يمكن أن يحدث بالنسبة لنا؛ إذ لا نسلم الحرة في كل مرة.

صحت: ستكون مجنونة لو أنها وافقت عملها هذا.

قال غريغز: سوف تواصل؛ فهم يواصلون دائماً. إنها وذيلة لا يستطيعون تركها.

هزئت رأسي وأنا أرتعد. سألتهم إن كانوا بحاجة إلي، فقد أردت الخروج إلى الهواء الطلق؛ إذ بدا الجو مليئاً بغيوم الشر.

قال ناش: ليس من شيء آخر يا سيد بيرتن. كن حليماً فقط واعمل كل ما يمكنك من رعاية... أي التصحيح الصحيح بأن يلفوننا عن أية رسالة بتقولها.

أومأت برأسي وقلت: أعتقد أن كل من لي القرية قد استلم الآن واحدة من هذه الرسائل المقدرة.

قال غريغز وقد أمال رأسه الحزين جانباً: ترى، ألا تعرف بالتحديد شخصاً لم يتلق رسالة من هذه؟

- يا له من سؤال غريب! لا يُعقل أن يغضي لي السكان بشكل عام بأسرارهم.

- كلا، كلا يا سيد بيرتن، لم أفقد هذا. لقد تساءلت فقط إن كنت تعرف -تتبعيداً- أي شخص أنت واثق تماماً أنه لم يتلق رسالة مجهولة.

ترددت وقلت: أأنا في الحقيقة أعرف بمعنى ما. ثم كررت حديثي مع إميلي بارتن وما قالته لي.

فلقى غريغز المعلومة بوجه خالي من أي تعبير، وقال: حسناً، قد يكون هذا مفيداً. سأسجله.

خرجت مع أوين غريفيث وكانت شمس العصر ساطعة، وفور أن أصبحنا في الشارع قلت بصوت مرتفع: أهذا مكان يأتي إليه الرجل ليستلقي تحت شمسهِ ويعالج حروجه؟ إنه مليء بالسم الفاتل رغم أنه يبدو هادئاً وبريئاً كحبة عدس. ثم سألت: قبل لي يا غريفيث، هل تعرف الشرطة شيئاً؟ هل لديهم أية فكرة؟

- لا أعرف. إن للشرطة أسلوباً غريباً رائعاً، إنهم -من حيث الظاهر- صريحون جداً، ومع ذلك لا تفهم منهم شيئاً.

- نعم، ناش رجل لطيف.

- وهو رجل كفء أيضاً.

قلت بشيء من الاندهاش: إن كان في القرية شخص معتوه فأنت من يجب أن يعرفه.

هز غريفيث رأسه. هذا محبط، ولكنه هذا أكثر من ذلك... بدا قلقاً. وسألت: إن كان لديه شيء ما.

كنا نسير في الشارع العام. وقفت عند باب وكلاء البيت الذي نسكنه وقلت: أظن موعد دفع القسط الثاني من الأجرة قد حان، وهو يُدفع مقدماً. إنني أفكر في دفع القسط والرحيل -أنا وجوانا مباشرة، وهكذا سأحسم بقية الأجرة.

قال أوين: لا ترحل.

- ولم لا؟

لم يجيبني، ولكنه قال ببطء وبعد وقت قصير: أحسبك على

صواب في النهاية! إن لايمسوك ليست مكاناً صحيحاً في الوقت الحالي. وربما... ربما أفنك أو... أو أذت أعتك.

- لا شيء يوقظ جوانا في صبيحة. أنا الضعيف... إن هذا الأمر يصيبني بالفرف إلى حد ما.

- إنه يصيبني أنا بالفرف.

تحدث باب وكلاء البيت وقلت: ولكني لن أرحل. الفضول البدالي أغرى من الجبن أريد أن أعرف الحل.

ثم دخلت فنهضت امرأة كانت تطبع وجاهت نحوي. كان شعرها ممعداً، وقد اتسمت اتسامة متكلفة، ولكني وجدت فيها أكثر ذكاء من تلك الفتاة ذات النظارة التي كانت تشرف سابقاً على المكتب الخارجي.

بعد دقيقة أو اثنتين طاف بهنسي خاطر مألوف بشأن هذه المرأة فقد كانت الأنسة غينش الموظفة التي كانت تعمل سابقاً عند السيد سيمنتن. عثقت على هذه الحقيقة قائلاً: كنت تعملين في مكتب محاماة السيد سيمنتن، أليس كذلك؟

- نعم، نعم. لكني رأيت أن من الأفضل لي المغادرة، هذه وظيفة جيدة رغم أن راتبها ليس جيداً كثيراً، ولكن ثمة أشياء أكثر قيمة من المال، ألا تعتقد ذلك؟

- دون شك.

همست الأنسة غينش قائلة: تلك الرسائل القليلة. نقلت واحدة

منها يتحدث عني وعن السيد سيمنتن. أوه، كانت هدية، وتحتوي على كلمات فظيعة جداً وأنا أعرف واجبي ولذلك أعطتها إلى الشرطة، رغم أن ذلك لم يكن أمراً ساراً بالنسبة لي، أليس كذلك؟

- بلى، بلى. ليس أمراً ساراً أبداً.

- لقد شكروني وقالوا إنني فعلت الصواب، ولكني قلت لنفسني بعد ذلك: إذا كان الناس يتحدثون بهذا الأمر (والواضح أنهم كانوا يتحدثون دون شك، وإلا من أين حصل كاتب الرسائل على فكرته تلك؟) فعلى أن أتجنب حتى مظاهر المشبهة رغم عدم وجود أي خطأ في العلاقة بيني وبين السيد سيمنتن.

أحسست بشيء من الخرج وقلت طعناً طعناً لا يوجد خطأ

- لكن الناس يتكبرون بطريقة سيئة ولهم - للأسف - عقول شريفة

ورغم أنني حاولت حرجاً تجنب النظر إليها إلا أن عيني قابلتها عينيها واكتشفت اكتشافاً غير سار أبداً كانت الأنسة غينش مستمتعة تماماً بالموضوع! وكان قد سبق لي اليوم أن التقيت بشخص كانت ردود أفعاله إزاء الرسائل المغلفة من التوقيع تتسم بالاهتمام المستمع، ذلك هو المفتش غريفر، ولكن حماسة المفتش غريفر كانت حماسة مهينة، أما استمتاع الأنسة غينش فقد وجدته موحياً ومرفأ.

وعطرت بهنسي المندش لكثرة سريرة: هل كتبت الأنسة غينش هذه الرسائل بنفسها؟

• • •

## الفصل السابع

حين عدت إلى البيت وجدت السيدة كالثروب جالسة تتحدث مع جوانا، وقد بدت لي شاحبة ومريضة. قالت: كان هذا صدمة عذبة لي يا سيد يرفن. مسكينة، مسكينة.

قلت: نعم، من الفظيع التكبر بشخص دُفع إلى الانتحار.

- أود هل تقصد السيدة سيمفنت؟

- ألم تكوني نقصتها؟

هزت السيدة كالثروب رأسها بالنفي وقالت: إن المرء بأسف عليها بالطبع، ولكن ذلك كان سيمحدث على أية حال، أليس كذلك؟

قالت جوانا بهود: حقاً؟

الثقتن السيدة كالثروب بإلها: أود، أظن ذلك بما عرفتني، إن كنت ثرين في الانتحار طريقة للهروب من المتاعب فإن نوعية هذه المتاعب لا تهم كثيراً، فقد كان من شأنها أن تفعل نفس الشيء

عندما نحل بها أية صدمة بغضه ويوجب عليها مواجعتها. المهم في الأمر كله هو أنها من هذا النوع من النساء، مع أن المرء ما كان ليخمن ذلك فيها؛ لقد بدت لي دوماً امرأة أنانية غبية بعض الشيء، مع نصلت قوتي بالحياة. ما كان المرء ليخمن أنها من النوع الذي يشله الذعر والخوف... ولكني بدأت أدرك فلة معرفتي بالثناس.

- ما زلت أشعر بالفصول لمعرفة من كنت تعين بقوليك "مسكينة".

حدثت بي وقالت: المرأة التي كتبت الرسائل بالطبع.

قلت بحفاوة: لا أظنني أشعر بأي تعاطف معها.

مالت السيدة كالثروب إلى الأمام، ووضعت يدها على ركبتي وقالت: ولكن ألا تدرك... أليس بوسعتك الشعور؟ استعبد خيالكم... فكر في مدى التعب واليأس المطبق اللذين يدفعان شخصاً للجلوس وكتابة هذه الأشياء. كيف يعاني مثل هذا الشخص من الوحدة والقطيعة الثابتة مع عالم البشر... يكون السم قد بلغ أعمل أعماله، ولم يجد ذلك السم مخرجاً إلا بهذه الطريقة؛ لذلك أشعر بشيء من تأنيب الذات، لقد عاني أحد أهالي هذه البلدة من بؤس شديد ولم أعرف عن ذلك شيئاً... كان يجب أن أعرف. لا يمكن للمرء أن يتدخل بممارعات عقلية... أنا لا أفعل هذا أبداً، ولكن ذلك البؤس الداخلي الأسود أشبه بدرع التيهت وتورمت حتى غدت سوداء متفحخة، ولو استطلع المرء إجزاء فتحة فيها لمكان يمكن أن يخرج السم دون أذى. نعم، إنها مسكينة، مسكينة.

ثم نهضت لكي نذهب، ولم أشعر بمأني أنفت معها بالرأي؛

فلم أكن لأحس بأي تعاطف كان مع كاتبة هذه الرسائل المجهولة،  
ولكنني سألتها بغيري: هل لديك أية فكرة يا سيادة كالثروب عن  
هوية تلك المرأة؟

التفت إلي بعينيهما الصغيرتين الحاثرتين وقالت: أستطيع أن  
أخمن. ولكن قد أكون مخطئة، أليس كذلك؟ ثم عرجت مسرعة  
من الباب قبل أن نطلق منه ثانية لتسأل: قل لي يا سيادة بيرتر، لماذا لم  
تزوجي؟

لو كان السائل أحداً غير السيدة كالثروب لكان مواله وقاحه،  
أما في حالتها فإن المرأة يشعر أن هذه اللبنة قد حطرت لها فجأة  
وأرادت فعلاً أن تعرف.

قلت وأنا أستجمع شتات نفسي: لنقل إنني لم ألتق بالمرأة  
المناسبة؟

- يمكننا قول ذلك، ولكنه لن يكون رداً جيداً، لأن كثيراً من  
الرجال تزوجوا نساء غير مناسبات.

ثم غادرت هذه المرأة بالفعل، فقالت جوازي: أظن حقاً أنها  
محتونة، ولكنني أحبها. أهل القرية هنا يخافونها.

- وكذلك أنا، قليلاً.

- ألائك لا تعرف ما هو تصرفها القادم؟

- نعم، كما أن في تخميناتها دكاء لا مبالاً.

قالت جوازنا: أظن حقاً أن من كتب تلك الرسائل بانس جداً؟

- لا أعرف ما الذي تفكر فيه أو تشعر به تلك اليد الأكملة،  
كما أنني لا أهتم لذلك. إن ضحاهاها هم الذين أسع عليهم.

يلو لي غريباً الآن أنا في تأملاتنا للعقلية التي قسفت خلف  
ذلك القلم المسموم. أغفلنا أكثر التفهيمات وضوحاً، فقد صوّرها  
عريفيت على أنها ربما كانت متهمة جذلي بما فعله، أما أنا فقد  
نصورتها امرأة يمزقها الندم وقد هالها ما جنته يدها، في حين رأيت  
فيها السيدة كالثروب امرأة تعاني. ومع ذلك فنحن لم نلحظ في ردّ  
الفعل الواضع والحمي... أو ربما لم أفكر أنا فيه. وردّ الفعل ذاك  
هو المصروف، لأن الرسائل انتقلت - مع وفاة السيدة سينتنت -  
لتدخل ضمن تصنيف جديد. لا أدري كيف كان الوضع القانوني،  
وأظن أن سينتنت يعرف ذلك، ولكن من الواضح أن وقوع وفاة  
نتيجة لهذا الفعل قد جعل موقف كاتبة الرسائل أكثر خطورة من  
قبلاً فلم يعد ممكناً تمرير هذه الرسائل على أنها مجرد مزاح إذا ما  
اكتشفت هوية المفاعل. وقد تخطت الشرطة، وتسم استدعاء محبير من  
شرطة سكوتلاند يارد؟ وبهذا أصبح من الجبوري الآن للكاتب  
المجهول أن يبقى مجهولاً.

وإذا ما سلمنا أن الخوف هو ردّ الفعل الأساسي، فإن ذلك  
يستتبع أموراً أخرى. وقد كنت غافلاً تماماً عن تلك الاحتمالات  
أيضاً، رغم أنها كان يجب أن تكون واضحة.

• • •

نزلنا - أنا وجوازنا - لتناول الإفطار صباح اليوم التالي في ساعة  
متأخرة؛ أعتني وفق عادات قرية لايمستوك، فقد كانت الساعة



التاسعة والنصف، وهي ساعة كانت حوانا فيها -وهي في لندن-  
توشك أن تفتح عينها، وربما كانت عيناى أنا أيضاً من تزالان فيها  
مغمضتين. ومع ذلك عندما سألتنا بارتريدج: "تريدان الإنظار  
الساعة الثامنة والنصف، أم الساعة التاسعة؟" لم تكن لدى أي منا  
الحاجة لاقتراح موعد متأخر أكثر من ذلك.

وقد أزعجني رؤية إيمي غريبث تقف على عتبة الباب تتحدث  
مع ميغان. وعندما رأينا أطلقت العنان لسانها بحديثها المعتادة:  
مرحباً أيها الكمالي! إني مشغولة منذ ساعات.

كان ذلك الطيب هو شأنها الخاص، لا شك أن عفى الطيب  
أن يتناول إلفاره مبكراً، وعلى أخته -إذا ما أرادت القيام بواجبها-  
أن تصب له الشاي أو القهوة، ولكن هذا لا يبرر لها أن تأتي  
وتتدخل في نوم جيران أكثر ميلاً للنوم؛ فالتاسعة والنصف ليست  
موعداً لزيارات الصباح.

انسلت ميغان إلى داخل البيت ثم إلى غرفة الطعام لتعود إلى  
إنظارها الذي أحسب أن إيمي قد قطعت عليه. قالت إيمي  
غريبث: لقد قلت إنني لن أذهل.

قالتها رغم أنني لا أعرف لماذا بعد إخبار أهل البيت على المحيى  
للتحدث عند عتبة الباب مسألة أطلب وأقل كلمة من الحديث داخل  
البيت. ثم أضأنت: أردت فقط مزال الأتية بهن إن كان لديكم  
أية حضار فائضة عن الحاجة لتضعها في الكسكس التابع للصلب  
الأحمر على الشوارع العام وفيهها للأغراض الخيرية. إن كان عندكم  
فسوف أطلب من أوبن أن يمر لأخذ الحضار معه في السيارة.

قلت: أنت تصارعين أنشطتك في وقت مبكر جداً.

- لا يفوز بالأمر إلا المبكرون. الفرصة أفضل للعشور على  
الناس في هذا الوقت من الصباح... سأذهب الآن إلى منزل السيد  
باي، ثم علي الذهاب إلى برنثن عموماً من أجل الكشاف.

قلت: إن حوبتك تُشعري بمدى نعي.

وفي تلك اللحظة رأ حرس الهاتف، فعدت إلى الصالة لمرء  
عليه ثاركا حوانا تتشم بارتراب عن الماصوليا الفرنسية وغير ذلك  
من الحضار، كاشفة عن جهلها في هذا الموضوع.

قلت بعد أن رفعت سماعة الهاتف: نعم.

سمعت على الطرف الآخر صوتاً لاهتاً مرتبكاً، ثم قال صوت  
أنوي مراقب: أوه!

كررت القول على سبيل التشجيع: نعم؟

قال الصوت ذو النخّة مرة أخرى: "أوه"، ثم سأل: هل  
هذا... أقصد... أهذا منزل ليتل فيرز؟

- نعم، هذا ليتل فيرز.

- أوه!

بدا واضحاً أن هذه "الأوه" كانت لازمة البدء في كسل جملة.  
سأل الصوت بحذر: أيمكنني التحدث مع الأسة بارتريدج؟

- بالتأكيد. أقول لها من؟

- أوه، أعبرها أنتي أغنيس... أغنيس ودل.

- أغنيس ودل؟

- تماماً.

وضعت السماعة مطوياً إغراء بدفعني لأن أسألها: "ماذا يترك  
بطولها"، ولاديت بانجاء الطابق العلوي حيث كنت أسمع صوت  
بارتريديج وهي تؤدي عملها: بارتريديج... بارتريديج.

ظهرت بارتريديج عند أعلى الدرج حاملة مسحة ملونة بيضاء  
وتحلف ملوكها المؤدب دائماً نظراً كأنها تقول "ما الأسر هذه  
المرة؟"، ولكنها قالت: نعم يا سيدي؟

- أغنيس ودل تريدك على الهاتف.

- ماذا يا سيدي؟

رفعت صوتي قائلاً: أغنيس ودل.

- أغنيس ودل... ماذا عساها تريد الآن؟

ألقيت بارتريديج بمسحتها وقد تغيرت مسحتها كثيراً، وأسعرت  
تنزل الدرج بكثير من الانفعال، أما أنا عدت إلى غرفة الطعام دون  
تفكير حيث كانت ميفان تأكل اللحم بنهم. وخلاًفاً لإيمي غريفيت  
لم تكن ميفان تبدي وجهاً صوحاً متفلاً، والحقيقة أنها ردت عسى  
نحية الصباح بلفظاة وأكملت أكلها بصمت.

فتح صحيفة الصباح وبعد دقائق دخلت جوانا وهي تـ

مرهقة وقالت: ووه! إنني متعبة جداً، وأظنني كشفت عن جهلي  
الكامل بالبحار ومواعيد زراعتها، ألا توجد فاصولية في هذا الوقت  
من العام؟

قالت ميفان: الفاصولية في شهر آب.

ودت جوانا مدافعة: إننا نحصل عليها في لندن في أي وقت.

قلت: تلك فاصولية معلية يا مغلتي الحبيبة، وتكون مبردة  
ومخزنة على السفن وتأتي من الأطراف البعيدة للنداء.

قالت جوانا: مثل العاج والفردة والطوايس؟

- بالضبط.

قالت جوانا متأملة: أحب أن يكون لدي طلوس.

قالت ميفان: أما أنا فأفضل اقتناء فرد خاص لتربيته.

قالت جوانا وهي تقشر برقالة وتأمل: ترى كيف يكون  
شعوري لو كنت إيمي غريفيت، بكل تلك القوة والحيوية والتمتع  
 بالحياة. أظن أنها تشعر قط بالحب أو الحزن أو الاكتئاب؟

قلت لها إنني متأكد تماماً من أن إيمي غريفيت لم تكتب أبداً،  
ثم تبعث ميفان إلى الشرفة خارج الغرفة. وحين وقلت هناك أصلاً  
خليني سمعت بارتريديج وهي تدخل غرفة الطعام من الصالة وسمعتها  
وهي تقول متحمسة: هل يمكنني المحدث معك لحظة يا سيدي؟

وفكرت في نفسي قائلاً: يا إلهي، أرجو ألا تكون بارتريديج

بصد إشعارنا بتركها العمل، لأن إيملي يارثن مترجع منا كثيراً إذا حدث ذلك.

أكملت يارثريدج: أريد الاعتذار يا سيدتي لأن واحدة اتصلت بي هاتفياً، ما كان ينبغي للفتاة التي خابرتني أن تفعل ذلك؛ فأنسا لم أعتد أبداً استخدام الهاتف أو السماح لأصدقائي بالإزعاج ساكني البيت به، وإني أسفة فعلاً لحدوث ذلك، ولاضطرار سيدي لفرد على الهاتف وغير ذلك.

قالت جوانا مهددة: لا بأس بذلك يا يارثريدج، لم لا يستحاج أصدقائك الهاتف إن كانوا يريدون الحديث معك؟

كان يوسعي أن أشعر - رغم أنني لا أرى الحدث - بأن وجه يارثريدج غدا أكثر صرامة من قبل وهي نجيب بزوج؛ إن هذا الأمر لم يحدث معي في هذا البيت أبداً، ما كانت "الآنسة إيمبي" تسمح بذلك أبداً، وكما قلت لآني أسفة لحدوث ذلك. لكن أغليس وحل - وهي الفتاة التي خابرتني - كانت مزعجة، وهي صغيرة أيضاً، ولا تعرف ما هي الأصول في بيوت المحترمين.

فكرت في نفسي فزحاً: هذه واحدة عليك يا جوانا.

أكملت يارثريدج: إن أغليس هذه التي خابرتني كانت تعمل معي هنا تحت إمرتي، وكانت يومها في السادسة عشرة من عمرها، وقد جاءت من ملها الأيتام مباشرة، ولم يكن لها منزل أو أم أو أي أقارب لتقديم النصيحة لها، ولذلك فقد اعتادت أن تأتي، حيث أهدم لها النصيحة.

قالت جوانا: "نعم؟" ثم انتظرت. وهنا واضحاً أن القدام من الكلام أكثر مما مضى منه.

- ولذلك فإني أتحراً يا سيدتي وأطلب منك السماح لأغليس بالمضيء إلى هنا لشرب الشاي معي مساء هذا اليوم في المطبخ؛ إنه يوم عطلتها ولديها شيء تريد امتشارتي بشأنه، ما كنت لأفكر في مثل هذا القلب في الحالات المعتادة.

قالت جوانا متحيرة: ولماذا لا يأتي أحد لشرب الشاي معك؟

انصت يارثريدج في وفقها عند هذا السؤال، وقالت: جوانا فيما بعد - وبدأت مرعبة وهي ترد: لم يكن هذا من عادة هذا البيت أبداً، لم تكن السيدة يارثن العجوز تسمح للزوار أبداً بدخول المطبخ، إلا إذا كان ذلك في يوم عطلتها حيث كانت تسمح لنا باستقبال الصديقات بدلاً من الخروج. ولكن فيما عدا ذلك وفي الأيام العادية لم تكن تسمح، وقد استمرت الآنسة إيملي على نفس النهج القديم.

إن جوانا لطيفة جداً مع الخدم، وكان معظمهم يحبها، ولكنها لم تستطيع استمالة يارثريدج أبداً، فالت لها عندما خرجت بيارثريدج والفتحت جوانا إلى على الشرفة: لا فائدة من ذلك يا عزيزتي؛ إن تعاطفك وتساهلك ليسا موضع تقدير. يجب اتباع العادات القديمة المتفطرة مع يارثريدج والإبقاء على طريقة تسيير الأمور كما ينبغي في بيوت الناس المحترمين.

قالت جوانا: لم أسمع عن مثل هذا الاستبداد في عدم السماح

لهم برؤية أصدقائهم. إنني أفهم كل شيء يا جيري، ولكن لا يمكن أن يحبوا معانفهم كما يعامل العبيد السود.

- واضح أنهم يحبون ذلك. على الأقل أمثال بارترديد في هذا العالم.

- لا أستطيع تصور سبب عدم حبها لي، معظم الناس يحبوني.

- ربما كرهتك لأنك لست ربة بيت، قديرة. أنت لست تصوري أصبحت أبداً على أحد الرفوف لتفحصي إن كان عليه غبار أم لا. إنك لا تنظرين إلى ما تحت السجاد، ولا تنأين ما الذي يحدث لبقايا كعكة الشوكولاته، كما أنك لا تطلين أبداً قطار الحيز الشهية.

تأففت جوانا ثم أكملت بحزن: إنني فاشلة في كل شيء هنا اليوم. زدرتني أبي لجهلي في مملكة الخضار، وبحثني بارترديد لأنني إنسانة. سأخرج الآن إلى الحديقة لأكل الديدان!

- لقد سبقتك ميفان إلى هناك.

ذلك أن ميفان كانت قد تحولت في الخارج قبل ذلك بيض دقائق، وعادت الآن لتقف دون هدف في وسط المرحلة كظائر متأمل يتفكر طعامه. ومع ذلك عادت إليها وقالت فجأة: يجب أن أعود إلى البيت اليوم.

فوجدتُ وقلت: ماذا؟

أكملت وقد احمر وجهها ولكن بنصميم مرتبك: كانت استضافتكما لي هنا موقفاً رائعا منكم، وأظن أنني أزعجتكما تماماً،

ولكني استمتعت برفقتكما كثيراً. ولا بد لي من العودة الآن إلى بيتي لأنه بيتي رغم كل شيء ولا يستطيع الحراء البقاء بعيداً عن بيته إلى الأبد، وكذلك أظن أنني سأذهب هذا الصباح.

حاولت - أنا وجوانا - إقناعها بالعدول عن قرارها، ولكنها كانت مصممة تماماً، وفي نهاية الأمر أخرجت جوانا السيارة من المراب وصعدت ميفان إلى الدور العلوي ثم نزلت بعد دقائق وقد حزمت أمتعتها من حديد. وبدأ أن الشخص الوحيد الذي سره وحيلها هو بارترديد التي كادت أن ترسم ابتسامة على وجهها المتحجم؛ فهي لم تحب ميفان كثيراً.

كنت أفف في وسط المرحلة عندما عادت جوانا. وعندما رأيت وفنتي تلك سألتني إن كنت أقضي ساعة شمسية أو موزلة. قلت: لماذا؟

- تقف هناك كنتال حديفة، إلا أننا لا نستطيع وضع شيء عليك يحدد الساعات الشمسية. كنت تبدو مثل الرعد!

- أنا متعكر المزاج، بدأت صباحي - أولاً - بإهلي غريفيت..

تمتعت جوانا بحملة معترضة قاتلة: يا إلهي! أكان لراساً عليّ أن أتحذرت عن تلك العضائوا

أكملتُ أنا حديثي قائلاً: ثم جاء خروج ميفان، لقد فكرت في أخذها في نزهة على الأقدام إلى ليغ تورو.

- وأحسب أنك كنت ستأخذ معك طوق الكلب وومسه؟

- ماذا؟

غريفيث كان أمراً سهلاً. وهو -بدوره- انطلق مسترخياً يحدقها عن بعض الألفاظ الجديدة أو ردهود الأعمال المرضية مستخدماً عبارات علمية متخصصة لا يستطيع فهمها إلا طبيب.

بدأت جوانا مهمة جداً، وأحبست -للحظة- بغصة تأنيب للضمير، كان ذلك تصرفاً سيئاً جداً من جوانا، فغريفيث أطيّب من أن يُبحث به على هذا النحو. إن السماء لذوات كبد عظيم!

ثم نظرت إلى غريفيث بطرف عيني، بذلكه الطويل المحدد ووضع شفطته المتحجج، ولم أعد متأكداً كثيراً من أن جوانا ستلتصق فيما تريده في نهاية الأمر. وعلى أية حال فلا ينبغي لرجل أن يضع نفسه موضع شعيرة المرأة، ولو فعل لكان ذلك شأنه وحده.

قالت جوانا: أرجو أن تغبر وأهلك وتبقى معنا على الغداء يا دكتور غريفيث.

واحمر وجه غريفيث قليلاً وقال: إنه كان ليبقى لولا أن أخيه تنتظر عودته، فقالت جوانا بسرعة: منتصّل بها هاتيفاً وتشرح لها الأمر.

ذهبت إلى الصالة لتتصل بالهاتف، وأظن أن غريفيث بدأ مضطرباً بعض الشيء، وقد خطر بالي أنه ربما كان خائفاً قليلاً من أخيه. وما لبثت جوانا أن عادت وهي تبسم وقالت: إنها قد صوتت المسألة وبقي أوين غريفيث حتى الغداء وبدا مستمتعاً. تحدثنا عن القمصان والمصريات وعن السياسة الدولية ولغو سيقى ورسوم والمهارة الحديثة.

لم نتحدث، عن لامستوك على الإطلاق، ولا عن الرسائل

كروت جوانا كلامها بعون مرتفع وواضح وهي ذاعبة إلى حديقة المطبخ: قلت: مع طوق الكلب ورسنه! لقد فقد السيد كلبه، هذه هي مشكلتك الآن!

• • •

أعترف بأنني انزعجت من الطريقة الفجائية التي غادرتها بها ميخا. ربما ملّت منا محادثة فالحياة معنا لم تكن -في نهاية الأمر- حياة مسلية لثناة مثلها. رسمت جوانا تعود فتحركت بسرعة بعيداً حتى لا أسمع منها مزيداً من الملاحظات الوثقة عن الساعات الشمسية.

جاء أوين غريفيث في سيارته قبل موعد الغداء بقليل، وكان البستاني ينتظره ومعه منتجات الحديقة اللازمة. وبينما كان البستاني أدمر يضع الخضار في السيارة دعوت أوين إلى البيت لتناول عصير، ولم يقبل البقاء لتناول الغداء.

عندما جثت حاملاً العصير وجدت جوانا وقد بدأت تؤدي عملها. لم تكن ثمة مؤشرات لغداء الآن؛ كانت قد كومت نفسها في زاوية الأريكة باطمئنان وراحت تطرح على أوين أسئلة عن عمله وإن كان يحبه كطبيب عام، وما إذا كان من الأفضل له لو تخصص في حقن معين. وصمتها تبعث عن رأيها بأن عمل الطبيب هو أحد أروع الأشياء في الدنيا.

وكأننا ما كانت الملاحظات على جوانا غلبها تبقى مستمتعة راحة. وبعد إصغائها للكثير الكثير من العبارة الواعدين وهم يحبرونها كيف لم يتناولوا التقدير المطلوب، فإن استماعها إلى أوين

المجهرولة أو عن انتحار السيدة مبينتين. نحننا كل شيء تماماً،  
وأعتقد أن أرين غريبت كان سعيداً فقد أشرف وجهه الأسمر  
الحزين، وأظهر عقلية تير الإهتمام. وعندما غادرنا قلت لجوانا: هذا  
الرجل أفضل من أن تجعله هدفاً للإغتيال.

قالت جوانا: هذا وأهلك. أنتم معتمرون الرجال تدافعون عن  
بعضكم البعض!

- لماذا كنت تسعين لاصطياده يا جوانا! أي العيلة المحروقة؟

- وبما.

• • •

كان مقرواً أن نذهب عصر ذلك اليوم لتناول الشاي مع  
الآنسة إميلي بارتن في شقتها في القرية.

ذهبنا إلى هناك متيناً على الأقدام، فقد شعرت الآن بالقدر  
على تسنى الهذبة عند العودة. ويبدو أننا وضعنا لغربتنا وقتاً أطول  
مما ينبغي، فوصلنا في وقت مبكر. فقد فتحت لنا الباب امرأة طويلة  
القامة بارزة العظام قاسية المظهر، وأخبرتنا بأن الآنسة بارتن لم تصل  
بعد، وقالت: ولكني أعرف أنها تظهر كعاد، ولذلك أرجو أن تتفضلوا  
بالدخول.

كان واضحاً أن هذه هي فلورنس المعلقة. تبعنا إلى الطابق  
العلوي وفتحت باب إحدى الغرف وأشارت إلينا بالدخول إلى غرفة  
جلوس كانت تبدو مريحة رغم كثرة أناتها. وشككت بأن بعضاً من  
هذه الأثاث قد أخذته معها من ليتل فريز.

بدأت المرأة فحورية بغربتها، فبدأت: أليست غرفة جميلة؟

قالت جوانا بحماسة: جميلة جداً.

- أنا أحرص على راحة الآنسة بارتن قد استطاعني. رغم أنني  
لا أستطيع أن أعيدنها كما أحب. وبالطريقة التي يجب أن نكون.  
كان يجب أن تكون في بيتها، تعيش بشكل مناسب. ولا نتركه  
لنعيش في شقة.

لقلت لفلورنس: وقد بدأت مثل تين - بصرها بيني وبين جوانا  
بنظرة توبيخ. وأحسست بأن اليوم لم يكن يوم سعدنا؛ فقد وبخت  
إيملي غريبت شقيقتي جوانا وبختها أيضاً بارتريدج وها هي  
فلورنس التين توبخنا نحن الاثنين. وأضافت تقول: عملت خادمة  
استقبال طيلة خمس عشرة سنة هناك.

قالت جوانا بدافع من الإحساس بالظلم: لقد أرادت الآنسة  
بارتن تأجير البيت، وأدروحه للإيجار عند الوكلاء.

ردت فلورنس: كانت محيرة على ذلك. وهي تعيش حياة  
مقتصدة جداً وحريصة، ولكن حتى مع ذلك فإن الحكومة لا يمكن  
أن تتركها وشأنها! إنها مضطرة للإبقاء علي وضعها المعيشي كما هو.

هزرت رأسي بحزن، فأكملت لفلورنس: كانت توجد أموال  
كثيرة في رهن السيدة المعجوز. ثم ماتت هي وماتت بنتها الواحدة  
بعد الأخرى.. المسكينات. كانت الآنسة إميلي تقوم على تربيتهم  
واحدة بعد الأخرى. لقد أرهقت نفسها وكانت صبورة لا تتألم.  
ولكن ذلك أثر عليها، ثم بعد ذلك كله تأتي لتفقد على موضوع

الجمال! تقول إن الأسهم لا تعطىها عائلاً كما كانت من قبل، لماذا لا تعطي مثل هذا العائد؟ هذا ما أود معرفته. كان يحب أن يبحلوا من أنفسهم؛ إنهم يحددون مودة في مكانتها لا تعرف شيئاً عن عالم الأرقام ولا تستطيع مواجهة الأعيام.

قلت: الراجع أن الجميع تأثروا من ذلك.

ولكن فلورنس بقيت مصممة، وقالت: لا بأس بذلك بالنسبة لبعض الناس الذين يستطيعون العناية بأنفسهم، ولكن ليس بالنسبة لها. إنها تحتاج إلى رعاية، وما دامت معي فلن أسمح لأحد بأن يؤذيها أو يزعمها. إنني مستعدة لفعل أي شيء من أجل الأتمة إميلي.

غادرت فلورنس الصلبة الغرفة بعدما حملت، فينا لبضع لحظات نتأكد من أنها أفهمنا هذه النقطة بوضوح، وأغلقت الباب وراعا يحلوه.

سألني جونا: هل تشعر أنك متخاصم دماغ يا جيري؟ لملي أنا أحسن بذلك بعدما سمعت ما سمعت، ما الذي يجري لنا؟

- لا يبدو أننا نلقي قبولاً حسناً! لقد سمعت ميفان مساءً وبأورنيدج متساءلة منك، وفلورنس المتخلفة متساءلة منا كلياً.

تمتعت جونا: [إنني أسألك لماذا غادرت ميجان؟]

- لقد سمعت.

- لا أفطن لهذا صحيحاً. أكان ذلك بسبب شيء، قالته [بمعي

غريفيث؟]

- لقد صبر هذا الصباح، عندما كانا نتحدثان على فتحة الباب؟

- نعم، لم يكن لديها وقت كاف بالطبع، ولكن...

أكملت الجملة: ولكن هناك تلك المرأة أنقل من هناك بعيداً! ربما قالت لها شيئاً...

فتح الباب ودخلت الأتمة إميلي، كانت مشردة البعدين ولاهنة بعض الشيء، وبدأ عليها الانفعال، وكانت عيناها لتسمعان بزرقة لذيذة، نمت نحنها وأكلها شاردة للذهن وقالت: أود بها عزيزي، أسفة جداً لتأخري. كنت أود بالتوصل في البلدة ولم يكن الكعك في محل بلو روز طازجاً ولللك ذهبت إلى محل السيدة ليفون. إنني أحب - دائماً - أن يكون الكعك أخضر ما أشتريه حتى أحصل عليه طازجاً من القرن مباشرة وليس بارداً من الأسس. أنا جريئة لشيء ككما نتناول: أمر لا يُخفى...

فدخلت جونا: إنها غلبتنا يا أتمة بارتن، فقد حسنا مبكرين! جيري، أصبح سريعاً في شيء بحيث نصل إلى وجهنا بأسرع مما نظن.

- أنت لم تتركيزي كثيراً يا عزيزي. لا نقول هذا، فالمرء لا يكاد يحس بالفناء الأوقات الحميمة.

ثم ريت السيدة العجوز على كتف جونا بحال. تهلل وجه جونا، إذ بدأ أخيراً ألها قد حققت نجاحاً. خسرت إميلي بارتن ابتسامتها لشمليتي ولكن بشيء لطيف من المخرج كما يقترب امرؤ من امرء مفرس ضخم للتحفيزات ألا يؤذيه، قالت: حبيب منيك أن تأتي لعنابة بسرعة كشراب الشاي.

أظن أن الصورة الذهنية عن الرجال لدى إميلي بارتن كانت

قالت جوانا: لا بد أن تلك الرسالة المجهولة قد هزتها كثيراً.

احمر وجه الأنسة بارتن. قالت وتيرة لطيفة من التأييب في صوتها: أليس هذا بالموضوع الجميل للمناقشة، أليس كذلك بما عزيزتي؟ أعرف ما قم تناوله من... من رسائل، ولكننا لن نتحدث عنها، فهي كريمة. أفان أن من الأفضل نجاهلها.

قد تكون الأنسة بارتن قاهرة على تجاهل هذه الرسائل لكن ذلك لم يكن سهلاً على بعض الناس. ومع ذلك فقد غيرت موضوع الحديث طليعاً ونناقشنا حول (إيمي غريفت).

قالت (إيميلي بارتن): إنها رائعة، رائعة تماماً. طاعتها وقدرتها التنظيمية رائعة حقاً، كما أنها لطيفة جداً مع الفتيات، وهي نشأة عملية وعصرية في كل شيء. إنها حقاً تلزم هذا المكان، كما إنها مخلصنة لأحبائها. جميل جداً أن ترى مثل هذا الإخلاص بين الإخوة.

سأنتها جوانا: ألا يجد فيها أبداً شيئاً من السيطرة؟

حدثت بها (إيميلي بارتن) وقد أحفلها السؤال وقالت بشيء من التأييب والإباء: لقد ضحكت كثيراً من أجله.

رأيت في عيني جوانا ما يوشك أن يكون صحة التصار صائفة، ولذلك أسرعت في تحويل النقاش إلى السيد باي. كانت (إيميلي بارتن) مرتابة قليلاً في حديثها عن السيد باي، وكل ما استطاعت قوله وإعادةه بنفسه من الارتياح هو أنه رجل لطيف جداً... نعم، لطيف جداً. كما أنه غني جداً، وكريم جداً. يزوره أحياناً أشخاص غريباء جداً، ولكن لا غرابة في ذلك فقد سبق له أن سافر كثيراً.

ترسمهم كأناس منهمكين دوماً في استهلاك كميات ضخمة من لافائف التبغ، وفي أثناء الاستراحات يخرجون لإخواء نبات القرية.

وبعد بضع دقائق فتح الباب ودخلت فلورنس تحمل صينية الشاي وعليها بعض الفواجن القاصرة التي أظن أن الأنسة (إيميلي) قد أحضرتها معها من البيت. كان الشاي صينياً وكانت هناك أطباق عليها الصطائر والحبر الرقيق والزبدة وكمية من الكعك، والأبنشرق وجه فلورنس وأخذت تنظر إلى الأنسة (إيميلي) بفرح أم تنظر إلى طفلها المدلل وهو يستمتع باللعب بدمعته.

أكلنا أنا وجوانا أكثر بكثير مما كنا نريد، وذلك تحت الضغط وإصرار مضيفتنا. وبدا واضحاً أن المرأة تستمتع بحفل الشاي هذا، وأدركت أن (إيميلي بارتن) تنظر إلى علاقتها معنا - (جيسي الانيس) - كمغامرة مثيرة مع اثنين جديين من عالم لندن الغامض والمضطرب.

وكان طبيعياً أن يتحول حديثنا بسرعة إلى المواضيع المحلية. تحدثت الأنسة بارتن عن الـ (كوي) غريفت بحماسة شديدة بعمقه وذكرته كعليب. وأشارت أيضاً إلى (سيد سمبنتن) كرجل ذكي جداً ساعدها في أن تستبد من حرية الدخول بعض الأموال التي ما كان لها أن تعرف بها لولاها. وقالت إنه كان لطيفاً جداً مع أطفالنا مخنوفاً لهم ولزوجته... ثم مضت لتستذكر قائلة: (سكينة السيدة سمبنتن) أمر محزن جداً بقاء هؤلاء الأطفال دون أم. ربما لم تكن امرأة قوية أبداً... كما أن صحتها ساءت أخيراً لا بد أنها كانت توبة عصبية. قرأت عن مثل هذه الأشياء في الصحف. الناس لا يدركون أبعاد تصرفاتهم في مثل هذه الظروف، ولعلها لم تلكر فيما أقدمت عليه، وإلا لكانت تذكرت السيد سمبنتن والأطفال.



التفتنا على أن السفر لا يوسع المدارك فحسب، بل يعود المرء إلى حداثات غريبة أيضاً. قالت إيملي يارتن باكتساب: كنت أتمنى دائماً أن أخرج في رحلة بحرية، فالمرء يشراً عنها في الصحف ويبدو رائعة جداً.

سألتها جوانا: لماذا لا تسافرين؟

بدأ أن يحول هذا الحلم إلى حقيقة قد أثار الذعر لدى الأنسة إيملي، إذ قالت: أوه، كلا، كلا، سيكون ذلك مستحيلاً تماماً.

- ولكن لماذا؟ إنها رحلات رخيصة تماماً.

- ليس السبب هو التكاليف فقط، ولكنني لا أحب الذهاب وحدي. إن سفر المرء وحيداً سيبدو أمراً غريباً، أليس كذلك؟

قالت جوانا: كلا.

نظرت الأنسة إيملي إليها بارتياب ثم قالت: كما أنني لا أعرف كيف سأتعرف بامتعتي... والنزول أيضاً في مواني أجنبية... وكل تلك العملات المختلفة...

ويبدو أن عدداً لا يحصى من العقبات قد ظهرت أمام العينين المتفتحتين للسيدة المحجوزة، ولذلك أسرع جوانا لتهدئتها بسؤالها عن المهرجانات الزراعي القريب ومبهعات الأشتال. وقد قادنا هذا الأمر - بشكل طبيعي - إلى الحديث عن السيدة كالثروب.

ظهر على وجه الأنسة بارتن - للحظة - شيء من الشغف الذي لا يكاد يُلحظ. قالت: إنها با عزيزتي امرأة شديدة العزابة، بما نقوله من أشياء أحياناً.

سألتها عن تلك الأشياء فقالت: أوه، لا أعرف. أشياء غير متوقعة أبداً، والطريقة التي تنظر بها إليك، كما لو لم تكن أنت الموجود هناك بل شخص آخر... إنني لا أغبر عن هذا الأمر بشكل جيد، ومن الصعب جداً التعبير عن الانطباع الذي أفضده. ثم إنها لا تفعل... لا تقبل التدخل إطلاقاً، يوجد الكثير من القضايا التي يمكن لزوج الكاهن أن تقدم فيها المشورة... وربما المعلمين. أعني توبيع الناس وجعلهم يصلحون ملوكهم. الناس مبصرون إليها، أنا وثقة من ذلك! فهم جميعاً يحافون منها. لكنها تصر على أن تكون بعيدة محايدة، ولديها عادة غريبة في الشعور بالأسف على أناس لا يستحقون أي أسف.

قلت وأنا أنظر إلى جوانا نظرة سريعة: هذا منير جداً.

- ومع ذلك فهي امرأة كريسة الأصل. كانت من عائلة فاررواي من بيليث، وهي عائلة عريقة، ولكنني أظن أن هذه العائلات العريقة تكون غريبة الأطوار أحياناً. لكنها سخطت لزوجها ذي العقل المثقف جداً... وأشعر أحياناً بأن عقله ضائع في محيط ريفي كهذا. رجل طيب، ومخلص جداً، ولكنني أجد عاداته في الاستشهاد بتعويض لاتينية مربكة بعض الشيء.

قلت متحمساً: نعم، نعم.

قالت جوانا: تلقى جيري تعليمه في مدرسة حكومية باهظة التكاليف، ولذلك فهو لا يعرف اللاتينية.

أدّى هذا بالأنسة بارتن إلى الدخول لي موضوع جديد، إذ قالت: مديرة المدرسة هنا شابة كريهة جداً... أتمنى أنها شيوعية

تماماً، «وقد خففت صوتها عندما لفظت كلمة "شوعية"».

بعد ذلك قالت جوانا ونحن نصعد التلة إلى البيت: إنها لطيفة.

■ ■ ■

عند العشاء في تلك الليلة قالت جوانا لبارثريدج إنها ترحب أن تكون حفلة الشاي التي عملتها ناجحة.

احمر وجهه بارثريدج وقصص جسدتها أكثر من عادته وقالت: أشكرك يا سيدتي، لكن أغتيس لم تات في نهاية الأمر.

- أوه، إني آسفة.

- هذا لا يهمني أنا.

كان التذمر قد بلغ بها حداً جعلها تنعطف عليها بيت شكرها: لمست أنا التي فكرت في دعوتها! فهي التي اتصلت وقالت إن لديها شيئاً تود قوله ومألت إن كان بإمكانها أن تأتي باعتباره يوم عطتها. وأجبتها بنعم، بشرط موافقتك التي أخذتها منك. وبعد ذلك لم أسمع منها شيئاً، كما أنها لم تعتذر لي بكلمة واحدة! أمل أن استلم منها عبراً صباح الغد، هؤلاء الفتيات اليوم... لا يعرفن شيئاً عن الأصول، ولا يعرفن كيف يتصرفن.

حاولت جوانا مداواة مشاعر بارثريدج المحروجة قائلة: ربما شعرت بتوعك في صحتها، ألم تصلي بها لعرفي سبب نغيها؟

انصمت بارثريدج وقالت: كلا، لم أفعل يا سيدتي، ولن

أفعل. إن رغبت أغتيس في التصرف بطريقة وقحة فهذا شأنها، ولكني سأوبخها بشدة عندما نلتقي.

خرجت بارثريدج من الغرفة وهي سائعة، وضحكنا أنا وجوانا. قلت: ربما كان لجوء أغتيس لطلب النصيحة من قبيل تلك الحالات التي يكتبون فيها للمصحف في سبب مشاكل القراءة "العمة نانسي تحمل لك مشكلتك"، ويبدو أن أغتيس قد فلتت في الحصول على مشورة العمة نانسي فكان عليها أن تلجأ إلى بارثريدج لطلب النصيحة. ولكني أظن أن أغتيس قد حلت مشكلتها الآن.

ضحكت جوانا وقالت إنها تظن الأمر على هذا النحو. وبداننا نتحدث عن الرسائل المحبولة وتساءلنا عما يمكن أن يكون ناس وغربز الكتيب قد توصلا إليه.

قالت جوانا: لقد مضى أسبوع كامل على انتحار السيدة سيمنتن، وأحسب أنهم قد توصلوا الآن دون شك إلى تبيحة ما بصمات أصابع أو عطف اليد أو شيء ما.

أحبته شارد الذهن، فهي منطق ما خلف عقلي الواهي كان ينمو لتعلم غريب، وكان هذا التمثل وعدم الارتياح مرتبطاً بطريقة ما بالعبارة التي استخدمتها جوانا: "أسبوع كامل". كان عليّ -كما أظن- أن أخرج بعض الاستنتاجات مما أعرفه، وربما كان عقلي قد بدأ شكوكه في اللاشعور. كانت العميرة تعمل عملها، وكان التمثل ينمو... ويفتر من النتائج.

لاحظت جوانا فجأة أنني لم أكن أصغي لحدثها الحماسي عن مناوأة في القرية فقالت: ما الأمر يا جيري؟

لم أحيها لأن ذهني كان مشغولاً بجميع الأشياء الصغيرة مع بعضها البعض: انتحار السيدة سيمنتن... كانت وحدها في البيت عبر ذلك اليوم... وحيدة في البيت لأن الخادومات كن يقضين يوم إجازتهن... قبل أسبوع واحد بالضبط...

- جيرمي، ماذا...

قاطعتها: جونا، الخادومات يا غلن قد عطلت مرة واحدة في الأسبوع، اليس كذلك؟

- ويثانين على عطلت الأحد. ما الذي...

- لا عليك من أيام الأحد. ولكنهن يخرجن في نفس اليوم من كل أسبوع، اليس كذلك؟

- نعم، هذا هو الأمر المعتاد.

كانت جونا تحدثني بهضون، إذ لم يهتد عقلها إلى الطريق الذي اهتدى له عقلي.

ذهبت وقرعت الحرس، فعاتت بارتريدج. قلت: أخبريني عن أغنيس ودل هذه، هل تعمل في الخدمة؟

- نعم يا سيدي، في بيت السيدة سيمنتن. أو - بالأحرى - في بيت السيدة سيمنتن الآن.

سمعت نفساً عميقاً ثم نظرت إلى ساعة الحائط. كانت تشير إلى العاشرة والنصف. قلت: أتظنين أنها عادت الآن؟

بدت بارتريدج مسنأة وقالت: نعم يا سيدي، هناك يحسب أن

تعود الخادومات عند الساعة العاشرة؛ فليت يداو على الطراز القديم.

- إنني ذاهب للاتصال.

خرجت إلى الصلاة، وتيمني جونا وبارتريدج، كان واضحاً أن بارتريدج فائقة، وكانت جونا متحيرة. قالت: وأنا أحاول إدرة رقم الهاتف: ماذا ستفعل يا جيرمي؟

- أريد أن أتأكد من أن الفتاة قد عادت على ما يرام.

زلمت بارتريدج باستناء، مجرد زفرة لا أكثر، ولكنني لا أعلم ذرة واحدة لغير بارتريدج. ردت لسي هولاند على الطرف الآخر من الخط فقلت لها: آسف للاتصال بكم، جيرمي بيرثن يتكلم. هل... هل عادت خادمكم أغنيس؟

لم أشعر بأنني كنت مغفلاً إلا بعد أن طرحني سوالي، فإن كانت الفتاة قد عادت وكان الأمر على ما يرام فكيف لي أن أبدو سبب اتصالي وسوالي. كان من الأفضل أن أجعل جونا هي التي تتصل وتسال، رغم أن سؤال جونا أيضاً يحتاج إلى شيء من التفسير... وبدأت أرى في الأفق كلاماً يدور في لامستوك عن علاقة بيني وبين أغنيس ودل المحبولة هذه.

بدأت لسي هولاند مندهشة جداً، وصق لها ذلك، قالت: أغنيس؟ أوه، لا، إنها عادت الآن.

أحسست بأنني أحرق لكلي وأصلت مغامرني: هل تمنعينني أتأكد من وجودها في البيت يا أنسة هولاند؟

لدى المربيات حسنة لا يد من ذكرها؟ فقد اشتد أن يتفقد  
ما يُطلب منهن دون أن يربن أن من حقهن التساؤل عن السبب  
وضعت إلسي هولاند الساعة وذهبت طائفة، وبعد دقيقتين سمعت  
صوتها: أما زلت علي الخط يا سيد بيرتن؟

- نعم.

- الحقيقة أن أغنيس لم تُعد بعد.

عرفت - عندها - أن حامسي كان صحيحاً. سمعت أصواتاً  
غامضة عند الطرف الآخر ثم تحدثت سيمونثن نفسه معي: مرحباً يا  
بيرتن، ماذا في الأمر؟

- ألم تعد خادمك أغنيس بعد؟

- كلا، لقد تأكدت الآنسة هولاند الآن من ذلك. ماذا في  
الأمر؟ أوقع حادث؟

- ليس حادثاً.

- أتعني أن لديك سبب للاعتقاد بأن أمراً قد حدث للفتاة؟

فلت متجهماً: لن يُفاجئني ذلك.

• • •

## الفصل الثامن

لم أتم جيداً في تلك الليلة، وأحسب أن بعض أجزاء اللغز  
كانت تدور في ذهني طوال الليل، ولعلي - لو كرست كل عقلي  
لذلك اللغز - لكنت قادراً على حل المشكلة كلها في ذلك الحين.  
ولاً فلماذا تحرم هذه الأجزاء في ذهني بكل هذا الإلحاح؟

ما هو مقدار ما نعرفه في أي وقت؟ إن ما نعرفه، باعتقادي،  
هو أكثر بكثير مما ندرك أننا نعرفه، لكننا لا نستطيع النفاذ إلى تلك  
المعرفة المحبوة الخفية. إنها هناك ولكننا لا نستطيع الوصول إليها.

استلقيت على سريري أنقلب متحملاً فيما وارودني نصف  
غامضة فقط من اللغز لتزيد من عذابي: إنه نمة نمطاً ينظم الأمر كله،  
نوعاً ما لي فقط أن أسبكه، كان يجب أن أعرف من كتب تلك  
الرسائل العجيبة، كان ثمة أثر في مكان، لو استسلمت فقط أن  
أتبعه...

وفيما أنا أسبلم للنوم تراءست الكلمات في ذهني الشاعس  
على نحو مزعج: "لا دخان بلا نار". لا نار بلا دخان. دخان...  
دخان؟ المسافر الدخاني... كلا، كان ذلك في الحرب... عبارة

حرب. الحروب... فصاحة ورق... مجرد فصاحة ورق. بلجيكا...  
العاليا...

نست. وحملت أنني كنت أميد السيدة كالثروب - وقد  
تحولت إلى كلب صيد - في نزهة حول رقبها طوق وحيل.

\* \* \*

كان رئيس الهاتف هو الذي أبلغني. وبين متواصل.

جلست على السرير وتلفتت إلى ماعتي. كانت الساعة  
النصف، وكان جرس الهاتف يرد في الصلاة في الطابق الأرضي.  
فزعت عن سريرتي وارتديت روب النوم وبرزت مسرعة. سقطت  
بارفريدج التي جاءت من الباب الخلفي من المطبخ لارد على  
الهاتف، ورفعت السماعة قائلاً: مرحباً.

وأحسست بالارتياح حين سمعت صوت ميفان من الطرف  
الأخر للخط وهي تقول: أوه... أهذا أنت؟

كانت برة الخوف والحرن واضحة في صوته. وأكملت:  
أرجوك أن تأتي... تعال. أوه، أرجوك تعال! هل ستأتي؟

قلت: أيا قادم على الفور. هل تسمعين؟ على الفور.

ارتدت الدرج درجتين درجتين وافتحت غرفة جوانا قائلاً:  
اسمعي يا جوانا، أنا ذاهب إلى بيت سيمتغن

رفعت جوانا رأسها الأشقر عن الوسادة، وغركت عينيها

كطفل صغير وقالت: لماذا... ماذا حدث؟

- لا أعرف. إنها تلك الطفلة... ميفان. بدت في أسوأ حال.

- ماذا تفعل في الأمر؟

- إنها الفتاة أغنيس. ما لم أكن مخطئاً إلى أبعد الحدود.

وعندما خرجت ناديت جوانا: انظروا، سوف أتى لأوصلك.

- لا حاجة لذلك، سأقود السيارة بنفسي.

- لا يمكنك قيادة السيارة.

بل أستطيع.

وقد قدتها فعلاً. أذنتي قبانها ولكن ليس كثيراً. كنت قد  
اغسلت وحلقت لحيتي ولبست ملابسني وأخرجت السيارة من  
الموقف ثم انطلقت بها إلى بيت سيمتغن. وذلك كله خلال نصف  
ساعة. وكان ذلك وقتاً لا بأس به.

لا بد أن ميفان كانت ترقب وصولي. فقد خرجت من البيت  
مسرعة وأصبكت بي. كان وجهها التحيل الصغير شاحباً ومرتمشاً.  
قالت: أوه، ها قد جئت... ها قد جئت!

- تعامكي يا طفلي. نعم، لقد جئت. ما الأمر الآن؟

بدأت ترقعني، فأحفظتها بذراعي. قالت: لقد... لقد وحدتها.

- وحدت أغنيس؟ أين؟

- لا، لا مانع.

نظرت إليها باستغراب وقلت: هل أعطاك أحد بعض الشراب أو القهوة أو الشاي بعد... بعد أن وجدتني؟

هزت ميفان رأسها بالنفي، فصببت اللعنة على آل سبيعتن جميعاً إذ أن حسنة القيص تلك، السيد سبيعتن، لم يفكر بمسألة سوى الشرطة. لا لمسي هولاند ولا الطاهية فكرتا في تأثير ذلك الاكتشاف الرهيب على هائلة وثيقة، قلت: هذا ندخل يا عزيزتي، سنذهب إلى المطبخ.

دونا حول البيت إلى الباب الخلفي ودخلنا المطبخ. وكانت روز - وهي امرأة في الأربعين من عمرها ذات وجه منتفخ - تشرب الشاي الثقيل قرب مدفأة المطبخ. حيننا بسيل دافق من الكلام ويدها على قلبها.

أخبرتني بأنها أصبحت كالمنحونة وازدادت خفاناً قلبها فكر في الأمر فقط، إذ كان يمكن أن تكون هي الضحية، ويمكن أن تكون أي واحدة أخرى في البيت، فقتل أثناء نومها على سريرها.

قلت: صبي فحان شاي ثقيل للأنتسة ميفان؟ فقد سبعتن. تذكرني أنها هي التي اكتشفت الحثة.

مجرد ذكر الحثة أصاب روز بالذعر ثانية لكنني لمعتها بظلمات صارمة متى نصبت لفحان شاي أسود. وقلت لميفان: عبادي أيتها الفتاة، اشربي هذا.

طلبت من ميفان أن تبقى مع روز وقلت معاطياً الأخيرة: هل

ازداد ارتعاشها وقالت: تحت الدرج، حيث توجد خزانة لحفظ صناديق الصيد ومغارب الفولف والأشياء الأخرى.

أرمأت براسي، فقد كانت الخزانة المعتادة. وأكملت ميفان: كانت هناك... مكرمة... و... ومزادة... بمزادة جداً... كانت... كانت ميتة!

سألتها بفضول: ما الذي جعلك تبحثين هناك؟

- إنني... إنني لا أعرف. أنت عايرتنا الليلة الماضية، وبدأنا جميعاً نساءل عن مكان أغنيس. التفتنا لها بعض الوقت، ولكنها لم تات، وأخيراً ذهبنا للنوم. لم أتم جيداً ونهضت مبكرة. لم يكن في البيت إلا روز، الطاهية. كانت غاضبة جداً لعدم عودة أغنيس وقالت إنها كانت تعمل من قبل في أحد البيوت وهربت فناة من هناك بنفس الطريقة هذه. تناولت الحليب والخبز والزبدة فسي المطبخ، ثم لحاة دخلت روز وهي تبدو بمظهر غريب وقالت إن ملابس أغنيس التي تخرج بها موجودة في غرفتها، وإن أفضل ملابسها ما تزال هناك. وبدأت التماسل إن كانت... إن كانت قد غادرت البيت أسامياً، وبدأت أفش في البيت، وفتحت الخزانة التي تحت الدرج... فوجدتها هناك...

- أحسب أن أحذكم قد أبلغ الشرطة، ليس كذلك؟

- نعم، إنهم هنا الآن. عايرهم روج والدتي مباشرة، ثم أحسست، أحسست بعدم استطاعتي تحمل الأمر فاتصلت بك. أرجو ألا يكون لديك مانع؟

اعتمد عليك في العناية بالآتة ميان؟

رقت روز بلفظ قائلة: أوه، نعم يا سيدي.

ثم دخلت البيت. ولئن لم تحب معرفتي بروز وميلاتهما فإنها سرعان ما ستجد أن من الضروري لها أن تحافظ علي قوتها بتناول قليل من الطعام وهذا سيكون جيداً لميان أيضاً. ثباً فهو لاء اللسان، كيف لا يستطيعون العناية بهذه الطفلة؟

وجدتُ إلسي هولاند في الصالة، وكنتُ أستهل في داخلي. ويبدو أنها لم تناماً لروبيتي. وأحسب أن بشاعة اكتشاف الحنة تجعل المرأة لا يقي من يأتي ومن يخرج. كان الشرطي بيرت وافدلاً ضرب الباب الأمامي. شتقت إلسي هولاند قائلة: أوه يا سيد بيرتن، اليس ذلك فظيلاً؟ مثلاً يمكن أن يفعل مثل هذا الأمر الرهيب؟

- كانت جريمة قتل إذن؟

- أوه، نعم. لقد ضربت على مؤخرة رأسها. رأسها كله دم وشعر... أوه! أمر فظيع... وكانت مكومة في تلك الخزانة، من يمكن أن يفعل مثل هذا الشيء الشرير؟ ولماذا؟ المسكينة أغتيس، أنا وثقة أنها لم تؤذ أحداً أبداً.

قلت: نعم. لقد حرص أحدهم على ألا يمدعها ففعل ذلك، وبأنه يسي سرعة.

نظرت إليّ بإيمان. رأيت أنها لم تكن ذات عقل سرور، لمساح؛ ولكنها ذات أعصاب قوية. كان لولها، كمادف، محمراً قليلاً بالانفعال، بل إنني تخيلت أنها كانت تستمتع بهذه الدراما بطريقة لا

تخلو من رهبة، وبالرغم من طبيعتها الطبيعية. قالت معتبرة: يجب أن أذهب إلى الأولاد، السيد سيمنتن حريص جداً على ألا يتعرضا لصدمة، وهو يريد مني إبعادهما.

- سمعت أن ميان هي التي وجدت الحنة، أرجو أن يكون أحد قائماً على رعايتها؟

ولا بد من الصاف إلسي هولاند والقول إنها بدت كمن يمدعه ضميره. قالت: يا إلهي، لقد نسيت أمرها تماماً. أرجو فعلاً أن تكون على ما يرام. لقد داهمتني الأعمال من كل صوب. مع وجود الشرطة وغير ذلك... ولكنه إهمال عسي، مسكينة، لا بد أنها في وضع سيء. سأذهب وأبحث عنها على الفور.

رقتُ لها وقلت: إنها بخير... روز تقوم على رعايتها. اذهبي إلى الأطفال.

شكرتني بأشماة فظهرت خلفها أسنانها البيضاء وأسمرت إلى الطابق العلوي. فقد كانت مهمتها - في نهاية الأمر - تنصب على الولدين لا على ميان... لم تكن ميان من مهمة أحد. لقد غُيبت إلسي للعناية بالأولاد سيمنتن، ولا يكاد المرأة يستطيع لومها على ذلك.

وعندما لمحتها تنطفع بسرعة عند الزاوية لي أعلي الممرج حبست أنفاسي. لقد لمحتُ - للحظة - التماعة لا تنصير مُحلّو لا يُداني. لا شأن له بهربة أملال حية الضمير.

ثم فُتح أحد الأبواب وصرح المانش ناش منه إلى الصالة ووراءه سيمنتن. قال: أوه، سيد بيرتن، كنت بصدد الاتصال بك

تو! يسعدني أنك هنا.

لم يسألني إذن لماذا أنا هنا.

الفتى وقال لسيصفتن: سأستخدم هذه الغرفة إن أمكن.

كانت غرفة صغيرة تجلسه الصباح بها نافذة تطل على مقدمة البيت. قال السيد سيصفتن: هاكأكباد، بالثأكياد.

كان رابط الحاشي، ولكنه بدا مرفهًا جدًا. قال ناهي بلطف: لو كنت مكانك يا سيد سيصفتن لتسألت إيطاراً صا، ألت والأنسة هولاند والأنسة ميغان سنشعرون بتحس كثير لو تناولتم قهوة وبيضاً ولحمًا. إن مواجهة جريمة قتل بمعدة حاوية مسألة صعبة جداً.

كان يتكلم بأسلوب طيب العائلة المريح. وحاول سيصفتن أن ينسم انسامه باهنة وقال: أشكرك أيتها المفتش. سأخذ بنصيحتك.

تبعته ناهي إلى الغرفة الصغيرة، فأغلق الباب خلفه ثم قال: لقد وصلت إلى هنا بسرعة. كيف سمعت الخبر؟

أعبرته أن ميغان التصلت بي، وشعرت نحوه بالود؛ فهو لم ينس أن ميغان تحتاج طعاماً هي الأخرى. قال: سمعت يا سيد بيرفن أنك التصلت في الليلة الماضية فسأل عن هذه الفتاة لماذا؟

أظن أن ذلك بدا غريباً بالفعل. وقد أعبرته عن مكالمه أغيبس مع بارثرديدج وعدم قدومها فقال: نعم، فهمت...

قالها ببطء وتفكير وهو يترك ذنبه، ثم نهده وقال: حسناً، إنها جريمة قتل هذه المرة، دون أي شك. اعتناء حسدي مباشر. السؤال

هو: ماذا كانت الفتاة تعرف؟ هل قالت أي شيء لبارثرديدج هذه؟ أي شيء محدد؟

- لا أعلم ذلك، ولكن يمكنك سؤالها.

- نعم، سأذهب وأراها عندما أنتهي من هنا.

- ما الذي حدث بالضبط؟ أم أنكم ما زلتكم لا تعلمون؟

- لدينا صورة تقريبية. كان يوم عطلة الخدم...

- كلا الخادمتين؟

- نعم، يبدو أنه كانت هنا في السابق خادماتان شقيقتان كانتا تحبان الخروج معاً. ولذلك فقد رثبت السيدة سيصفتن عطلتهما بهذه الطريقة. ثم عندما جاءت هاتان الخادمتان بدلاً منهما بقيت على نفس النظام. وقد اعتادت ترك العشاء بارقاً في غرفة الطعام وكانت الآتسة هولاند هي التي تحضر الشاي.

- فهمت.

- الأمر واضح حتى تقفلة محددة. الظاهرة روز من سكان ليلر ميكفورد، وحتى تصل إلى هناك في يوم عطلتها عليها أن تلحق بحافلة الساعة الثانية والنصف، ولذلك كان على أغيبس أن تنطف مناوله الغذاء دائماً. ولكي تتأخر بها روز على ذلك فإنها اعتادت غسل الأطباق المستخدمة على العشاء نيابة عنها.

وهذا ما حدث بالأسس. ذهبت روز في الساعة الثانية وخمسين وعشرين دقيقة لتلحق بالحافلة، وذهب سيصفتن إلى مكتبه الساعة



الثانية وخمسة وثلاثين دقيقة، وبخرجت إلي سي هولاند مع الأطفال الساعة الثالثة إلا ربعا، كما خرجت ميران هنر على دراجتها بعد ذلك بمحس دقائق، وبذلك تكون أغنيس وحدها في البيت، وحسبما استعلمت استنتاجه فإنها كانت تغادر البيت في العادة بين الساعة الثالثة والثالثة والنصف.

- وهل يبقى البيت خاليا بعدها؟

- أوه، إنهم لا يأتون لذلك هنا في البلدة، ولا يفلتون بيوتهم كثيرا في هذه المناطق. وكما قلت: كانت أغنيس في الساعة الثالثة إلا عشر دقائق وحدها في البيت، وواضح أنها لم تغادر أبدا لأنها كانت تلبس قبة وصدرية العمل عندما وجدنا جثتها.

- لعلكم تعرفون موعد وفاتها على التقريب؟

- لم يشأ الدكتور غريفيث إلزام نفسه بموعد دقيق. رأيه الطبي الرسمي أن الوفاة حدثت بين الساعة الثانية والرابعة والنصف.

- وكيف قتلت؟

- ضربت أولا على مؤخرة رأسها بحيث فقدت الوعي، وبعد ذلك حيء بمسبك عادي مما يستعمل في المطبخ - وقد شعل حتى أصبح رأسه دقيقتا - ونم إدخاله في قاعدة جمجمتها مما سبب ولاتها على القور.

قلت: جريمة بدم بارد تماما.

- أوه، نعم، نعم، كان ذلك واضحا.

- من فعلها؟ ولماذا؟

قال تاش ببطء: لا أعلمنا متعرف المسبب بالضبط أبدا، لكننا نستطيع التخمين.

- أكانت تعرف شيئا؟

نعم، كانت تعرف شيئا.

- ألم تلح لأحد هنا بشيء؟

- لم تلح حسيما استنتجت. تقول الطاهية إنها كانت متضايرة منذ وفاة السيدة ميمنتن. وحسب كلام روز هذه كان قلقها يزداد شيئا فشيئا، وللت تقول إنها لا تعرف ما ينبغي عليها عمله.

زفر زفرة غيظ قصيرة وقال: نفس الأسلوب دائما. إنهم لا يأتون إلينا. لديهم عقدة عميقة المحذور اسمها "الاحتكاك بالشرطة". لو أنها جاءت إلينا وأخبرتنا عما يفلقها لكانت اليوم على قيد الحياة.

- ألم تلح للمرأة الأخرى بأي شيء؟

- كلا. أو هذا ما نقوله روز، وأنا أميل إلى تصديقها لأنها لو فعلت لأخبرتنا روز به على الفور مع إضافة الكثير من زعارف خيالتها عليه.

- أمر يبعث على الحزن ألا تعرف.

- ما زال بإمكاننا التخمين بما سيد يبرق. للمسبب بداية لا يمكن أن يكون شيئا محدد جدا، لا بد أنه من تلك الأشياء التي

تعيد التفكير فيها، وكلمنا أعدت التفكير فيها زاد تملكك وعدم ارتياحك، أنفهم ما أعنيه؟

- نعم.

- عملياً أحب أني أعرف ما هو.

- هذا عمل جيد أبها المفتش.

.. حسناً، إن الأمر - يا سيد بيرتن - هو أنني أعرف شيئاً لا تعرفه أنت. في عصر اليوم الذي انتحرت فيه السيدة سيمنتن كان من المفروض أن يخرج العاهلستان، فقد كان يوم عطلة نهاية، ولكن أغنيس عادت عملياً إلى البيت.

25

- هل تعرف هذا؟

- نعم. إن لأغنيس صديقاً... شاب اسمه ريندل يعمل في محل الأسماك. كان يخرج من عطلة مبكراً أيام الأربعاء ويأتي لمقابلة أغنيس فيمضيان أو بلدهان إلى السينما إن كان الجو ممغراً. وقد تشاجرا في ذلك الأربعاء عندما أتيا متأخرة، فقد كانت كتابة الرسائل المجهولة نشطة، وقد أوجست بأن لأغنيس صديقاً آخر، وثارت ثائرة الشاب فربد ريندل فتشاجرا صخاراً عنيفاً، وسادت أغنيس إلى البيت خائلة لأنها لم تخرج إلا بعد أن يعتذر الشاب منها.

- حسناً، وبعداً

- إن المطبخ يواجه ظهر البيت، لكن حجرة الخزين تعلل على نفس المكان الذي تعلل عليه في غرتسا هذه. هناك بوابة دخول

واحدة فقط، تدخل منها ثم تأتي إلى الباب الأمامي أو تمشي على الطريق الموازي لجانب البيت إلى الباب الخلفي.

سكنت قليلاً ثم قال: سأخبرك الآن شيئاً. تلك الرسالة التي وصلت إلى السيدة سيمنتن عصر ذلك اليوم لم تأت عن طريق البريد. لقد أُلقي عليها طابع سبق استخدامه من قبل، وكان ختم البريد على الرسالة مزوراً بطريقة مثقلة باستخدام المصاييح حتى قاده وكان ساعي البريد هو الذي سلمها مع بريد العصر، إلا أنها في الواقع لم تأت عن طريق البريد. هل ترى ما يعنيه هذا؟

قلت ببساطة: يعني أنها وضعت باليد في صندوق الرسائل قبل وقت قصير من وصول البريد المسائي. حتى تكون بين الرسائل الأخرى.

- نعماً. إن بريد العصاء يأتي الساعة الرابعة إلا ربعاً تقريباً. وأبني هو أن الفتاة كانت في غرفة الخزين تنظر من النافذة (والنافذة مسترة وراء الشمعيرات لكن يوسع المرأة النظرة من خلالها جيداً) وكانت ترقب محبي صديقها ليعتذر لها.

- وقد رأيت من وضع تلك الرسالة. أليس كذلك؟

- هذا هو تخميني يا سيد بيرتن، وقد أكون مخطئاً بالطبع.

- لا أظنك مخطئاً... الأمر بسيط... ومقتنع أيضاً... وهو يعني أن أغنيس قد عرفت من هو كاتب هذه الرسائل المجهولة.

- نعم.

قلت: "ولكن، لماذا تم...؟ ثم سكنت متحسماً، فقال ضاحي بسرعة: الأمر - كما أظن - هو أن الفتاة لم تفكر مغزى ما رآته. ثم

تترك في البداية. نعم... مجرد شخص ترك رسالة في البيت... ولكن ذلك الشخص لم يكن شخصاً نعلم أغنيس أن يكون ذا صلة بالرسائل المحبولة. لقد كان -وفق هذه النظرية- شخصاً فوق الشبهات تماماً، ولكن كلما كانت تفكر في هذا الأمر أكثر كلما ازداد قلقها. هل تدبر شخصاً بهذا الأمر؟ وفي حينها تلك، فكبرت في الأنسة بارتريدج التي أفطن أنها ذات شخصية مبهمة من شأن أغنيس أن تقبل حكمها دون تردد، وقررت أن تسألها عما بنفسها عليها عمله.

فلت مشاملاً: نعم، هذا يناسب الوقائع بشكل جيد، وقد اكتشفتُ صاحبة القلم المسام هذا الأمر بطريقة ما. كيف اكتشفتُ ذلك أيها المفتش؟

- أنت غير مهتم على العيش في الريف يا صيد بيرثن. إن الأمور تنتشر هنا بنوع من المعجزة. هناك أولاً المكالمة الهاتفية... من الذي سمع المكالمة عندك؟

فكرت ثم قلت: أنا الذي أحست على الهاتف في البداية، ثم ناديت بلوتريدج وكانت هي الطابق العلوي.

- هل ذكرت اسم الفتاة؟

- نعم... نعم، فعلت.

- هل سمعت أحداً؟

- ربما سمعتني أختي، أو الأنسة غريفيث.

- أه، الأنسة غريفيث. ما الذي كانت تفعله هناك؟

أوضحت له، فسأل: هل كانت تعود إلى القرية؟

- كانت ذاهبة إلى السيد هاي أولاً.

تهدد الضابط ناش وقال: هذا يعني وجود مصورين لنشر الخبر في المنطقة.

قلت غير مُصدق: هل تقصد. أن أيماً من الأنسة غريفيث أو السيد هاي يمكن أن يكتلب نفسه عناء إشاعة معلومة صغيرة لا معنى لها كهذه؟

- إن أي شيء بعد غيراً في مثل هذه القرية. ستندهش من ذلك، ولكن لو حدث أن والدته حيطة الملابس ظهر في أصبح قدحها مسمار فإن الجميع هنا سيعرفون ذلك! ثم هناك الطرف الآخر على العكس هنا. الأنسة هولاند، وروور... ربما كان يوسعها مسامع ما قالت أغنيس، وهناك فريد ريندل. ربما كان خبر عودتها إلى البيت عصر ذلك اليوم قد انتشر عن طريقه هو.

ارتعدت قليلاً. كنت أنظر عبر النافذة، كانت أمامي أرض صغيرة مربعة مزروعة بالحشائش وممر وبوابة صغيرة. لقد فتح شخص البوابة ومشى بطريقة طبيعية وهدوء وجاء إلى البيت ووضع الرسالة في صندوق الرسائل. رأيت بعين عقلي شكل تلك المرأة الغامضة، كان الوجه صفحة بيضاء لا ملامح لها... ولكن لا بد أنه وجه كنت أعرفه...

كان المفتش ناش يقول: ومع ذلك، فإن هذا يضييق الدائرة المشبوهين. هكذا نمسك بهم في النهاية دائماً. نعتذب أسمائهم

- الميديات هنا يحملن معهن حقائب يدوية كبيرة الحجم في العادة. لا أحد يعرف ما يمكن أن يكون بداخلها.

- ثم علمتها في موحدة عندها ووضعتها في الخزانة؟ أليس من شأن ذلك أن يكون عملاً قليلاً بالنسبة لامرأة؟

نظر ناث إليّ نظرات غريبة وقال: إن المرأة التي تبحث عنها ليست عادية... ليست طبيعية أبداً... وذلك النوع من الاضطراب العقلي لرافقه عادة قوة مدهشة، ولم تكن أغنيس كبيرة الحجم.

سكت قليلاً ثم قال: ما الذي جعل الأنسة ميفان غنتر تذكر في البحث في الخزانة؟

قلت: مجرد غريزة. ثم سألت: لماذا ثم سحب أغنيس ووضعتها في الخزانة؟ ما القرض من ذلك؟

- كلما استغرق الشعور على الجثة وقتاً أطول كلما زادت صعوبة تحديد وقت الوفاة بالضغط. لو أن الأنسة هولاند - على سبيل المثال - عثرت على الجثة بمجرد وصولها، لاستطاع الطبيب تحديد وقت الوفاة بدقة تبلغ نحو عشر دقائق، وهو أمر سيكون خطيراً على صاحبنا هذه.

قلت عابساً: ولكن إن كانت أغنيس تشبه في هذه المرأة... قاطعتني ناث قائلاً: لم تكن تشبه فيها، ليس إلى حد الاستنباه الصحوذ الحازم، إنما رأيت أن أمر تلك المرأة "غريب"، أعلنها كانت

واحدة بعد الآخر بعد تمحيص طويل وصبور. لا يمكن أن يكون قد بقي الآن الكثير من الضبوهين.

- ماذا تعني...؟

- هاها يستعد أية امرأة عاملة كانت في مكان عملها عصر الأمس، وهو يستعد مديرة المدرسة فقد كانت في مدرستها تعمل. كما يستعد ممرضة المنطقة، فأنا أعرف أين كانت بالأمس. وهذا لا يعني أنني كنت أشك بأية واحدة منهم، ولكننا الآن متأكدون. كما ترى يا سيد بيرتن فإن لدينا الآن وقتين محددتين نركز عليهما: عصر الأمس، والأسبوع الذي قبله، أي في يوم وفاة السيدة سيمنتن، ولقل بين الساعة الثالثة والربع (وهو أقرب وقت كان يمكن أن تعود فيه أغنيس إلى البيت بعد المشاجرة) والساعة الرابعة عندما يكون البريد قد وصل دون ريب (ويمكن تحديد هذا الوقت بمزيد من الدقة مع ساعي البريد). والأمس من الساعة الثالثة إلى عشر دقائق (عندما غادرت الأنسة ميفان غنتر البيت) إلى الساعة الثالثة والنصف أو حتى الساعة الثالثة والربع باعتبار أن أغنيس لم تكن قد بدأت بتغيير ملابسها.

- ما الذي ترى أنه قد حدث بالأمس؟

كشّر ناث وقال: ما الذي أراه؟ أرى أن امرأة معينة منت إلى الباب الأمامي ودقت الحرس وهي تبسم بكل هدوء، باعتبارها زائرة المساء... وربما سألت عن الأنسة هولاند أو الأنسة ميفان أو ربما أحضرت معها طمداً. وعلى أية حال فقد التفتت أغنيس فصرختها السيدة الزائرة على موحدة رأسها على حين غرة.

يكتب رسائل مجهولة يا سيد بيرتن. ثم أضاف: بصراحة، يمكنك أن تفيدنا.

- يسرني ذلك، لكنني لا أعرف كيف.

-- أنت غريب هنا، هذا هو السبب. ليست عندك أفكار مُسبقة عن الناس هنا، ولكن في نفس الوقت، لديك الفرصة لمعرفة الأمور بطريقة اجتماعية.

تتمتع قائلاً: القائل شخص ذو مكانة اجتماعية مرموقة.

-- بالضبط.

- هل سأكون الجاسوس الذي يعمل من الداخل؟

- هل لديك أي مانع؟

فكرت بالأمر ثم قلت: كلا، ليس عندي مانع. إن كان في المنطقة محتون خطير يدفع النساء البرينات إلى الانتحار، ويضرب الخادومات بالأسات على رؤوسهن، فأنتي لمن أتوانتي عن التصرفه بقبيل من القدرة لوضع حد لذلك المحتون.

- هذا تصرف واع منك يا سيدي، ولكن دعني أخبرك بأن من نبحث عنها خطيرة، بل بالغة الخطورة.

ارتعدت قليلاً وقلت: الواقع أن علينا أن نعمل في العمل؟

- هذا صحيح، لا نلظن أننا نجلس دون عمل. كلا، لنجس - في دائرة الشرطة - تابع عدة خطوط محتظة.

فتاة قليلة الذكاء، ولم تكن تشبه إلا بطريقة مبهمه، شاعرة أن نمة شيئاً غير طبيعي. إنها لم تشك بالتأكيد بأنها تواجه امرأة يمكن أن ترنكب جريمة قتل.

سألته: هل شككت أنت في ذلك؟

هو ناش وأسه بالثقي، ثم قال بتأثر: كان يجب أن أعرف. إن مسألة الانتحار تلك أروعحت صاحبة القلم المسموم؛ لقد أصابها الذعر، والخوف - يا سيد بيرتن - أمر لا يمكن التنبؤ بهواقبه.

- نعم، إنه الخوف. هذا ما كان علينا أن نتنبأ به. الخوف...

في عقل محتون...

قال المفتش ناش بعد ذلك كلمات جعلت الأمر كله يبدو مرعباً تماماً: نحن نواجه قائلاً يحظى بالاحترام والتقدير... قائلاً يتمتع حقاً بمركز اجتماعي مرموق!

\* \* \*

وسرعان ما قال ناش بأنه ذاهب لمقابلة روز مرة أخرى. سألته بشيء من الحياء إن كان بإمكانه الذهاب معه. ولقد دهشت قليلاً إذ وافق بحرارة قائلاً: أنا مسرور جداً بتعاونك معنا يا سيد بيرتن؛ إن كان لي أن أقول ذلك.

قلت: يبدو هذا مريباً، ففي الروايات عندما يرحب رجل التحري بمساعدة شخص ما فإن ذلك الشخص يكون - في العادة - هو القتال.

ضحك ناش قليلاً ثم قال: أنت، لا تكاد تكبر من النوع الذي

فألقها عابثاً، ورأيت في مخيلتي شبكة عنكبوت رقيقة تمتد على مساحة واسعة...

أوضح لي ناث أنه يريد سماع رواية روز مرة أخرى لأنها سبق وذكرته له روايتين مختلفتين، وكلما حصل منها على المزيد من الروايات كلما استطلع الحصول من تلك الروايات على نصف صغيرة من الحقيقة يمكن جمعها مع بعضها.

وجدنا روز تفصل أطباق الإفطار، فتوقفت على الفور وقد أدبرت عينيها ووضعت يدها على قلبها وأوضحت ثانية كيف تعكبر مزاجها طيلة الصباح. كان ناث صبوراً معها، ولكنه كان حازماً. وقد أخبرني أنه كان في المرة الأولى لطيفاً يهدئها، ثم غدا حازماً معها في المرة الثانية، وهو الآن يستخدم الأسلوبين معاً.

بالت في روز في وصف تفاصيل ما جرى في الأسبوع المنصرم باستمئاع، وكيف أن أغنيس كانت في حالة خوف فائق، وكيف ارتعدت وقالت: "لا تسألني" عندما ألحت عليها روز تخبرها عما بها. ثم أنهت روز حديثها قائلة إن أغنيس قالت لها: "سيكون حزائي الموت إن أنا أخبرتك". قالتها روز وهي تدبر بصرها مسرورة.

- ألم تلمح أغنيس بآية إشارة لما كان قلبها؟

- كلا، باستثناء معرفتها على حياتها.

تهد الضابط ناث وترك الموضوع، متعباً نفسه بالاكشفاء بانزعاج وصف دقيق لتحركات روز نفسها في عصر اليوم السابق.

ورد في وصلها - باختصار - أنها ركبت حافلة الساعة الثانية والنصف وقضت المساء مع عائلتها، وعادت في حافلة الساعة الثامنة وأربعين دقيقة من نيلز ميكفورد. وقد عقد وصفها هذا ما انخرطت به من سرد فهو أحسن الشر التي اثنتاها طيلة المساء، وكيف أن أختها علفت على ذلك وكيف أنها لم تستطع تذوق لقمة واحدة من الكعكة التي تم إعدادها.

بحرنا من المطبخ بحثاً عن إلسي هولاند التي كانت تشرّف على دروس الأطفال. وكما هي عادة كانت إلسي هولاند قديرة ولطيفة. نهضت وقالت: والأنا يا كولين مستحل أنت وبرايان هذه المسائل الثلاث وتجهزان الإجابات لي عندما أعود.

ثم أخذتنا إلى غرفة نوم الطفلين وقالت: هل تلمح هذه؟ رأيت من الأفضل ألا نتحدث أمام الأطفال.

- أشكرك يا آنسة هولاند. أريدك أن تخبريني فقط مرة أخرى: هل أنت واثقة تماماً من أن أغنيس لم تذكر لك أبداً أنها كانت قلقلة من شيء ما... أقصد منذ وفاة السيدة سيمتغن؟  
- لا، لم تقل أي شيء. كانت فتاة هادئة جداً، ولم تكن تتحدث كثيراً.

- إذن فهي تختلف عن الأخرى!

- نعم، إن روز تتحدث كثيراً جداً، أحياناً اضطرت لتوجيهها بعدم تجاوز الأصول في ذلك.

- هلاً أخبرني بالضبط عما حدث بعد ظهر الأسبوع؟ كل ما

يمكنك تذكره.

- وبعد ذلك، هل ذهبت لعبد الساعات؟

- نعم، ذهبتا بمحاذاة النهر، ولم نعطد شيئاً... نحن قلنا نعطد شيئاً، ولكن الأولاد يستمتعون بذلك، وقد اهتمت ملابس برايان شيئاً، وتعين علي تغيير ملابسها عندما دخلنا البيت.

- هل انت التي تقدمين الشاي أمام الأربعة؟

- نعم، يكون كل شيء جاهزاً للسيد سيمنتن في غرفة الاستقبال فأعد الشاي عندما يأتي، أما أنا والأولاد فإننا ننال الشاي في غرفة الدراسة... وميفان بالطبع، التي تحتفظ بقد الشاي الخاصة بي في خزنة في الغرفة.

- كم كانت الساعة عندما دخلت البيت؟

- في الخامسة إلا عشر دقائق. أخذت الولدين إلى الطابق العلوي وبدأت أعد الشاي، وعندما عاد السيد سيمنتن الساعة الخامسة نزلت لأقده له الشاي هناك، ولكنه قال إنه سيتناول معاً في غرفة الدراسة. كان الأولاد مسرورين جداً ثم قمنا ببعض الألعاب بعد ذلك، يبدو أمراً طليعاً عندما تفكر الآن أننا كنا نلعب وقتها والقناة المسكينة موجودة داخل الخزنة طيلة الوقت.

- هل من شأن أحد أن يذهب إلى تلك الخزنة في العادة؟

- لا، إنها نستخدم فقط لحفظ الأغراض البالية، إننا نعلق الثيابات والمعاطف في غرفة الملابس الصغيرة على يمين الباب الأمامي عند الدخول، لا أظن أحداً ذهب إلى الخزنة الأخرى منذ أشهر عديدة.

- حسناً تناولنا الغداء كالمعتاد في الساعة الواحدة، وأسرعنا قليلاً، فأنا لا أترك الأطفال يضيعون وقتهم سدى. دعني أذكر... عاد السيد سيمنتن إلى المكتب، وقمت أنا بمساعدة أغنيس في إعداد الطاولة للعشاء... وأسرع الطفلان خارجين إلى الحديقة إلى أن انتهيت من عملي وأعدتهما معي.

إلى أين ذهبت؟

- إلى كروميكره سالكين الطريق المار عبر الحقول... أراد الأولاد صيد السمك. وقد تمسكت طعم السمك واضطرت للعودة لأخذه.

- متى كان ذلك؟

- دعني أتذكر، انطلقنا الساعة الثالثة إلا ثلثاً تقريباً... أو بعد ذلك بقليل. كانت ميفان ستأتي معنا ولكنها غيبتت رأيها إذ أودت الخروج في رحلة على اندراجها، إنها مولعة بالدراجات.

- أقصد كم كانت الساعة عندما عدت لأخذ طعم الأسماك؟ هل دخلت البيت؟

- لا، كنت قد تركته في سقيفة الزواطة وراء البيت. لا أعرف كم كانت الساعة وقتها... ربما كانت الثالثة إلا عشر دقائق تقريباً.

- هل رأيت ميفان أو أغنيس؟

- أظن أن ميفان كانت مخرجت، ولم أر أغنيس، لم أرو أحداً.

- فهمت. ألم تلاحظي أي شيء غير عادي، أي شيء شاذ،  
عند عودتك؟

فتحنت عينيها الزرقاوين على اتساعهما وقالت: أوه، لا يا  
حضرة المفتي، لا شيء على الإطلاق. هذا كل شيء طبيعياً كالمتعارف.  
هذا ما كان رهيباً في الأمر!

- ولي الأسير الذي قبله؟

- تقصيد اليوم الذي... ماتت فيه السيدة سيمتفتن؟  
- نعم.

- أوه، كان ذلك فظيلاً... فظيلاً

- نعم، نعم، أعرف. هل كنت في الخارج بعد ظهر ذلك  
اليوم أيضاً؟

- نعم، إنني أخذ الأولاد دائماً بعد الظهر في نزهة إذ كان  
الجو صحواً وفي الصباح تقوم بالدراسة. وأذكر أننا ذهبت إلى  
السيرة... وكانت بعيدة جداً. وقد حثيت من أنني قد عدت  
متأخرة، لأنني عندما دخلت البوابة رأيت السيد سيمتفتن قادماً من  
مكتبه عند الطرف الآخر من الطريق، ولم أكن قد وضعت إبريق  
الشاي على النار بعد، وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة بعشر  
دقائق.

- ألم تصعدي إلى غرفة السيدة سيمتفتن؟

- أوه، كلا. لم أكن أفعل ذلك أبداً. كانت تتراح دائماً بعد

الغداء. كانت تتأهبها الأم عصبية... وكانت نعيها - عادة - بعد  
الوجبات، وقد أعطتها الدكتور غريث بعض الكبسولات لتأخذها.  
كانت معاتدة على الاستلقاء ومحاولة النوم.

قال لاني بصوت غير مكثرت: إذن فإنا أحداً لا بأحد لها  
البريد؟

بريد السماء؟ كلا، كنت أفتح الصندوق وأضع الرمال التي  
أحدها فيه على طاولة الصالة عندما أدخل. ولكن السيدة سيمتفتن  
اعتادت في الغالب أن تنزل وتأخذ البريد بنفسها. لم تكن تنام طيلة  
النصر، كان من عاداتها الاحتفاظ الساعة الرابعة.

- ألم تفكر في بوجود شيء غير طبيعي لأنها لم تستيقظ ذلك  
المساء؟

- أبداً، لم أتحيل وقوع مثل هذا الأمر. كان السيد سيمتفتن  
يعلق معطفه في الصالة وقلت له: "الشاي ليس جاهزاً تماماً، ولكن  
الماء في الإبريق على وشك أن يغلي". وقد أومأ برأسه ونادى  
"موتاً، موتاً"، وحين لم ترد السيدة سيمتفتن صعد إلى غرفتها  
لكن كانت صدمة عنيقة له دون شك. ناداني فحثت إليه، وقال: "أعدي  
الأطفال عن الميكانيكا" ثم انفصل هاتفياً بالدكتور غريث، ونسبنا  
كل شيء عن الإبريق واحترق أسفله كله! أوه، يا إلهي، كان ذلك  
رهيباً، مع أنها كانت سعيدة جداً ومنتهجة ساعة الغداء.

قال لاني بصوت سريع: ما هو رأيك بالخاصة بتلك الرسالة التي  
امتثلتها يا آنسة هولاند؟

فألت لاني هولاند ساخطة: أعتقد أنها عمل شرير... شرير!



- نعم، نعم، لم أقصد ذلك. هل تظنين أن ما قالته الرسالة كان صحيحاً؟

قالت السي هولاند بحزم: كلا لا أرى ذلك، كانت السيدة سيمفنز حساسة... بل حساسة جداً، وكانت تتناول مختلف أنواع الأدوية لتهدئة أعصابها، كما كانت... كانت متوترة.

احمر وجه السي وأكملت: كان من شأن أي شيء من ذلك النوع (وأعني من النوع القلوي) أن يسبب لها صدمة كبيرة.

صمت ناش لحظة ثم صالها: هل استلمت أباً من هذه الرسائل يا آنسة هولاند؟

- لا، لا، لم استلم شيئاً منها.

- هل أنت متأكدة؟ أوجوك...

ثم رفع يده وقال: لا تتحلي الاجابة. أعرف أنها رسائل كريمة، وأحياناً لا يحب الناس الاعتراف بأنهم تلقوا شيئاً منها، ولكن من الهام جداً في هذه القضية أن نعرف، إننا نترك تماماً أن ما تحتويه هذه الرسائل من كلام هو كلام محض، ولذلك لا حاجة للإحساس بالهرج.

- ولكنني لم استلم شيئاً منها أبداً المفترض. لم استلم - حقاً - أي شيء من هذا القبيل.

كانت ساعطة توشك أن تبكي، وبدا إنكارها صادفاً تماماً.

عندما عادت إلى الأطفال وقف ناش بنظر غير النافذة، ثم قال:

حسناً، هكذا إذن! تقول إنها لم تلق أباً من هذه الرسائل، ويبدو أنها تقول الحقيقة.

- لقد خالفت الحقيقة بالتأكيد. أنا وأنت من ذلك.

قال: "هممم، إن ما أريد معرفته - إذن - هو لماذا لم تستلم؟" ثم أكمل بشيء من نفاذ الصبر: إنها فتاة جميلة، أليس ذلك؟

قلت: هي - في الواقع - أكثر من جميلة.

- بالضبط. الحقيقة أنها فتاة جميلة بطريقة غير عادية، كما أنها صغيرة. بل هي في الحقيقة مما يسيل له لعاب أي كاتب للرسائل المجهولة فذلك، لماذا تم استنساؤها إذن؟

هزرت رأسي حيرة فقال: إنه أمر مشير للاهتمام. يجب أن أذكر فذلك لغربها لقد طلب منا أن نخبره عن أي شخص لم يتلق رسالة من هذه الرسائل.

- إنها المرأة الثانية. تذكر أن إميلي يارن لم تستلم شيئاً أيضاً. ضحك ناش ضحكة باهتة وقال: يجب أن تصدق كل ما يقال لك يا سيد ييرن. لقد استلمت الآنسة سارن واحدة دون شك... بل أكثر من واحدة.

- وكيف عرفت؟

- تلك الأنثى المعنفة التي تعيش معها أميري... خدمتها أو ملاهيها؟ فلورنس الفورده. كانت ساعطة جداً من هذا الأمر، وأرادت أن تشرب من دم كاتب الرسائل.

- ولماذا قالت الأتمة إميلي إنها لم تفلح أية رسالة؟

- إنها الرقة والتهديب؛ فائدة الرسائل بذهبة. لقد فضت الأتمة بارتن حياتها وهي تتعصب كل ما هو جلف غير مهذب.

- وماذا قالت الرسائل؟

الكلام المعتاد، ولكنه كان -في حالتها- كلاماً مبعوثاً إلى حجر مضحك مع تلميح إلى أنها قد سمعت أمها العجوز ومعلم أحوالها.

قلت غير مصديق: أترصد القول إن هذه الممنونة العظيمة مستغنى طليقة دون أن نحدد هويتها؟

قال ناش بصوت مكتئب: سنكتلها، سنكتب رسائل كثيرة بعد.

- ولكن، يا إلهي! لا يمكن أن تواصل كتابة هذه الأشياء... ليس الآن.

نظر إلي وقال: نعم، سنكتب. لا تستطيع أن تتوقف الآن. إنه عاجز فظيع يجري في الدم. ستستمر الرسائل، لا شك في ذلك.

• • •

## الفصل التاسع

ذهبت لرؤية ميغان قبل مغادرة البيت. كانت في الحديقة وبدأت وقد عادت إلى طبيعتها تقريباً، وحينتي بحرارة.

اقترحت عليها أن تعود للإقامة معنا لبعض الوقت، ولكنها هزت رأسها بالرغض بعد قليل من التردد وقالت: هذا لطيف منك... ولكن أظنني سأبقى هنا؛ فهو في نهاية الأمر بيتي... كما أظن. وأحسب أن باستطاعتي مساعدة الأولاد قليلاً.

- حسناً، كما تشاءين.

أظن أنني سأبقى. يمكنني... يمكنني...

- ماذا؟

- لو... لو حدث شيء فظيع، يمكنني الاتصال بك فثاني، أليس كذلك؟

تأثرت وقلت: بالطبع. ولكن ما هو الشيء الفظيع الذي نطعن أنه قد يحدث؟

فأنت بشيء من الإيهام: أوه، لا أعرفه. الأمور تبدو مقلقة في الوقت الحاضر، أليس كذلك؟

- بالله عليك لا تدسي أهلك لتخرجني لنا مزهداً من الحدث، فهذا يضر بك!

انضمت لي ابتسامة خفيفة وقالت: صحيح، لقد جعلني هذا الأمر أشعر بالغبثان.

لم أكن أرغب كثيراً بتركها هناك، ولكنه - في نهاية المطاف - بيتها كما قالت، كما أنني تصورت أن إلسي هولاند ستعثر الآن بمزيد من المسؤولية تجاهها.

ذهبت مع ناشي إلى بيتنا ليتل فيرير. وبينما كنت أقوم بسرور أحداث الصباح لحوانا كان ناشي يحاور بارتريدج، ثم انضم إلينا محيطاً وقال: ليس في كلامها ما يساعدنا كثيراً، حسبما نقوله هذه المرأة فإن كل ما قالته الفتاة هو أنها قلقة من شيء ما ولا تعرف ماذا تفعل، وأنها تريد نصيحة الأتيسة بارتريدج.

سأله حوانا: هل حدثت بارتريدج بهذا الأمر أم كان؟

أوما ناش برأسه وهو يبدو متحجماً وقال: نعم، لقد أخبرت السيدة (بحوري)، الخادمة النهائية التي تعمل عندهم. أخبرتها بذلك بشكل عام كما فهمت، حيث قالت إن بعض الفتيات يبدن استعداداً لأخذ المشورة ممن هم أكبر منهن سناً، ولا يرين أن باستطاعتهم حل مشكلاتهن بأنفسهن تلقائياً وإن أغضبي ربما لم تكن ذكية جداً، ولكنها كانت فتاة لطيفة محترمة وتعرف كيف تنصرف.

تمتعت حوانا: إنما أردت بارتريدج إطرأ نفسها في حقيقة الأمر وربما نشرت (بحوري) الخبر في أرجاء البلدة، أليس كذلك؟

- هذا صحيح يا أتيسة بيرتن.

قلت: بدهشتي أسر واحدة بعض الشيء. لماذا شملت أنا وأختي في قائمة الذين أرسلت لهم وسائل مجهولة؟ نحن غريبات هنا، ولا يمكن لأحد أن تكون له عداوة أو ضيقنا تجاهنا.

- أنت لا تفهم عقلي أصحاب الرسائل المسمومة؛ فكل ما يقع أمام نظره يصلح موضوعاً لمكرهم. يمكنك القول إن حقدهم ينصب على الإنسانية عموماً.

قالت حوانا متأمل: أظن أن هذا ما عنته السيدة كاثروب.

نظر ناش إليها متسائلاً، ولكنها لم توضح له. قال المفترض: لا أعرف إن كنت قد نظرت عن كتب إلى مغلف الرسالة التي تلقيتها يا أتيسة بيرتن. إن كنت فعلت ذلك فلعلك لاحظت أنها كانت في الواقع مَعْتَوَنة إلى الأتيسة بارتن ثم حُوِّلَ حرف الألف في بارتن إلى الياء بعد ذلك.

كان بحسب أن تعطينا تلك الملاحظة - لو فسرت بشكل صحيح - مفتاحاً لحل اللغز كله، لكن الذي حدث أن أحداً منا لم يلاحظ فيها أية أهمية.

خرج ناش وبقيت مع حوانا فقالت: أظن أن تلك الرسالة كانت مرسلة حقاً إلى الأتيسة إلسي؟

- لو كانت كذلك فلا أفئتها كانت مشدداً بعبارة: "أبها المومس المتبرجة!"

وافقتني جونا، ثم اقترحت عليّ أن أذهب إلى البلدة قائلة:  
يجب أن تسمح ما بقوله كل واحد: سيكون هذا موضوع الصباح!

اقتربت عليها بالذهب معي، ولكنها رفضت، الأمر الذي  
فاجأني قليلاً، قالت إنها تريد العيش في الحديقة، وقبل غروحي من  
الباب وقتت وقلت وأنا أحلف بصوتي: أظن أن بارتريديج بريئة من  
ذلك؟

- بارتريديج!

جعلني الدعول اللوامع في صوت جونا أشعر بالحجل من  
فكرتي هذه، قلت بلهجة المحتذر: كنت أسمع فقط. إنها غريبة  
الأطوار في بعض الأمور... عانس مخيفة... من ذلك النوع الذي  
يمكن أن تجد لديه هوماً ديباً.

- ولكن الدافع هنا ليس الهوس الديني... أو هذا ما أخبرني  
بأن غريفر قد قاله.

- حسناً، هوس جنسي. فهمت أنها مرتبطة مع بعضها  
ارتباطاً وثيقاً. إنها مكروفة ومهذبة وقد عاشت هنا وراء أبواب مغلقة  
مع العدهد من النساء المحارر لمنارات عديدة.

- ما الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟

قلت ببطء: ليس لدينا إلا أقوالها هي عما قاله الغناء أغنيس

لها، اليس كذلك؟ اقترحتي أن أغنيس قد طليت من بارتريديج أن  
تغيرها لمصادفة جاءت (أي بارتريديج) وتركت رسالة في ذلك  
اليوم... وقالت بارتريديج إنها ستزورها عصر ذلك اليوم لتشرح لها.

- ثم موّعت ذلك بالمحبة إلنا والسؤال عن إمكانية ندوم  
الفتاة هنا؟

- نعم.

- لكن بارتريديج لم تخرج من البيت أبداً عصر ذلك اليوم.

- لا نعرف ذلك! كنا نحارح البيت في ذلك الوقت، ألا

ذلك كوير؟

نعم، هذا صحيح. أظن أن هذا ممكن.

ثم أضافت جونا وهي تقلب الأمر في ذهنها: ولكني سمع  
هذا- لا أفن ذلك. لا أظن بارتريديج تملك العقلية المناسبة للتغطية  
على آثارها في تلك الرسائل: مسح بصمات الأصابع وكل هذه  
الأمور. فالمرء لا يحتاج إلى المكر فقط، بل إلى المعرفة أيضاً. ولا  
أظن أنها تملك المعرفة. أحسب أن...

ترددت جونا ثم قالت ببطء: إنهم متأكدون أنها امرأة، اليس  
كذلك؟

هفتت غير مصداق: لا أظنك تحسبهم رجالاً؟

- ليس... ليس رجالاً عادياً... ولكن رجل من نوع معين.

إنني - في الحقيقة - أفكر في السيد هاي.

- إننا فالمسيد باي هو من وقع اختيارك عليه؟

- أفن أنسي أفهمها. أستطيع أن... أن أفهم الصراع الذي تنطلق منه. لو لم أكن جونا بيرن، ولو لم أكن شابة وسليمة إلى حد معقول وقادرة على الاستمتاع بوقتي، لو كنت... كيف أعبر عن ذلك؟... لو كنت حبيسة وراء القضبان أوقب الآخرين وهم يستمتعون بالحياة، فهل كان الشر الأسود سيظهر في نفسي ويجعلني أرغب في الإلهاء والتعذيب... وحتى في التدمير؟

استكثها من كتبها وهرزتها فإلّا: جونا

- قال غريفر إننا غانسي في متوسط العمر.

- والمسيد باي "عالسي" في أواخره عمره.

قلت ببطء: شاذ عن محيطه.

- هذا صحيح. إنه غني، ولكن المال لا يعني شيء. أنا أشعر فعلاً أنه قد يكون مضطرباً عقلياً. إنه حقاً قزم مخيف.

- تذكرني أنه استلم رسالة من هذه الرسائل.

- نحن لا نعرف ذلك يقيناً... نظن ذلك فقط. وعلى أية حال ربما كان يمثل أمامنا إن له من الفكاهة ما يجعله يفكر في ذلك ولا يبالغ في تمثيله للدور.

- لا بد أن يكون مثلاً من الدرجة الأولى.

- بالطبع يا جيري، إن أي واحد يشوم بهذا العمل لا بد أن يكون مثلاً من الدرجة الأولى، وهذا ما يجعلني في الأمر مثلاً.

- أرجوك يا جونا، لا نتحدثي بكل هذا الفهم! هبنا جميعاً أشعر بأنك... بأنك تفهمين العقيلة التي تقف خلف هذا الأمر.

تحدثت قليلاً وارتعشت ثم انبسطت لي: لقد أفضتكم أليس كللدا يا جيري؟ ولكني أشعر بأن هذه هي الطريقة الصحيحة لحل هذه المشكلة. يجب أن تتمثل وضع الشخص نفسه، وتعرف كيف يشعر وما الذي يجعله يتصرف، وعندنا... وعندنا ربما عرفت ما الذي سيفعله ذلك الشخص بعد ذلك.

- أود: نأ! وأنا الذي حنت إلى هذا المكان لأكون كـ... وأهتم بالفضائح المحلية الصغيرة. هذه الفضائح المحلية الصغيرة: غذف وذم، وكلام بذيء وجرائم قتل!

• • •

كناثت جونا محقة تماماً: فقد كان الشارع العام مليئاً بالمحرمات المهمة، وعزمت على معرفة رد فعل كل امرئ واحداً تلو الآخر.

التقيت أولاً بـ غريفيست، وقد بدا متعباً ومريضاً جداً لدرجة جعلتني أتعجب. إن جرائم القتل ليست - بالتاكيد - حدثاً يومياً في

حياة الطبيب، ولكن مهنته تهيبه بالفعل لمواجهة معظم الأمور بما فيها المعاناة، والحائض البشع من الطبيعة البشرية، وحقيقة الموت.  
قلت له: تبدو مرهقاً.

قال بشيء من الغموض: حقاً؟ أوه! واحتمسني بعض الحالات المقلقة مؤخراً.

- بما فيها حالة مجنوننا؟  
- بالتأكيد..

أبعد نظره عني وحوّله إلى الشارع، وأبتمت عصباً صغيراً يتنفض في جفنه. قلت له: أليست لديك أية شكوك بالنسبة لهوية المفاعل؟  
- لا، لا. أتمنى محلياً لو كنت أعرف.

سأل فحاة عن جوفنا ثم قال متردداً إن لديه بعض الصور التي كانت ترمي رؤيتها. عرضت عليه أن أأخذها لها فقال: أوه، لا بهم. سأمر أمام بيتكم في وقت لاحق من هذا الصباح.

بدأت أعشى أن يكون غريفيث قد أخذ موضوع جوفنا على محمل الجد. تباً لجوفنا! كان غريفيث ألييب من أن تضمه إلى قائمة انتصاراتها.

تركته يذهب لأنني رأيت أنه غافرة وأردت الحديث معها هذه المرة. بدأت أبعي غريفيث الحديث كما لو أنها تكلمه بعد انقطاع: أمر مذهل تماماً! صنعت أنك كنت هناك... في وقت مبكر؟ كانت كلماتها على صيغة سؤال وقد لمعت عيناها عندما

شدت على كلمة "ميكرو". لم أود أن أخبرها أن ميدان اتصلت بي. وبدلاً من ذلك قلت: كنت أشعر بشيء من عدم الارتياح ليلة أمس! كانت الفتاة ستأتي لشرب الشاي في بيتنا لكنها لم تظهر.

- وللك فقد خشيت وقوع الأسوأ؟ هذا ذكاء بالغ منك!  
- نعم! أنا كلب صيد بشري.

- هذه أولى جريمة قتل تقع عندنا في لاهمستوك، والانفعالات على أشدها، أرحم أن يتمكن الشرطة من معالجة الأمر.

- هذا لا يقلقني؛ فهم رجال أكفاء.

- لا أستطيع حتى تذكر شكل الفتاة، رغم أنها فتحت لي الباب عشرات المرات فيما أظن. فتاة صغيرة الحجم هادئة لا شيء يحيرها. تضربت على رأسها ثم لمعت في مؤخرة عنقها، هكذا قال أوين. يبدو لي أن ذلك من فعل صديق لها. ماذا ترى؟

- أهذا هو تصورك؟

- يبدو أرجح من غيره. أظنهما نشاحراً معاً، فكثير من الناس هنا ولدوا من زيجات الأقارب... ولذلك فإن لدى الكثير منهم شذوذاً ومرضات سيئة. وسكنت قليلاً ثم أكملت: يُقال إن ميدان غفرت هي التي وجدت الجثة؟ لا بد أنها أصيبت بصدمة عتيفة.

قلت باستصار: نعم.

- لا أظن هذا جيداً لها. رأي أنها لا تمتع بالكثير من القوة العقلية. وشيء كهذا قد يصيبها بالجنون العام.

أخطأت قراراً مفاجئاً إذ أردت أن أعرف شيئاً. قلت: أعصرتني يا أنسة غريفيث، أنت التي أتعت ميخائيل بالعودة إلى بيتها بالأحمر؟

- حسناً، ما كنت لأستعمل كلمة "أفعتها" بالضبط.

أصررت على موقعي، قلت: ولكنك قلت لها شيئاً؟

ثبتت إليّ غريفيث قديمها غيرة، ونظرت إليّ وجهاً لوجه. كانت في موقف دفاعي إلى حد ما، قالت: ليس من العيب أن تهرب. تلك الفتاة من مسؤولياتها، فهي شابة ولا تعرف كيف تدور الألسن، ولذلك شعرت أن من وحيي أن ألصق لها بشيء.

- الألسن...؟

سكتت لأنني لم أستطع مواصلة الكلام من شدة الغضب. أكملت إليّ غريفيث تتكلم مظهره عصبته الرئيسة التي تشير الحنوف، عصبلة الثقة بالنفس والرضى عن الذات: أوه، أحسبت لا تسمع الشائعات التي تدور في البلدة، أما أنا فأعرفها! أعرف ما يقوله الناس. رغم أنني لا أقلن -للحظة واحدة- أن فيما يقولونه شيئاً من الصحة... أهذا! ولكنك تعرف طبيعة الناس... إذا ما وجدوا فرصة لقول شيء سيء فإنهم يقولونه، وسيكون ذلك من سوء حظ الفتاة عندما تريد أن تكسب عيشها.

قلت متحيراً: تكسب عيشها؟

أكملت إليّ: هو موقف صعب بالنسبة لها طبعاً، واعتقد أنها فعلت عين المصواب. أقصد أنها لم تكن تستطيع الرجل دون إنذار مسبق وترك الأطفال دون وجود أحد يرعاهم. لقد كانت رالعة...

رالعة جداً. إنني أقول ذلك للجميع! ولكن هذا ما وصل إليه الأمر... إنه موقف مثير للاستياء، وسوف يتكلم الناس.

- عمن تتكلمين؟

قالت إليّ غريفيث بنفاد صبر: عن إلسي هولاند بالطبع. إنها -برأيي- فتاة لطيفة جداً، ولم تكن تقوى إلا بعملها

- وما الذي يقوله الناس؟

ضحكت إليّ غريفيث، ورأيت ضحكتها كرهبة بعض الشيء: يقولون إنها تفكر فعلاً في إمكانية أن تصبح السيدة سيمفون رقم ٤... وإنها نبذل كل جهودها لمواصلة الأرملة ورضع نفسها في موضع من لا يمكن الاستغناء عنه.

قلت معذوماً: ولكن، يا إلهي! لم بعض عني وفاة السيدة سيمفون سوى أسبوع واحد!

رفعت إليّ كنفها استهجاناً وقالت: بالطبع، إشاعات سخيفة! ولكنك تعرف طبيعة الناس، فالفتاة إلسي هولاند شابة وحيلة... وهذا يكفي. فذكر أن عمل مربية أطفال لا يعتبر مستقبلاً جيداً بالنسبة لأية فتاة. ما كنت لألومها إن أرادت بشئ مستقراً وزوجاً وقامت بلعب أورقها وفقاً لذلك.

ثم أكملت: إن المسكين سيمفون لا يعرف بالطبع شيئاً عن كل ذلك! إنه عا زال بهاني من الخدمة التي أحدثتها وفاة مونا سيمفون، ولكنك تعرف طبيعة الرجال! إذا كانت الفتاة إلى جانبه دوماً، توفر له أسباب الراحة، وتعتني به، وتظهر إعلاصاً واضحاً

للأطفال... عندما يصبح معتمداً عليها.

قلت بهدوء: إذن قالت ترين أن إيمي هولاند لعوب ذات كيد وتعطيل؟

احمر وجه إيمي غريفيث وقالت: إطلاقاً. إنني أشفق لثلك القتاة... لكل ما يقوله الناس من أقاويل كريمة! هذا هو ما جعلني أعير ميثاق - بطريقة ما - بال عليها أن تذهب إلى بيتها. هذا يبدو أفضل من أن تعيش الفتاة والسيد سيمنغتن في البيت وحدهما. بدأت أفهم الأمور.

أطلقت إيمي غريفيث ضحكاتها العتيقة وقالت: لقد صدمت يا سيد بيرتن من سماع ما تفكر به بلدنا الثروة الصغيرة. بوسعي أن أؤكد لك التالي: إنهم دائماً يفترضون الأسوأ! ضحكتم وأوامات برأسها ثم ذهبت.

\* \* \*

التقيت بالسيد باي غرب الكنيسة فيما كان يتحدث مع إميلي بلوتن التي بدت محمرة الوجه متفعل، حباتي السيد باي بحرارة واضحة قائلًا: أه، بيرتن، صباح الخير، صباح الخير! كيف حال أهلك الفتاة؟

أخبرته بأن حوانا بعير، فقال: ولكنها لم تنضم إلى برلمان فريزن؟ نحن جميعاً متلهفون للأخبار. حريمة قتل! حريمة قتل حقيقية كذلك التي تكتب في الصحف، ونفع بيننا لا أحسبها من

تلك الحرام العشرة جداً، فهي حريمة قدرة إلى حد ما، قتل وحشي لخادمة صغيرة. لا يوجد فيها جوانب دقيقة عالية المستوى، ولكنها مع ذلك عير لا يمكن إنكاره.

قالت الأنسة بارتن وهي ترتعش: إنها تثير الصدمة تماماً.

أثلت السيد باي إليها وقال: لكنك تستمتع بها يا عزيزتي، تستمتعين بها. اعتد في بلدك الآن! أنت تستعكرتها ولا توافين عليها، ولكن تبلى الإثارة. أنا أصر على أن فيها إثارة!

قالت إميلي بارتن: كانت غداة لطيفة، جاءت إلي من ملحقا سات كلونبلد غداة عزة تماماً، ولكنها شديدة القابلية للتعلم، وقد عادت خادمة لطيفة جداً. كانت بارتريدج مسروقة جداً منها.

قلت بسرعة: كانت متأتي لشرب الشاي مع بارتريدج عصر أمس. ثم التفت إلى باي وقلت: أظن أن إيمي غريفيث أخبرتكم.

قلت ذلك بنبرة عروضية عادية تماماً، وأجاب باي دون أن يظهر عليه الارتياح: نعم، ذكرت هذا لي، أذكر أنها قالت إنه لأمير جديد من الخدم أن يتصلوا على هواتف مخدومهم.

قالت الأنسة إميلي: لم تكن بارتريدج لتحلم أبداً بلعل شيء كهذا، وبني مندهشة حقاً من إقدام أغنيس على ذلك.

قال السيد باي: أنت لتنتمين لومان مضي بما عزيزتي. إن خادمي يستعدان الهاتف باستمرار، وكألا يدخلان في جميع أرجاء البيت إلى أن اعتزست عليهما، ولكن المراء لا يجرؤ على قول الكثير، فالسيد بريسكوت طباخ رائع، رغم مزاجيته، والسيدة



برسكوت عذمة تبعت على الإعجاب.

- نعم: نحن جميعاً نراك محظوظة جداً بهما.

تدخلت إذ لم أرد أن يتحول الحديث إلى الحدم: لقد انتشر خبر الجريمة بسرعة كبيرة.

قال السيد باي: بالطبع، بالطبع. إنها على لسان كل من هب وذب، إن لا يستوك تتدهور مع الأسف: رسائل مجهولة، جرائم قتل، والكثير من الفواهر الإحرامية!

قالت إيميلي بارتن بعصبية: إنهم لا يرون... لا توجد أية فكرة بأن... بأن الأمرين مرتبطان.

انقطع السيد باي هذه العبارة بلهجة وقال: هذا تخمين متبر للاهتمام. كانت الفتاة تعرف شيئاً ولذلك قُلت. نعم، نعم، هذا حذر رائع. بالذات هذه الفكرة مثلاً.

قالت إيميلي بارتن فجأة: أنا... أنا لا أستطيع تحمل ذلك.

ثم دارت ومضت بسرعة وبأي ينظر إليها. كان وجهه الملائكي مرموماً من الحيرة، ثم التفت إلي وهز رأسه بلطف وقال: امرأة خصاصة، ألا تظن أنها امرأة رائعة؟ قطعة أثرية ثمينة غابرة. فهي لا تنتمي حتى لحيلها نفسها، بل لحيل سابق لها. لا بد أن أنها كانت امرأة قوية الشخصية! أفليس أنها أبقت الوقت في عائلتها متوقفاً عند العام ١٨٧٠ تقريباً، وبغيت العائلة كلها محظوظة في قصص زواجي. إنني أحب الالتقاء بمثل هذه النوع من الناس!

لم أرغب بالحديث عن القتل الأثرية، فسماته: ما هو رأيك حقاً في هذا الأمر كله؟

- ماذا تقصد؟

- الرسائل المجهولة، جريمة القتل...

- موجة الجرائم المحلية عندما؟ ماذا ترى أنت؟

قلت مرحاً: أنا الذي سألتك أولاً؟

قال السيد باي بلطف: أنا من هواة دراسة الشواذ، فهم ويرون اهتمامي. أنت قد تجد تصرفات في غاية الغرابة لدى أناس يظهر عيدين عن مثل هذه الممارسات. عذ على سبيل المثال قضية ليزي بوردا: لا يوجد تفسير معقول لهذه الفعنية. إن نصيحتي للشرطة في هذه الحالة هي: ادرسوا الشخصية. اتركوا بصمات الأصابع وتفاصيل عبط اليد والفعل المجهري، وبدلاً من ذلك لاحظوا ماذا يفعل الناس بأيديهم، وما هي الحركات الصغيرة في طريقة تصرفهم، والطريقة التي يأكلون بها طعامهم، وهل يضحكون أحياناً دون سبب واضح...

رفعت حاجبي دهشة وقلت: أعني أنه محنون؟

- نعم، محنون تماماً، تماماً. ولكنك لن تعرف ذلك أبداً!

- من يكون؟

نظر إلي وبهتت قائلاً: كلا، كلا يا بارتن، سيكون ذلك قذفاً. ولا نستطيع إضافة القذف إلى بقية ما نراه حولنا.

ثم انطلق مسرعاً في الشارع.

• • •

بينما كنت أفقد وأحرق به وهو يتعبد، فتحت باب الكنيسة  
وخرج منه الكاهن كالب كاثروب، اتسم في انسامه غامضة وقال:  
صباح... صباح الخير يا سيد... يا سيد...

ساعدته قائلاً: بيرتن.

- بالطبع، بالطبع، يجب ألا نفلن أنني نسيتك، لقد سقط  
اسمك من ذاكرتي للحظة فقط. إنه يوم جميل.

قلت بشيء من الإقتضاب: نعم.

أمعن النظر إلي وقال: ولكن... آه، نعم، تلك الفتاة الممكينة  
التي كانت تخدم في بيت سيمنتن. لا بد أن أعترف بأنني لا  
أستطيع تصديق وجود قاتل بينما يا سيد... يا سيد بيرتن.

- يبدو ذلك بالفعل غريباً بعض الشيء.

قال نحوي وقال: لقد بلغ مسامعي شيء آخر، علمت أن  
رسائل مجهولة تنتشر في البلدة، هل سمعت مثل هذه الإشاعات؟

- نعم، سمعت.

- تصرفات جبانة خبيثة.

سكت ثم استشهد بسبل دافق من الكلام اللاتيني وقال: إن  
تلك الكلمات تنطبق على واقعنا هذا كثيراً. أليس كذلك؟

قلت بإقتضاب: بالتأكيد.

• • •

لم أجد أحداً آخر يقبطني الحديث معه، ولذلك عدت إلى  
البيت، ولكني مررت بسي لم يقب علي محل لأشتري بعض التبغ  
ولأشبع إلى بعض الأراء الأكثر تواضعاً بخصوص الجريمة.

- مشرد فذر.

هكذا بدا حكم صاحب المحل فيما يخص هوية المجرم. وقد  
أضاف قائلاً: إنهم يأتون إلى أبواب المنازل ويتنكبون ويطلبون  
نقوداً، فإن وجدوا في البيت فتاة وحيدة انقلبوا إلى أسرار. لقد  
تعرضت أعني دوراً هناك في كوميكس لتجربة بغيضة في أحد  
الأيام... كان مخموراً، وبيع تلك الأشعار المطبوعة...

واستمرت الحكاية، وانتهت بقيام دورا المتسورة بإغلاق  
الباب في وجه الرجل والتمسرس في ملجأ غامض داخل البيت،  
فهتت من تحمسه من ذكره أنه الحمام دون ريب. "وقد بقيت  
هناك إلى أن عادت سيدةها إلى البيت"

وصلت ليل ليرز قبل موعد الغداء بضع دقائق. كانت جوانا  
واقفة عند الباب الزجاجي لغرفة العُلوس لا تفعل شيئاً، وقد بدت  
أفكارها بعيدة جداً. سألتها: ماذا كنت تفعلين وحدك؟

- آره، لا أعرف. لا شيء محدوداً.

خرجت إلى الشرفة. كان فيها كرسيان قد سُحبا إلى طاولتي

حديثه، وكان عليها كأسا عصير نارغان، وعلى كرسي آخر كتاب  
شيء نظرت إليه بحيرة وقلت: ما هذا؟

قالت جونا: أحسبها صورة لطحال مريض أو شيء من هذا  
القبيل، يبدو أن الدكتور غريفيث قلني مهمة بهذا الموضوع.

نظرت إلى الصورة ببعض الاهتمام. ولكن كانت لكل رجل  
طريقته الخاصة في منازللة جلس النساء، فإنتني ما كنت شخصياً  
لأفعل ذلك باستخدام صور الطحال، سواء كان مريضاً أو غير  
مريض. ومع ذلك لا شك بأن جونا هي التي جئت على نفسها!  
قلت: تبدو صورة كريهة جداً.

وافقتني جونا على أنها كريهة بالفعل، وسألتها: كيف كان  
غريفيث؟

- بدا مرهقاً وحزيناً جداً. أفلس أن في ذهنه شيئاً.

- طحالاً لم يتنجح معه العلاج؟

- لا تكن سعيماً! أقصد شيئاً حقيقياً.

- أظن أنك أفت التي في ذهن الرجل، أوجع أن تبعدي عنه يا  
جونا.

- أوه، أرحمك أن تمسكت، فإنا لم أفعل شيئاً.

- النساء دائماً يقنن هذا.

عرجت جونا من الغرفة غاضبة. وكانت صورة الطحال

المريض قد بدأت تتجدد تحت الشمس فأمسكت بها من إحدى  
الزوايا وأدخلتها إلى غرفة الاستقبال. لم أكن معجباً بها شخصياً  
ولكنني افترضت أنها واحدة من كنوز غريفيث. انجلست وسحيت  
كتاباً كبيراً من رف سجلي في حجرة الكتب حتى أضيق الصورة بين  
أوراقه لتعود إلى استقامتها، وكان الكتاب محلداً قديماً.

أنتزع الكتاب بين يدي بطريقة فاجأني قليلاً، ولكنني سرعان  
ما عرفت السبب: فمن وسط المجلد ثم فُصل عدد من الصفحات  
بطريقة مرعبة.

\* \* \*

وقفت أحدى فية، ثم نظرت إلى صفحة العنوان فراءت أنه قد  
نشر عام ١٨٤٠. لم يكن في المسألة أي شك علي الإطلاق! لقد  
كنت أنظر إلى الكتاب الذي جُمعت من صفحاته كلمات الرسائل  
المجهولة. من الذي قصها؟

حسناً، أولاً، يمكن أن تكون إميلي بارتن نفسها، وربما كانت  
هي الشخص الواضح الذي توجه إليه الأنظار، أو قد تكون بارتريدج.

ولكن كانت توجد احتمالات أخرى عديدة. يمكن أن تكون  
الصفحات قد قُطعت من قبل أي شخص بقي في هذه الغرفة وحيداً،  
من قبل زائر جلس هناك ينتظر الأنسة إميلي مثلاً، أو ربما يكون أي  
شخص جاء لزيارتها في عمل ما.

كلاهما لم يكن لذلك مرجحاً كبيراً فقد لاحظت ذات يوم -عندما  
جاء مولف البنك لرؤيتي- أن بارتريدج أدخلته إلى المكتب الصغير

في أعور البيت. من الواضح أن ذلك هو ما جرت عليه العادة في هذا البيت.

أيهكون وإلّا؟ إذن؟ شخصياً ذا مكانة اجتماعية مرموقة؟ السيد باي؟ أيي غريقه لا السيدة كالثروب؟

\* \* \*

قُرْع حرس الطعام وذهبت لتناول العشاء. وبعد ذلك، عندما كنا في غرفة الاستقبال، أطلعت جونا على اكتشاف في. ناقشنا الأمر من جميع جوانبه، ثم أخذت الكتاب إلى مركز الشرطة

صُرّا جميعاً من هذا الاكتشاف. وهنّوني على شيء، لم يكن إلا مجرد حفظ. لم يكن غريباً هناك، ولكن ناش كان موجوداً، وقد اتصل بزميله بالهاتف. وافقنا على فحص الكتاب بحثاً عن بصمات الأصابع، رغم أن ناش لم يكن متفاداً باكتشاف شيء. ويمكن القول إنه لم يجد شيئاً بالمثل فتم تكن على الكتاب سوى بصماتي وبصمات بارترديد فحسب. مما يظهر أن بارترديد كانت تنظف كل شيء بإخلاص.

صار ناش معي في طريق عودتي صعداً على القلعة، سألته كيف نجري الأمور معه فقال: إننا نضيق نطاق الاحتمالات يا سيد سبرين؛ فقد حللنا الأشخاص المستبعدين.

- آه، ومن بقي؟

- الأنسة غيش. كان يفترض أن قلتي بأحد الزبائن في أحد

سبوت عصر أمس بناء على موعد سابق. لم يكن الست جيداً على طريق كومبيكر، وهو الطريق الذي يمر عبر بيت سيمنتن. كانت ستمر أمام البيت في قاعها وفي عودتها... في الأسرع الذي سبق، يوم حُلّت الرسالة المجهولة وانتحرت السيدة سيمنتن، كان ذلك هو آخر أمانها في مكتب سيمنتن. وقد ظل السيد سيمنتن في البداية أنها لم تعاد المكتب أسداً عصر ذلك اليوم، كان معه النسر هنري لاشينغز طيلة العصر، وقد انفصل بالألمة عيش عدة مرات، ومع ذلك فقد اكتشفت أنها عادت المكتب بين الساعة ثالثة والرابعة، عرجت لشراء بعض الطابع البريدية التي تلذت من المكتب. كان يومها إرسال صبي المكتب لشراء الطابع، ولكنها اعتذرت أن تذهب بنفسها قائلة إنها مصابة بالعداوة ونحب استئاق بعض الهواء الطلق، ولم تقب طويلاً.

- ولكنها غابت بما يكفي؟

- نعم. غابت بما يكفي للذهاب سريعاً إلى الطرّف الآخر من القرية. دمر رسالة في الصندوق والعودة مرة أخرى. ولكن لا بد لي من القول إن أحداً لم يرها قرب بيت سيمنتن.

- أكان من شأن أحد أن يلاحظها؟

- ربما، وربما لا.

- ومن غيرها في حمتك؟

فظهر ناش أمامه بصورة مستقيمة وقال: أنت تعلم أننا لا نستطيع استثناء أي شخص... أي شخص على الإطلاق.

- نعم، أنهم ذلك.

قلت على نحو غامض: ما أمراً هذا الأمر على المرأة! بهر  
بحمله يرى أشياء عديدة... ويتصور أشياء كثيرة.

قال لثمة: نعم، ليس من المفرج كثيراً أن ينتظر المرأة إلى من  
ينقدهم من زملائه البشر على أنهم محرمون مهووسون. سكوت  
لحظة ثم أكمل: ولدينا السيد هاي...

قلت بحدة: أوفد فكرتم فيه إذن؟

اتسهم فاني وقال: أوه، نعم، فكرنا فيه دوله شك. شخصية  
غريبة جداً... ولا أظنها شخصية لطيفة كثيراً. ليس لديه ما يثبت  
مكان وجوده ساعة الجريمة. كان في حديثه وحيداً في كلا  
الحادثتين.

- إذن فأنتم لا تشبهون بالنساء فقط؟

- لا أظن أن من كتب الرسائل رجل... بل إنني أشكك من  
ذلك في الواقع، وكذلك غريغز مع وضعنا لصاحبتنا السيد باي في  
أذهاننا دوماً، ذلك أن في شخصيته بعض الملامح الأتربة الشاذة.  
لكننا رجعنا تحركات الجميع بالنسبة لعصر أمس؟ فهذه جريمة قتل  
كما تعلم. وضعت أنت على ما يرام، وكذلك أخذك. والسيد  
سيمنتن الذي لم يغادر مكتبه بعد أن وصل إليه، وكذلك الدكتور  
غريفيث الذي كان يلزم بحولة على المرضى في الجانب الآخر من  
البلدة، وقد تحققت من الزيارات التي قام بها.

سكت، ثم اتسهم ثانية وقال: نحن - كما ترى - لا نترك شيئاً  
للصدف.

فان بنحبه: لقد ذهبت الأنسة غريفيث إلى برينس لحضور  
اجتماع لفتيات الكشافة بالأمس، وقد وصلت إلى هناك متأخرة.

- لا أحسبك نفس...

- كلا، لا أظن. ولكني لا أعرف. إذ الأنسة غريفيث تبدو  
أدرة عاقلة وواعية تماماً... ولكن، كما قلت، لا أعرف.

- وماذا عن الأسبوع الماضي؟ أمكن أن تكون قد درست  
الرسالة في العندوق؟

- ممكن، فقد كانت تتسوق في البلدة عصر ذلك اليوم.

سكت قليلاً ثم قال: نفس الأمر يعض على إميلي بارتن.  
كانت قد خرجت للتسوق في وقت مبكر من بعد ظهر أمس،  
وذهبت مشياً على الأقدام لرؤية بعض صديقاتها على الطريق الذي  
يهر أمام بيت سيمنتن الأسبوع الماضي.

هزمت رأسي غير مصدق. كنت أعرف أن العصور في منزل  
لنفل فيرز على الكتاب الذي قُعت منه الأوراق سيؤدي حتماً إلى  
توجيه الانتباه نحو صاحبة البيت، ولكنني عندما تذكرت لندوم  
الأنسة إميلي بالأمس بكل ذلك الإشراف والمعاودة والانفعال...

نبأ للأمر كله... الانفعال... نعم، كانت متعبة... بعدهن  
متوردين، وعينين لامعتين... من المؤكد أن ذلك لم يكن بسبب...  
لم يكن لأنها...

قلت ببطء: إذن فقد تمت تصفية القضية بحيث لم يتبق إلا هؤلاء الأربعة: الأنسة غريفيث، والسيد باي، والأنسة غريفيث، والأنسة بارتن؟

- أوه، كلا، لدينا اثنان غيرهم... إلى جانب زوجة الكاهن.

- هل فكرتُم فيها؟

- فكرنا في الجميع، ولكن بدون السيدة كالتروب أكثر صراحة ووضوحاً من أن تكون هي، إذ كنت تفهم ما أعنيه، ومع ذلك يمكن أن تكون قد فعلتها، كانت في الغابة ترقب الطيور عصر أمس... ولا يمكن للطيور أن تشهد لصالحها.

انفتحتُ بحدّة عندما دخل أوبن غريفيث إلى مركز الشرطة قائلاً: مرحباً يا ناش. سمعت أنك كنت تسأل عني هذا الصباح. هل من شيء هام؟

- سيكون انتحافين يوم الجمعة إذ كنتَ تُتَلَقَّ بالأمس يا دكتور غريفيث.

- جيد، ستقوم أنا ومورسي بشريح الحجة هذه الليلة.

قال ناش: شيء آخر يا دكتور غريفيث. كانت السيدة سيمنتن تتناول بعض الأفراس أو الكيسولات التي وصفتها لها...

ثم سكت، فقال أوبن غريفيث متسائلاً: نعم؟

- هل كان من شأن جرعة زائدة من هذه الأفراس أن تكون

فائدة؟

قال غريفيث بحفاء: كلا، بالتأكيد. إلا إذا تناولت خمسة وعشرين قرصاً مثلاً

- لكنك حذرتها مرة من تجاوز الجرعة المقررة كما أخبرتني الأنسة هولاند.

- نعم. هذا صحيح. فقد كانت السيدة سيمنتن من ذلك النوع الذي يمكن أن يعتمد إلى المبالغة في تناول أي شيء بوصف له... تخيل أن مضاعفة الجرعة سيعني مضاعفة التحسن، لكننا لا نريد لأي مريض أن يضاعف جرعته حتى لو كانت من الأسبرين؛ فمثل هذا مضر. وعلى أية حال، ليس هناك أي شك على الإطلاق لي حسب وفاتها؛ لقد حدثت بسبب السيانيد.

- أوه، أعرف ذلك... أنت لم تدرك قصدي. لقد رأيت فقط أن من يريد الانتحار مفضل أخذ جرعة مضاعفة من الدواء على إطعام نفسه حمض البروسيك.

- صحيح. ولكن حمض البروسيك - من ناحية أخرى - أكثر دوائية، ويؤدي الفرض بصورة أكيدة. ولو تناول المتنحر مادة منومة مثلاً فمن الممكن إسعافاً إذا أدركته في الوقت المناسب.

- فهمت، أشكرك يا دكتور غريفيث.

غادر غريفيث، وودعتُ ناش، وعُدتُ إلى البيت صاعداً التامة بهذه، كانت جوانا خارج البيت... أو لم تكن فهذه أية إشارة على وجودها على الأقل، وكانت هناك ملاحظة مهمة مكتوبة بخط مريع على حامل الهاتف، والمفترض أنها كانت توجيهاً إما لي أو

لبارتريدج: "إذا اتصل الدكتور غريفيث فلا يمكنني المضي يوم الثلاثاء، ولكن يمكن ترتيب ذلك يوم الأربعاء أو الخميس".

رغبت حاجبي ودخلت غرفة الاستقبال، حيث جلست على أكثر الكراسي واحة (ولم يكن أي منها مريحاً تماماً لأن ظهرها مستقيمة وهي بمن ثيابها المرحومة السيدة بارتين) وسددت ساني وحاولت التفكير في الأمر كله.

تذكرت -بازعاج مفاجئ- أن وصول أوبس قد قطع عليّ حديثي مع المفتش وأنه كان قد ذكر لزوج وجود شخصين آخرين مشتبهِة فيهما. وتساءلت عن هوية هذين الشخصين: أتكون بارتريدج واحدة منهما؟ الكتاب الذي فُصت منه الأوراق وجد في هذا البيت ويمكن أن تكون أغنيس قد ضُربت على يد مُرشدتها وراعيها وهي غافلة لا تشك بشيء. كلا، لا يمكن استبعاد بارتريدج. ولكن من هو الآخر؟ أيتكون شخصاً قد لا أعرفه؟ السيدة كليث؟ المشبوهة الأولى في القصة؟

أغمضت عيني وفكرت في أربعة أشخاص الواحد تلو الآخر، والغريب أنهم كانوا جميعاً مريحين. أتكون إميلي بارتين اللطيفة الضئيلة الضعيفة؟ ما هي النقاط الموجودة عملياً بينها؟ حياة الحرمان؟ الكتب والسيطرة اللذين تعرضت لهما منذ طفولتها المبكرة؟ التضحيات الكثيرة التي كانت مطلوبة منها؟ رغبها القريب من مناقشة أي موضوع "ليس لدينا"؟ أكان ذلك عملياً مؤشراً على انشغال داخلي مرضي بتلك الموضوعات نفسها؟ أحسست أنني أصبحت فرداً إلى درجة فظيمة. تذكرت أن أحد الأطباء أخبرني

يوماً بأن هلومات السيدات العوانس اللطيفات عندما يقعن تحت تأثير المخدر كانت كشفاً مذهلاً قال لي: ما كان البرء ليظن أنهم يعرفون مثل تلك الكلمات!

إميلي غريفيث؟ لم يمكن فيها -هائكايد- شيء مكتوب أو مُعجظ امرأة مرحلة مسترحلة ناجحة، وحياة مليئة مشغولة، وضع ذلك فقد قالت السيدة كالفروب عنها: "قناة سكبنة؟"

وكان هناك شيء... شيء ما... أو! تذكرته. لقد قال أوبس غريفيث شيئاً من قبيل: "لقد حدثت موجة من تلك الرسائل المجهولة في الشمال حيث كنتُ أعمل". أكان ذلك أيضاً من عمل إميلي غريفيث؟ من المؤكد أن تلك مصادفة لا تكاد تُصدق: أن تحدث موجة مماثل من نفس النوع، ولكن تمهل لحظة، فقد عثر الشرطة على كتابة تلك الرسائل. لقد قال غريفيث ذلك، وكانت طالية متوسمة.

أصبح الجو بارداً فجأة... لا بد أنه يبار حوالي من الساعة. تقلبت على الكرسي متزعجاً. لماذا شعرت فجأة بهذا الإحساس الغريب وهذا الإنزعاج؟

اضط في تفكيرك... إميلي؟ أأتكون كاتبة تلك الرسائل هي إميلي غريفيث وليست تلك الفتاة الأخرى؟ ربما جاءت إميلي إلى هنا وبدأت بمسامرة جبلها ثانية، ولهذا كان أوبس غريفيث يبدو تيمناً شديد الغلق! لقد شكك بالحقيقة، نعم، لقد شك...

أم تراءد يكون السيد باي؟ إنه -بطريقة ما- ليس بالرجل

اللطيف جداً. يمكنني تصويره وهو يقوم بهذا الأمر كله. ضاحكاً!

تلك الرسالة المكتوبة على حاملة الهاتف في العجالة... لماذا أواصل التفكير فيها؟ غريفيث وجوانا... كان يقع في حبها... ولكن لا، لم يكن ذلك هو السبب الذي جعل الرسالة تفلتني. كان شيئاً آخر...

كانت حوامي تسبح، وكان الثوم قريباً مني. كبرت لي نفسي بغياً: "لا دميان بلا نار. لا دميان بلا نار... هذه هي الحقائق كلها مترابط معاً...". وبهذا وأبني أسير في الشوارع مع موبان. ومرت إلسي هولاند. كانت تلبس ثياب العروس والناس يشتمون: سوف تنزوج الدكتور غريفيث أخيراً، فقد كانا طبعاً مخطوبين مسراً منذ سنوات...

كنّا في الكنيسة، وكان كاثروب يقرأ الخطبة باللاتينية، وفي وسط الخطبة قفزت السيدة كاثروب من مقعدها وصاحت بقوة: يجب إيقاف هذا... يجب إيقاف هذا!

ولبضع لحظات لم أعرف إن كنت نائماً أم مستيقظاً. ثم صفا ذهني، وأدركت أنني كنت في غرفة الاستقبال في لينل فيروز وأن السيدة كاثروب قد دخلت لغوها من الباب الزجاجي وكانت تلف أحامي وتقول بهضب وعصبية: يجب إيقاف هذا.

قفزت قائلاً: أرحو المعذرة، لم أسمعك! أحمس! أنني كنت نائماً. ماذا قلت؟

نمرت السيدة كاثروب بقميصها على راحة يدها الأخرى بقوة

وقالت: يجب وقف هذا. هذه الرسائل... جرائم القتل... لا يمكن الاستمرار في قتل أطفال أبرياء أمثال أغنيس ودل!

- أنت محقة تماماً، ولكن كيف نتوبن إيقافها؟

- يجب أن نفعل شيئاً

اتسممت، وربما كان في اتسممتي شيء من اللوقية، ثم قلت: وما الذي تقترحين علينا عمله؟

- يجب توضيح كل شيء! لقد قلت إن هذه ليست بلدة شريرة، ولكني كنت مخطئة، إنها شريرة.

شعرت بالعنق، وقلت بشكل لم أراغ فيه كثيراً من الأدب: نعم يا مبلتي العزيزة، ولكن ماذا سنفعل؟

- أضع حداً لهذا الأمر كله بالطبع.

- الشرطة يذلون كل جهدهم.

- إن كانت أغنيس قد قتلت بالأمس فإن كل جهدهم ليس كانياً.

- إذن فأنت تعرفين أفضل منهم؟

- أهلاً، ألا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، ولهذا سأستدعي عميراً.

هزئت رأسي وقلت: لا يمكنك فعل ذلك؛ إذ أن سكوتلاند ياروش لا تتدخل إلا بناءً على طلب من رئيس الشرطة في المقاطعة، وقد قامت في الواقع بإرسال غريفيث.



- لا أقصد خيراً من هذا النوع. لا أقصد شخصاً يعرف عن هذه المسائل المجهولة أو حتى عن جرائم القتل. أقصد شخصاً يعرف الناس. ألا تفهم؟ زريد شخصاً يعرف الكثير عن الشورا

كانت وجهة نظر غريبة، ولكنها كانت ملحوظة على نحو ما. وقبل أن أنفد بأية كلمة أخرى أو مات السيدة كالنروب برأسها لي وقالت بنبرة سريرة ووافقة: أنا سأتولى ذلك في الحال.

ثم عرجت من الباب الزجاجي مرة أخرى.

• • •

## الفصل العاشر

أقول أن الأسبوع الذي تلا ذلك كان من أكثر الأسابيع التي حرت عليّ غواصة. كان في أحداثه شيء أشبه بالأحلام، إذ لم يبدو أي شيء حقيقياً.

ثم التحق في مقتل أغنيس ودل، وحضره كل مكان لايمستوك الفعسوليين. لم تظهر أية حقائق جديدة وعاد نفس الحكم المتوقع: "جريمة قتل بواقعة مجهول أو مجهولين".

وهكذا تم دفن المسكينة أغنيس ودل في مقبرة الكنيسة القديمة الهادئة بعد أن نالت نصيبها من الاهتمام العام، واستمرت الحياة في لايمستوك كما كانت عليه من قبل، ولكن كلاً تلك العبارة الأخيرة لمست صحيحة لشيء كما كانت عليه من قبل...

ففي حين كل امرئ من سكان البلدة كانت التماعة نصفها رطب ونصفها لهفة وشمع. وأعاد الحمار ينقلر إلى جاره. لقد انضحت لي التحقيل لقطلة واحدة... وهي أن من المستبعد تماماً أن يكون لمانزل أغنيس ودل شخصاً غريباً عن البلدة، إذ تم يلحفظ أحد وحود مشردين أو رجال غير معروفين في المنطقة. كان -إذن- لي مكان

ما في لايمستوك شخص يبيع في الشوارع العدم، يتسوق، ويفضي ساعات النهار، بعد أن حطم حزمة فتاة لا حول لها ولا قوة وغرس سبحةً حاداً في رأسها. ولم يعرف أحد من هو ذلك الشخص.

وكما قلت، مرّت الأيام كأنها حلم، كنت أنظر إلي كل من ألتقيه وفق منظور جديد، منظور الحشية من أن يكون قاتلاً محتملاً. ولم تكن تلك بالتجربة المريحة! وفي الأماسي، عندما تسدل الستار، كنت أجلس مع جوانا لتحدث وتحدث وتناقش جميع الاحتمالات التي بقيت - رغم ذلك - مُستبعدة لا يمكن تصديقها.

تمسكت جوانا بنظريتها القائلة إن الفاعل هو السيد باي، أما أنا فقد عدت بعد قليل من التردد إلى مشبوهتي الأصلية، الأنسة غيش. ولكننا ناقشنا الأسماء المحتملة مرة تلو الأخرى: السيد باي... الأنسة غيش... السيدة كالفروب... بارفريدج... إيسي غريفيث... إيميلي يارتن؟

وكنّا - طيلة هذه الفترة - ننظر بعصية وخشبة وقوع شيء، ولكن لم يقع شيء. لم يلق أحد - حسب علمنا - أية رسائل أخرى. كان ناش يظهر في البلدة بصورة دورية، ولكنني لم أكن أعرف ماذا كان يفعل وما هي الفحاح التي كان يتصبها، وكان غريفز قد رحل مرة أخرى.

جاءتنا [إيميلي يارتن] لشرب الشاي، وجاءت ميدان للفتاة، وكان أوبس غريفيث يدور على مرضاه. ذهبنا لشرينا الشاي عند السيد باي، كما ذهبنا لشرب الشاي في بيت الكاهن.

كنت مسروراً إذ وجدت أن السيدة كالفروب لم تظهر تلك

النسوة التي أهدتها في قاعاتنا الأخرى، وأطلق منها نسيت كل شيء عن هذا الأمر. بدت الآن مهتمة بصورة أساسية في القضاء على الفرائض الأبيض للمحافظة على مزروعات القربيط والطفوف.

والحق أن الأسمدة التي فطينها في بيت الكاهن كانت من أكثر زيارتنا هدوءاً، كالبيت قديماً جميلاً، فيه غرفة استقبال كبيرة مريحة رغم قدمها، وقد نَحَدُ أُنْأَها بقمش وردي فاتح. وكانت في البيت ضيفة تقوم مع الكاهن وزوجته، وهي سيدة عجوز لطيفة كانت لحيتك ثوباً ما بصوف أبيض.

تناولنا مع الشاي كعكة ساخنة لذيدة، وجاء الكاهن وابتمم في وجوها بينما كان يحدثنا حديثه اللطيف الدال على سعة علمه. كانت جلسة سارة جداً، ولكنني لا أتعد بهذا أننا ابتعدنا كثيراً عن موضوع جريمة القتل، لأننا - فعلاً - لم نبتعد.

كانت الضيفة العجوز - واسمها الأنسة ماربل - قد أثارها هذا الموضوع. وكما قالت معتلة: "ليس لدينا في الريف إلا القليل جداً من الموضوعات التي تصلح للحديث"، وقد قروت أن الفتاة القتيلة كانت تشبه دون ريسب محادثتها بإديث، وقالت: كانت عديمة صغيرة في غاية اللطف والتعاون، ولكن لديها أحياناً القليل من البطء في استيعاب الأمور.

كما قالت الأنسة ماربل إن لها ابن عم له ابنة أخ كانت أخت زوجها قد عمات من إلهامات ومشكلات كثيرة بسبب بعض الرسائل المجهولة، وبذلك غلب موضوع الرسائل كان هو الآخر شيئاً جداً بالنسبة للعجوز الراحلة.

الألحوب كل الشبهات عن السيدة كليث، إذ كان بإمكانها أن تطلب لها الشر بحيث تمرض الفتاة تدريجياً ثم تموت لأسباب طبيعية.

قال الكاهن: غريب كيف تستمر هذه المعتقدات القديمة!

فأنت زوجته: ما يتوجب علينا التعامل معه الآن ليس الخرافات بل الحقائق.

قلت: وهي حقائق كرهية جداً.

قالت الأنسة ماربل: كلامك صحيح يا سيد بيرتن... أرحب أن تعلمني إن كان كلامي شخصياً؛ ولكنك غريب هنا، ولذلك معرفة بالعالم وبجوانب الحياة المختلفة. وبدو لي أن من المفترض أن تستطيع أنت إيجاد حل لهذه المعضلة البغيضة.

استمتعتُ فقلت: إن أفضل حل توصلتُ إليه كان حلاً. وفي حلمي كانت كل الحقائق منسجمة تحت مكانها الصحيح وتعطي نتائج رائعة. وعندما استيقظت وجدت -مع الأسف- أن كل شيء كان هراء!

- هذا مثير جداً، أرحب أن أخبرني كيف كان ذلك الهراء!

- لقد بدأ الأمر كله بالعبارة السخيفة: "لا دخان بلا نار". كان الناس يرددون العبارة إلى جلي مثير للاشمئزاز، ثم ما لبثت أن امتزجت لدي مع مصطلحات حربية: سوافر دهانية، قنصية ووقر، رسائل هائلة... ولكن كلا، كان ذلك لي حلم آخر.

- وماذا كان ذلك المعلم؟

قالت تعاطب السيدة كالثروب: ولكن أخبرني يا عزيزتي، ما الذي يقوله أهل القرية... أفقد أهل البلدة؟ ما هو رأيهم؟

قالت جوانا: أفهم ما زالوا يظنون أنها السيدة كليث.

قالت السيدة كالثروب: أوه، كلا. ليس الآن.

سألت الأنسة ماربل عن تكون السيدة كليث هذه. فأجابها جوانا بأنها ساحرة القرية، ثم سألت: أليس هذا صحيحاً بما سيؤد كالثروب؟

تعلم الكاهن عبارة طويلة منسوبة باللغة اللاتينية قيلت في أنها عن موضوع القوة الشريرة للساحرات. وقد أضفينا جميعاً لكلامه بصمت واحترام دون أن نفهم كلمة واحدة.

قالت زوجته: إنها امرأة سخيفة جداً. تحب الشاي والإيحاء بأمور معينة؛ فتخرج لتجتمع الأعشاب عندما يكون القمر يدوراً وتحرص على أن يحلم كل أهل القرية بهذا الأمر.

قالت الأنسة ماربل: وأحسب أن القبعات الخفيفة يذهبن ويستقرنهن؟

رأيت الكاهن يستعد لضرب المزيد من العبارات اللاتينية على مسامعنا فسألت: أسألك، ولكن لماذا لا يهلك الناس الآن بارتكابها جريمة القتل؟ لقد توقعوا أن تكون الرسائل من فعلها.

قالت الأنسة ماربل: أوه، ولكن الفتاة ظلت مسيخ من جديد كما سمعت (وهي فعلة شنيعة جداً)، إن من الطبيعي أن يُبعد هذا

ثالثة: أووه لا مانع لدي. أنا - شخصياً - لا أذكر منها شيئاً، ولكن ربما استطلع جيري تذكرها، لا بد أنها كانت مسألة تافهة جداً.

كررتُ بحديث كلمات الرسالة بالفضل ما أمكنتي تذكرها، وقد حلزلي وسرلي ما أبدته العجوز من اعتصام بالغ، كنت أعشي أن تحبب كلماتُ الرسالة أهلها، ولكن ربما عطر لها حصار توهمت معه وجود علاقة غرامية ما خلف تلك الرسالة، إذ أنها أومات برأسها واتسمت وهدت مسرورة، وقالت: فهبت. لقد فلنستُ أنها متكون شيفاً على هذا النحو.

قالت السيدة كالثروب بحدة: أي نحو يا حين؟

- أي أن تحوي كلاماً عادياً جداً.

نظرتُ إليّ متألمة لبعض الوقت ثم قالت على نحو غير متوقع: بوسعي أن أرى أمك ضاب ذكي - حسناً... ولكنك غير واثق من نفسك بما فيه الكفاية. ينبغي أن تثق بنفسك!

صاحت جونا احتجاجاً: بالله عليك لا تشعبه على مثل هذا الشعور! يكف به لديه من عُجب بنفسه.

قلت: اسكني يا جونا، إن الأنسة ماربل تفهمني.

استأنفت الأنسة ماربل حياكتها بالصنارة، ثم قالت بتأمل حزين: أتعلم، إن ارتكاب جريمة قتل ناجحة لا بد أن يشبه كثيراً تنفيذ حيلة من حيل السحر.

- أتعيّن أن خفة اليد وسرعتهما تحدد العين؟

كانت السيدة العجوز منهلقة على هذا الموضوع بحيث شعرتُ بأنها كانت بالتأكيد قارئة سرية لكتاب "تفسير الأحلام" الذي كان مرافقاً دائماً لمرميتي العجوز.

قلت: رأيت فيه فقط أن السبي هولاند، وهي مربية الأطفال في بيت سمبنتن، تزوج من الدكتور غريغيت، وكان مضيفنا الكاهن يتلو الخطبة باللاتينية... ثم بهتت السيدة كالثروب فاعتزبت على الزواج وقالت إنه ينبغي وقف ذلك!

ثم أضفت حينئذٍ: ولكن ذلك الجزء الأخير كان حقيقة؛ فقد نهضت من غفوتي فوجدتلك تغلبين بجانبتي وتقولين هذا الكلام.

قالت السيدة كالثروب: وكنت على حق تماماً.

سررتُ إذ لاحظتُ أنها قالت ذلك مهدوء ودون انفعال.

سألت الأنسة ماربل وهي تقطب حاجبيها: ولكن أين جاءت الرسالة الهائفة التي ذكرتها؟

- أووه أعشي أنني أقصر فبقاء. فلنك لم تكن في الحلم؛ بل كانت قبله تماماً. بحث البهت ودخلت العسالة فلاحظت أن جونا كتبت رسالة صغيرة أرادت إبلاغها لأحدهم إذا ما اتصل هاتفاً...

مالت الأنسة ماربل إلى الأمام، وقالت وقد احمرت وجهها: هل متعبرلي فضولية جداً ووقحة جداً إذا سألتك عن محسوس قللك الرسالة؟ ثم قالت وهي تنظر إلى جونا: أرجو المعارضة يا عزيزتي.

ولكن جونا كانت مستمتعة جداً، فطمانت السيدة العجوز

- ليس ذلك فقط، عليك أن تجعل الناس ينظرون إلى الشيء  
غير الصحيح وفي المكان غير الصحيح... شيء من قبيل التوجيه  
الخاطئ: لإنهاء الناس.

قلت: حتى هذه اللحظة يبدو أن الجميع قد نظروا إلى المكان  
الخطأ بحثاً عن مجرمنا المبعوث.

قالت الأنسة ماربل: من شأنى -لنا شخصياً- أن أجعل للبحث  
عن شخص عاقل جداً.

قلت متأملاً: نعم، هذا ما قاله ناس. وأذكر أنه شدد على أنه  
شخص محترم أيضاً.

وافقت الأنسة ماربل قائلة: "نعم، هذا هام جداً". وبدأ أنا  
جميعاً وافقنا على هذا الرأي. ثم عاصطيت السيدة كالتروب قائلاً:  
يرى المفتش فلش أننا سنشهد المزيد من الرسائل المجهولة. ما رأيك؟  
قالت ببطء: أحسب أن ذلك قد يحدث.

قالت الأنسة ماربل: إذا كان الشرطه يظنون ذلك، لمسيكون  
الأمر دون شك كما يظنون.

توجهت بإصرار إلى السيدة كالتروب قائلاً: أما زلت تشفقين  
على كاتب تلك الرسائل؟

احمر وجهها وقالت: ولم لا؟

قالت الأنسة ماربل: لا أفلتني أوافقك الرأي يا عزيزتى... ليس  
في هذه القضية.

قلت متحسماً: لقد دفعت تلك الرسائل امرأة إلى الانتحار  
وسببت في بؤس وحسرة لا يوصفان!

سألت الأنسة ماربل جواثا: هل تلقيت واحدة يا أنسة بيرتن؟  
فنهقت جواثا وقالت: أوه، نعم! وقد ذكرت أموراً مغيرة جداً.  
قالت الأنسة ماربل: أحشى أن يكون كاتب الرسائل أكثر ميلاً  
لانتقاء من يتمتعون بالشباب والجمال.

قلت: هلدا ما يجعلني أستغرب من استثناء إلسي هولاند من  
تلقى أية رسالة.

قالت الأنسة ماربل: انتظر لحظة... أتعني مربية الأطفال لدى  
عائلة سيمتغن؟ الفتاة التي حملت بها يا سيد بيرتن؟  
- نعم.

قالت جواثا: ربما تلقيت واحدة ولكنها لا تريد قول ذلك.  
قلت: لا، إنني أصدقها، وكذلك نلس.

قالت الأنسة ماربل: يا إلهي هذا مثير جداً... هذا أكثر ما  
سمعتُه [ثارة حتى الآن]!

• • •

أعبرتني حوالاً -ليما كنا عائدتين إلى البيت- أنني أعطيت إذ  
كروث ما قاله لئس بعصرص استلام المزيد من الرسائل.  
سألته: لماذا؟

- لأن السيدة كالغروب قد تكون الفاعلة.

- أتصدقين ذلك حقاً

- لست متأكدة؛ فهي امرأة غريبة الأطوار.

وعدنا إلى مناقشة الاحتمالات من جديد.

بعد ذلك ببلتين كنت عائداً بالسيارة من إيكرايتم. كنت قد تناولت العشاء هناك ثم انطلقت عائداً بحيث لم أصل إلى لايمستوك إلا وقد حжим الظلام. وقد أصاب أنوار السيارة عتياً ما، قطأت السرعة وحاولت إطفاء وإشعال الأنوار ثانية، ثم أوقفت السيارة وعرجت منها لرؤية ما يمكن فعله، وبقيت أعبت بها فترة من الوقت إلى أن نحتت أخيراً في إصلاحها.

كان الطريق خالياً تماماً إذ لم يكن أحد يخرج من لايمستوك بعدما يخيم الظلام. كانت أمامي مباشرة أول بيوت البلدة، ومن ضمنها ذلك المبنى الذكريه لجمعية المرأة. كان يلوح من بعيد متعباً في ضوء النجوم الخافت، ودفعني شيء في داخلي لأن أذهب وألقي نظرة عليه. لا أدري إن كنت قد لصحت بشكل غير مؤكد ما بدا لي شخصاً دخل البوابة علسة... ولكن كان الأمر كذلك فقد كان ذلك الانطباع واضحاً لم يتطبع معها في عقلي الواسع، ولكنني أحسست فحاة تنوع من التنبؤ الطافي إزاء هذا المبنى.

كانت البوابة مفتوحة قليلاً، لدفعتها ودخلت، ورأيت أمامي ممراً قصيراً وأربع درجات تؤدي إلى باب المبنى. وقفت هناك لحظة متردداً ما الذي كنت أقمله حقاً؟ لم أكن أعرف، وفحاة

سمعت بقربي صوتاً خفيفاً... بدا أشبه بصوت فستان امرأة. درت بسرعة وذهبت إلى زاوية المبنى حيث كان مصدر الصوت.

لم أستطع رؤية أحد، فواصلت سيرتي وانعطفت عند زاوية أخرى. أصبحت الآن عند خلفية البيت، وفحاة رأيت نافذة مفتوحة على بعد قدمين مشي فقط. رحت أسفلها وأصغيت. لم أستطع سماع شيء، ولكنني أحسست - بشكل ما - بأنني مفتوح بوجود شخص في الداخل.

لم يكن ظهري قد غدا صالِحاً بعد للألعاب الهوائية، ولكنني تمكنت من رفع نفسي والقفز إلى الداخل، وقد أحدثت حركتي هذه صوتاً لسوء الحظ. وقفت أمام النافذة مصغياً، ثم سرت إلى الأمام وبداي مدودتان أمامي. وسمعت صوتاً خافتاً جذاً أمامي إلى جهة اليمين.

كنت أحمل في جيبى كشافاً صغيراً فأضائه، وعلى الفور سمعت صوتاً منخفضاً يقول بحدة: "أطفئ هذا". وأطعته فوراً لأنني أدركت في تلك اللحظة القصيرة أنه كان المفتش ناش.

أحسست به يمسكتني من ذراعي ويدفعني من خلال الباب إلى صر، وهناك - حيث لا توجد نافذة لتفسح وجودنا أمام أحد من الخارج - أضاء المفتش كشافاً ونظر إلي نظرة تعبر عن الحزن أكثر مما تعبر عن الغضب، ثم قال: أكان يجب أن تتدخل في هذه اللحظة بالذات يا سيد بيرن.

اعتذرت له قائلاً: أسف... ولكن انتابني إحساس داخلي بأنني سأعثر على شيء ما.

- وربما كنت متعثر على شيء بالفعل، هل رأيت أحداً؟

ترددت ثم قلت ببطء: لست متأكداً. كان لدي إحساس غامض بأنني رأيت شخصاً يتسأل من البوابة الأمامية، لكنني لم أزل أحياناً رؤية محققة، ثم سمعت صوت حفيف عند جانب البيت.

أوما ناشى برأسه وقال: هذا صحيح؟ جاء شخص خلف البيت قبلك. وقد تردد قليلاً عند البوابة، ثم ذهب بسرعة... فقد سمعته كما أظن.

اعتذرت له ثانية وسألته: ما هو الموضوع؟

- إنني أراهن على الفرضية القائلة إن من يكتب مثل هذه الرسائل لا يستطيع التعرف عن كاتبها. ربما كانت كاتبها على علم بخطورة ما تفعله، ولكنها متعظم لفعله. إنه آمنه بالإدمان على الشراب أو المخدرات.

أومات برأسي، فعزى قائلاً: ولذلك غلاني أنصوّر بأن كاتبة هذه الرسائل - كاتبة من كانت - ستحرص على أن تبقى الرسائل على نفس النمط قدر الإمكان. لقد انتزعت تلك الصفحات من ذلك الكتاب، وبمكتبتها الاستمرار في استخدام الحروف والكلمات بعد فصلها من تلك الصفحات. ولكن الملاحظات تمثل لها صعوبة، إذ سيتعين عليها أن تظلمها على نفس الآلة الكاتبة. لا نستطيع المحازلة باستخدام طابعة أخرى أو باستخدام عطل بها.

سألته غير مصدق: أتعقد حقاً أنها متواصل نفس اللعبة؟

- نعم، وأراهنك بأي شيء، تتردد على أنها واثقة جداً بنفسها.

إن أفعال هذه المرأة يمثلهم الغرور! ولذلك فقد تصورتم أن الفاعلة تأتي إلى الجمعية بعد أن يحل الظلام حتى تستخدم الآلة الكاتبة.

قلت: الآلة عيش.

- ربما.

- ألم تعرف بهد؟

- لا أعرف.

- ولكنك تشك؟

- نعم، ولكن أفاعلي شديد المكر بامسيد بيرتن! إنه يعرف جميع أساليب اللعبة.

استطيع أن أتخيل الشبكة التي نشرها ناش على اتساعها. ليس عندني شك أن كل رسالة يكتبها مشبوه يضعها في البريد أو يسلمها باليد يتم فتحها فوراً. سوف تزول قدما الحائني عاجلاً أم آجلاً، وسوف يزداد إحصاءاً.

اعتذرت للمرة الثالثة عن وجودي الحماسي غير المعروف فيه، فقال ناش بأسلوب فلسفي: حسناً، هذا ما لم يكن بالإمكان تفاديه. حقلاً أفضل في المرة القادمة.

نخرجت إلى عتمة الليل، فرأيت قلل شعص يقف إلى جانب سيارتي، ولشدة دهشتي أدركت أنها ميغان. قالت: مرحباً، ظننت أن هذه سيارتك. ما الذي كنت تفعله؟

- الأخرى أن أسأل ما الذي تفعله أنت.

تعصت ميلان بكلمات غير مفهومة وهي تعبر أمامه وتتدخل  
البيت. تشهد سيمنتن وقال: إن البيت البالغة مسؤولية عظيمة عندما  
لا تكون عندها أم ترعاها، وأحسبها كبرت على المدرسة.

ثم نظر إليّ بشيء من الارتباك وقال: أفلتك أخذتها معك لسي  
رعة بالسيارة؟

رأيت أن من الأفضل ترك السؤال هكذا.

\* \* \*

www.BooksLovers.com  
Chapters

- خرجت أتمشى. إنني أحب المشي في الليل؛ لا أحد يوقفك  
ويتحدث معك يحدث سخييف. كما أنني أحب النجوم، والراحة  
الأشجار تكون أركبي، وتدو الأمور اليومية الاعتيادية أكثر سحرًا.

- أسألك معك بصحة هذا كله ولكن القفط والساحرات فقط  
عن اللاتي يعرضن في الظلام، وسوف يتساءل أهل البيت عن مكان  
وجودك.

- كلاء لن يتساءلوا، إنهم لا يتساءلون أبدًا عن مكاني.

- كيف تسير أمورك؟

- أفلتها على ما يرام.

- هل تهتم بك الأنسة هولاند وترعاك؟

- إلسي لا بأس بها. لا يسعها إلا أن تكون مغفلة تمامًا.

- وصف فقط، ولكنه ربما كان صحيحًا. أركبي حتى أرسلتك

إلى البيت.

لم يكن صحيحًا أن أحدها لا يشهد ميلان؛ فقد كان سيمنتن  
واقفًا على عتبة الباب عندما وصلنا، نظر بانجاعتنا وقال: مرحبًا، هل  
ميخان موجودة معك؟

- نعم، لقد أحضرتها إلى البيت.

قال سيمنتن بجدية: يجب ألا تخرجي هكذا دون أن تخبريننا  
بميلان؛ لقد قلقت الأنسة هولاند عليك كثيرًا.



متنصف طريقي إلى المحطة رأيت ميفان تمسح على غير هدى.  
توقفتُ وقلت: مرحباً ماذا تفعلين؟

- خرجت ليتمشي فقط.

- ولكني أرى أن مشيك ليس بالمشي الرشيق السريع. أنت  
تمشين زحفاً كسرطان الماء الحزين.

- ذلك لأنني لا أقصد مكاناً محدداً بداته.

- إذن يمكنك أن تأتي لتوديعي في المحطة.

فتحت باب السيارة، ففكرت ميفان فيها وسألتني: إلى أين أنت  
ذاهب؟

- إلى لندن؛ لرؤية طبيي.

- هل تدهورت حالة ظهرك؟

- لا، لقد عاد طبيياً الآن، وتوقع أن يعيد الطبيب كثيراً لئلا.

أومأت ميفان برأسها وقدمت السيارة وصولاً إلى المحطة،  
وهناك أوقفني ودخلت المحطة واشترت تذكري من شباك للحجز.  
كان على الرصيف عدد قليل جداً من الناس ولم يكن بينهم من  
أعرفه. قالت ميفان: هل تمنعني إقراضي بنساً؟ أريد أن أشتري  
قطعة من الشوكولاتة من ذلك الآلة.

قلت وأنا أسلمها القفلة النقدية المظلمة: هاك يا فلانسي.  
أأنت وإنته أنك لا تريدن أيضاً علكة أو أقراص الحلوى الرطبة؟

## الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي حين جنوبي، وإذ أتذكر الآن هذا الأمر فلانسي لا  
أجد حقاً إلا هذا التفسير

كان عليّ القيام بالزيارة الشهرية لـدكتور ماركوس كنت...  
ذهبت بالقطار، ولشدة ذهبتني اختارت جوانا أن تبقى في البيت،  
مع أن من عادتها دائماً أن تكون منطوية على المجيء معي حيث  
تبقى هناك بضعة أيام. واعتزمت هذه المرة العودة في نفس اليوم في  
قطار المساء، ولكنني كنت - مع ذلك - متدهشاً من جوانا؛ فقد  
اكتفت بالقول بطريقة مبهمة إن لديها الكثير من العمل لتقوم به،  
ونسألت لماذا عساه تقضي ساعات في قطار رديء مزدحم بينما  
كان الجو رائعاً في الربيع.

كان ذلك بالطبع أمراً لا يمكن إنكاره، ولكنه بدا مخالفاً  
لطبيعة جوانا، فالت إني لا أريد السيارة ولذلك يمكنني الذهاب بها  
إلى المحطة وتركها هناك لحين عودتي.

تقع محطة لايمستوك - لسبب لا يعرفه أحد سوى شركة  
سكك الحديد - على مسافة نصف ميل من لايمستوك نفسها، وفي

قالت جوك أن تشبه لسخرتي: أحب الشوكولاتة أكثر.

ذهبت إلى آلة الشوكولاتة ونظرت إليها وهي ذاهبة بشعور من الخيف المتنامي، كانت تلبس حذاءً بالياً وجوارب خشنة قبيحة المنظر وبلوزة وثقورة لا شكل لها، ولا أعرف لماذا أغافلني كل هذا، ولكنه أغافلني فعلاً.

قلبت غاضباً عندما عادت: لماذا تلبسين هذه الجوارب المخربة؟

نظرت ميفان إلى جواربها مندهشة وقالت: وما العيب فيها؟

- كل العيب فيها: إنها كريهة! ولماذا تلبسين كنزة كأنها رأس ملقوف فاسد؟

- لا بأس بها، فهي عندي منذ سنوات.

- هذا واضح تماماً. ولماذا أنت...

في هذه اللحظة وصل القطار فقطع عليّ محاضرتي الفاضية. دخلت مقصورة خالية في الدرجة الأولى، وأُنزلت البافذة، وأخرجت رأسي منها لأكمل الحديث.

وقفت ميفان أسفل مني ووجهها إلى أعلى. سألتني عن سبب غضبي، فقلت غير صادق: لمست غاضباً، إنما أحسست بالغبطة لأنني أراك كسولة ولا تهتمين بمظهرك.

- لا يمكن أن أبدو بمظهر حسن على أية حال، فما أهمية ذلك إذن؟

- يا إلهي، أريد أن أراك بتياب جميلة... يودي أن أحذك إلى لندن وأكسوك من رأسك حتى قدمي.

قالت: لبتك تفعل!

بدأ القطار يتحرك، ونظرت إلى وجه ميفان الكئيب، وعندما انتابني الحزن كما قلت: فتحت الباب وأمسكت بميفان بلواح واحدة ورفعتهما إلى المقصورة بسرعة!

أطلق الحشال صيحة غاضبة، ولكن كل ما استطاع فعله هو إغلاق الباب مرة أخرى بطريقة بارعة. رفعت ميفان عن الأرض، فسألتني وهي تسبح ركبتيها: لماذا فعلت ذلك بالله عليك؟

- اسكني. ستأين معي إلى لندن، وعندما أفرغ من أمرك لن تعزفي نفسك! سأريك كيف يمكنك أن تظهري لو حاولت الاهتمام بنفسك! لقد شئت من رزقك تسكعين بملايس رنة.

أطلقت ميفان آهة هاسمة تملؤها التشوة، وجاء محصل التذاكر فاستربت لها تذكرة ذهاب وعودة، وجلست في زاويتها تنظر إلى بنوع من الاحترام والرهبة. وعندما ذهب الرجل قالت: أرى أنك ممن يتصرفون من وحي اللحظة، أليس كذلك؟

- تماماً... إنها إحدى العمدات المتواركة في عائلتنا.

كيف أهرح لميفان ذلك الإحساس المفاجئ الذي انتابني؟ كانت قد بدت أشبه بكلاب حزين تركه صاحبه وراءه، وهي الآن تظهر من البهجة المستغربة ما يظهره الكلب إذ قرّر صاحبه اصطحابه في نهاية الأمر.

قلت لها: لا أحسبك تعرفين لندن جيداً أليس كذلك؟

- بل أعرفها. كنت أمر بها دائماً حين كنت أذهب إلى المتروسة. كما ذهبت إلى طيب أستان فيها، وإلى إحدى المسرحيات.

- هذه المرة ستكون لندن مختلفة.

وصلنا قبل نصف ساعة من موعدنا مع الطبيب في شارع هارفي، فأخذت سيارة أجرة وذهبت إلى محل ميروتين للأزياء الذي نتعامل جونا معه. وصاحبة محل ميروتين امرأة مرحة غير تقليدية في الخامسة والأربعين من عمرها اسمها ماري غري، وهي امرأة ذكية حذرة المعشر، وقد كنت معجباً بنوعها دائماً.

قلت لميغان: أنت ابنه عمي.

- لماذا؟

- لا تتجادلي.

كانت ماري غري تتعامل مع فتاة بدنية وتصبر على ثمن ثوب مهرة أزرق اللون ضيقاً كانت الفتاة قد اقتضت به. اقتربت منها وأخذتها جانباً وقلت: اسمعيني، لقد أحضرت ابنة عم لي، كانت جونا سباتي ولكن امرأة منعها فقالت إن بإمكانني ترك الأمر لك. هل ترين كيف يبدو الفتاة الآن؟

قالت ماري غري بانفعال: يا إلهي، إنني أراها بالظلم.

- حسناً، أريد أن تلقي مظهرها رأساً على عقب ومن جميع النواحي. لك مطلق الصلاحية لتحيزها بكل ما تريد من جوارب،

أحذية، ملابس داخلية، كل شيء! على فكرة، المحل الذي يصفق شعر جونا قريب من هنا، أليس كذلك؟

- إنه عند الزاوية... سأنتظر هذا الأمر أيضاً.

أنت امرأة بالغ امرأة!

- أوه، سأستمتع بهذا الأمر، بغض النظر عن الحال، مع أنه أمر لا يمكن الاستهانة به هذه الأيام... إن نصف البهائم من زبائناتي لا بدلن فواتيرهن أبداً. ولكن كما قلت، سوف أستمتع بهذا الأمر.

نظرت إلى ميغان نظرة محترنة وسريعة وهي تنف بعيداً عنا وقالت: إن لها شكلاً جميلاً.

- لا بد أن لك عبتين أنفذ من الأشعة السينية؛ فأنا لا أرى لها أي شكل.

ضحكت ماري غري وقالت: لا تقلق. دع الأمر كله لي.

- حسناً، سأعود وأخذها في الساعة السادسة تقريباً.

• • •

كان ماركوس كنت مسروراً من صحتي، وقد أخبرني بآنني نحاولت أفضل ثوقه، ثم قال: لا بد أن لك ثنية قبل حسي استعدت صحتك بهذه السرعة. يا له من رائع ذلك التأثير الذي يتركه على المرء هواء الريف وعدم التأخر في السهر أو التعرض لأنفعالات... إن هو استطاع الالتزام بذلك.

- أوافقك على أول اثنتين. ولكن لا نحسب أن الريف ملو  
من الانفعالات؛ فلدينا الكثير منها في متفتنا.

- أي نوع من الانفعالات؟

- جرائم قتل مثلاً.

رَمَ ماركوس كنت شغيفاً وصَفَرُ قائلًا: أهى مأساة حب ربيدة؟  
صبي مزارع يقتل لثاته؟

- أهدأ، بل قائل مهادع مصمم محنون.

- لم أقرأ عن ذلك شيئاً. متى اعتقلوه؟

- لم يعتقلوه، كما أنها أنثى!

- ووه! لست، وانقأ أن لا يستوثق هي المكان المناسب لك  
أبها الفتى.

قلت بصلاية: بل هي كذلك، ولن تستطيع إخراجي منها.

- هكذا إذن! أوتد وحدت حسناء هناك؟

قلت وأنا أفكر بالسي هولاند بيسي، من الشعور بالذنب:  
إطلاقاً، كل ما في الأمر أن سيكولوجية الجريمة تثير اهتمامي.

- أوه، لا بأس. من المؤكد أنها لم تلدك حتى الآن، ولكن  
تأكد فقط من أن محرمتك المحنونة لن تقتلك أنت.

- لا خوف من هذا.

- ما رأيك بالعشاء معي الليلة؟ يمكنك أن تخبرني كل شيء،  
عن جربنتك تلك.

- آسف! إني محجوز.

- موعد مع سيدة؟ نعم، أنت تقام بالتأكد.

قلت وقد أعجبني تخيل ميلان وهي تقوم بذلك الدور:  
أحسب أن بوسمك أن تسميها هكذا.

وصلتُ محل مرورتي الساعة السابعة، وهو موعد الإغلاق  
الرسمي للمحل. جاءت ماري غري لاستقبالي عند أعلى الدرج  
خارج غرفة العرض، وقالت وقد وضعت أصبعها على شفتيها:  
ستصاب بالصدمة! ولو صبح أن أقول ذلك عن تقسي لقلت إنني  
قمت بعمل رائع.

ذهبت إلى غرفة العرض الكبيرة. كانت ميان تقف وتنتظر إلى  
نفسها في مرآة طويلة، وأصدتكم القول بانني لم أكد أعرفها! فقد  
أدهنتني منظرها للحظات! طويلة ونحيفة بملابس أنيقة وجوارب  
حريرية وحذاء جميل... كانت الحودة والتميز في كل مظهر من  
مظاهرها، وقد تم تشذيب شعرها وتصفيفه ليناسب رأسها، وكان  
يلمع كحبة الكستناء. ولقد كان لهم من اللؤلؤ ما حملهم بتركوت  
وجوها على حاله، بلا مساحيق أو أحمر الشفاه.

نظرت إليّ باحتمام وهي تبسم ابتسامة محجولة وقالت: إنني  
أهدو... والعة بعض الشيء، أليس كذلك؟

- والعة؟ إن كلمة والعة لا تكفي لوصفك! تعالي للمهبط إلي.

العشاء وسوف أذهب إن لم يلبثت إليك كل الرجال... ستفهمين كل الفتيات!

لم تكن ميفان بالغة الجمال، ولكنها كانت ذات مظهر أسر وغير عادي؛ كانت ذات شخصية. دخلت المطعم فتقدمني، وأسرع التبادل إليها يدهولاً للجلوس على مائدة مناسبة. وعندما تناولنا العشاء قالت ميفان: أليس هذا الطعام رائعاً؟ وكل شيء!

ثم نهضت مسرورة، فقلت: نلس شعوري بالضبط.

كانت أمسية جميلة، ولحظة قالت ميفان بارتياح: ألا يجب أن نعود إلى البيت؟

فبحثت فمي دهشة. نعم، كنت مستغرقاً تماماً بحيث نسيت كل شيء. صحت: "ها الهي!" فقد أفركت أن آخر قطار قد غادر. قلت: انبقي هنا أنا ذاهب للاتصال بالهاتف.

اتصلت بشركة لويولين لتأجير السيارات وطلبت أن يرسلوا لنا أكبر وأسرع سيارة عندهم، وفي أسرع وقت ممكن. ثم عدت إلى ميفان وقلت لها: لقد غادر آخر القطارات لهذا اليوم، ولذلك منعود إلى البيت بالسيارة.

- أليس؟ يا لها من متعة!

وأنت كم كانت لحظة لطيفة... يسرها كل شيء، لا نحاوله ونقبل كل اقتراحاتي دون طمعة أو غم. وصلت السيارة، وكانت كبيرة وسريعة، ومع ذلك لم نصل إلى لايمستوك إلا في وقت متأخر

جداً. قلت وقد شعرت فحاة موحز الضمير: لا بد أنهم أرسلوا قرق تغشيش للبعث عنك!

لكن ميفان بدت في مزاج هادئ. قالت على نحو غامض: أوه، لا أفكر ذلك؛ فأنا غالباً ما أخرج ولا أعود إلى البيت على المغداء.

- نعم يا عزيزي، ولكنك هبث طوال النهار ولحاضمت عن العشاء أيضاً.

حالف الحظ ميفان؛ فقد كان البيت مظلماً وساكناً. وبناء على نصحتها درنا خلف البيت وألقينا حمى على نافذة غرفة روز.

وأخيراً أغلقت روز من النافذة. وبعد الكثير من تعابير الدهشة المكبوتة والانفعال، نزلت لتدخلنا إلى البيت قائلة: ها أنت الآن، وأنا التي قلت إنك نائمة في فراشك. خرج سيدي مع الأنسة هولاند (قامت بحركة ازرقاء عند ذكر الأنسة هولاند)، تناولوا العشاء مبكراً وذهبا في زهرة بالمبارقة، وقد قلت لهما إنني سأهتم بأمر الولدين. طفت أنني سمعتك تدخلين عندما كنت في غرفة الأطفال لاستكات كولين الذي كان يلعب في الغرفة، ولكنك لم تكوني موجودة عندما نزلت، ولذلك فقلت أنك ذهبت إلى فراشك، وهذا ما قلته عندما جاء سيدي وسأل عنك.

قطعت الحديث لأقول إن من الأفضل لميفان أن تأوي إلى فراشها الآن. قالت ميفان: طابت ليلتك، واشكرك شكراً لا حدود له... كان هذا أروع يوم في حياتي.

العشرين إلى لندن وتشترى لها ملابس دون إحداث فضيحة كبيرة.  
يا إلهي ربما اضطررت للزواج بالفتاة!

كانت جوانا تخلط الحدة بالهزل. وفي تلك اللحظة وصلت  
إلى اكتشاف هام جداً، فقد قلت: تياً لذلك كله! أنا لن أمانع في  
الزواج بها، بل إنني في الحقيقة... سأحب ذلك.

ظهرت على وجه جوانا ملامح غريبة جداً. نهضت وقالت  
بشيء من الواعية وهي تسجح نحو الباب: نعم، لقد عرفت ذلك منذ  
بعض الوقت...

لركنني وفدجاني بيدي واقفاً مشدوهاً بأكتافني الجديده.

\* \* \*

عدتُ بالسيارة إلى البيت وأنا ما زلت أشعر بالسعادة، ودفعت  
للمسائق إكرامية كبيرة وعرضت عليه أن ينام عندنا إن شاء، لكنه  
فضل أن يعود إلى لندن في الليل.

كان باب الصالة قد انفتح أثناء حديثنا، وعندما انطلق بسيارته  
أعلنت جوانا وقالت: إذن فقد عدت أخيراً؟

هليلج وأغلقت الباب خلفي وقلت: هل فلفقت علي؟

ذهبتُ جوانا إلى غرفة الاستقبال وتبعها. كان إبريق القهوة  
موضوعاً على الطاولة فصبت جوانا فنجانين من القهوة لكي ولها ثم  
قالت: فلفقتُ عليك! كلا بالطبع. ففنتُ أنك قررت البقاء في  
المدينة وقضاء سهرة حافلة.

- لقد قضيتُ سهرة حافلة... من نوع ما.

ابتسمتُ ثم بدأت أضحك. سألتني جوانا عن سبب ضحكك  
فأخبرتها بما جرى، فقالت: ولكن يا جيري... لا مذكرك كنت  
محتوناً تماماً!

- أظنني كنت كالمات.

- ولكنك يا طغلي العزيز لا تستطيع فعل أشياء كهذه. ليس  
في مثل هذا المكان حيث نشر الخبر في كل أنحاء لايمستوك غداً.

- أظنه سينشر بالفعل، ولكن ميثان محمّد طلبة في نهاية  
الأمس.

- ليست طلبة! إنها في العشرين. لا يمكنك أن تأخذ ذناب لي

ولكنها تمكنت من جعل تلك الملابس تبدو مختلفة. أمر رائع ما يفعله بالفتاة علمها بحقيقة جاذبيتها وأدركت فجأة أن ميفان قد نضجت.

أظن أنني كنت عصبي المزاج قليلاً دون ريب. وإلا نعم! المتحدث معها الحديث بمحبة قائلًا: "مرحباً أيها القطة!" إذ لا تكاد هذه العبارة تكون تحية محبب في مثل تلك الظروف.

ولكن بدا أنها أعجبت ميفان. فقد ابتسمت وقالت: مرحباً!

- أرحو ألا تذكري قد تعرضت لمشاجرة بخصوص الأحمس؟

قالت ميفان بشفقة: أوه، كلا.

ثم طرفت عيناها وقالت بشكل غامض: نعم، أظن أنني خضعت شجاراً. أقصد أنهم قالوا أشياء كثيرة وبدا أنهم رأوا الأمر غريباً جداً، ولكنك تعرف طبيعة الناس والفضحة التي يفتعلونها من لا شيء.

ارتحت عندما وجدت أن الاستياء والصدمة لم يؤثرأ أبداً على ميفان. فسألتها: جئت هذا الصباح لأن عندي اقتراباً أريد طرحه. أنت تعلمين أنني أحبك كثيراً، وأعتقد أنك تحبينني...

قالت ميفان بحماسة شديدة: كثيراً.

- كما أننا نستخدم مع بعضنا جيداً، ولذلك أرى أنها مستكون فكرة جديدة لو تزوجنا.

- أوه.

بدت عليها الدهشة... الدهشة فقط. لم تجعل من قولها: ولم نستخدم بالصدمة! مجرد دهشة معتدلة. سألتها بأسلوب من يريد استيضاح الأمر استيضاحاً تاماً: أعني أنك تريد الزواج بي حقاً؟

## الفصل الثاني عشر

لا أعرف ماذا ينبغي لرجل يعزم الزواج أن تكون أحاسيسه.

هي الروايات يكرر. حلقه جالاً ويشعر أن ياتقه تضيق على رقبته كثيراً ويكون في حالة عصبية يرثي لها، ولكني لم أشعر بذلك على الإطلاق. فبعد أن توصلت إلى فكرة جيدة عزمست أمري على تنفيذها ونسويتها في أسرع وقت ممكن. ولم أر أي سبب يحلص بدعو للارتباك.

ذهبت إلى بيت سيمفون في نحو الساعة الحادية عشرة. قرعت الجرس وعندما جاءت روى سألت عن الأتية ميفان، وكانت المفطرة العارفة التي نظرت بها روى إليّ هي أول ما جعلني أشعر بشيء من المحجل. وأدخلتني إلى غرفة الصباح الصغيرة، وفيما كنت أنتظر هناك تميت ألا يكونوا قد ضاهقوا ميفان.

وعندما انفتح الباب والتفت لألفر ارتحت على الفور. لم تبد ميفان متحيرة أو متضاقة على الإلهالي، كان رأسها ما يزال كما هو ككساة لامة، وكانت تحملها تلك الكبرياء واحترام الذات الذي اكتسبته سالأس. كانت في ملابسها القديمة مرة أخرى،

قلت وأنا أعني ما أقول: أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر.

- تقصد... أنك تحبني؟

- إنني أحبك.

كانت عينها ثابتتين وهادئتين، قالت: اعتقد أنك اللطيف إنسان في العالم... ولكنني لا أحبك.

- سأحملك على أن تحبيني.

- لن يتبع ذلك؛ فأنا لا أريد أن أحصل.

سكتت ثم قالت بجدية: لست من النوع الذي يسلح زوجة لك؛ إنني أؤمن الكراهية أكثر مما أؤمن الحب.

فالت ذلك بهمة وتركيز غريبن. قلت: الكراهية لا تدوم، أما الحب فيدوم.

- هل هذه حقيقة؟

- هذا ما اعتقدته.

مرة أخرى ساد الصمت، وأميراً قلت: ودك إذن هو "لا"؟

- نعم، إنه لا.

- وأنت لا تنصحيني بالإنهاء على الأمل؟

- وما فائدة هذا؟

واقفتها قائلاً: لشيء إطلاقاً... مجرد تسويق؛ لأنني سأستمر

في الأمل سواء لصحبتي بذلك أم لا.

• • •

حسناً، هذا ما كان. غادرت البيت وأنا أشعر بشيء من الانسداد، ولكنني كنت واعياً لظلمات روز التي لأحسبني يكبرني من الاهتمام.

كان، لدى روز الكثير مما تقوله لي قبل أن أستطيع الإفلات. قالت إنها لم تعد تشعر بأن الأمور عكسي ما كانت عليه منذ ذلك اليوم المزعج، وإنها ما كانت لتبقى لولا الأطفال وشعورها بالأسف على السيد سيمنتن المسكين، وإنها لن تبقى إلا إذا جيء بخادمة أخرى بسرعة، ومن غير المحتمل أن تأتي خادمة إلى بيت وقعت فيه جريمة قتل؛ وقالت إن الأنسة هولاند كانت في غاية اللطف عندما قالت إنها ستقوم بتدبير المنزل حتى قدوم خادمة بديلة. كانت لطيفة جداً وخدمة... نعم. ولكنها تصور أنها ستكون سيدة البيت في يوم من الأيام؛ إن السيد سيمنتن المسكين لا يرى شيئاً عكسي الإطلاق... ولكن المرأة تعرف كيف تكون حالة الأرملة مخلوق بالنسبة لمسكين وضعت الظروف فرصة لكيد امرأة. وإن من المؤكد أن فشل إلسي هولاند في الحصول محل السيدة سيمنتن - إذا ما حصل - لن يكون سيئاً فلة المحاولة من طرفها.

واقفتها على كل شيء بطريقة آلية وأنا متشوق للهروب منها، ولكنني لم أستطع ذلك لأن روز كانت متمسكة بقبعتي وهي مضجة في صخب متكافئها، وتسابلت إن كان فيما قاله أي نوع من الحقيقة. هل نالت إلسي هولاند لأن تصبح الزوجة الجديدة لسيمنتن؟ أم أنها نلتها طيبة القلب تبلل ما يوسمها للعناية بأمره حلت بها مصيبة؟



وبما كانت النتيجة واحدة في كلتا الحالتين. ولم لا؟ إن طفلي سيمتحن الصغيرين يحتاجان إلى أم، والسبي كانت امرأة محترمة... إلى جانب كونها جميلة إلى حد يخرج عن حدود الاحترام، وهي صفة قد تعجب الرجل... حتى وإن كان رجلاً محترماً كسيمنتن!

أعرف أنني كنت أفكر بهذا كله لأحاول تجنب التفكير بأمر ميغان. وبما قلت أنني ذهبت لميغان طالباً منها الزواج بي بعقلية فيها الكثير من الرضى عن الذات والثقة بالنفس، وإنني أستحق ما حصل... ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحقيقة. كان ذلك لأني أحسست بشفة كبيرة وبشكل مؤكد بأن ميغان كانت لي أنا... وأنها كانت شائناً من شروني، وأن علاقتي بها وإسعادهما وتجنبيها الأذى هو طريقة الحياة الطبيعية الوحيدة أمامي، وإنني توقعنت منها أن تشعر هي أيضاً أننا لبعضنا البعض. لكني لم أكن لأستسلم... كلا! إن ميغان هي فتاتي، وسوف أحصل عليها.

بعد لحظات من التفكير ذهبت إلى مكتب سيمينتن. قد لا نلتفت ميغان إلى الانشادات الموجهة لسلوكها، ولكني أحبيت تقويم الأمور. وفعل لي إن السيد سيمينتن غير مشغول فدخلت عليه، وقد فهمت من زمة شفاهه والتعصب الإضافي في سلوكه أنني لا أحظى بالكثير من الترحيب في تلك اللحظة. قلت: صباح الخير. أحشى ألا تكون هذه زيارة عمل، بل زيارة شخصية. سأطرح الموضوع بكل وضوح... أليس أدركت - بلا ريب - أنني أحب ميغان، وقد طلبت منها الزواج بي ولكنها رفضت. إلا أنني لا أعتبر ذلك الرفض نهائياً.

رأيت ملامح سيمينتن تتغير، وأدركت ما يدور في ذهنه

بسهولة؛ فقد كانت ميغان عنصر نشاز في بيته. أحسنت - وأنشد - بأنه رجل مُنصف ولطيف، وما كان ليفكر أبداً في عدم إبقاء ابنة زوجته المتوفاة أو الامتناع عن تقديم السكن لها، ولكن زواجها بي سيكون مصدر راحة له بالتأكيد.

ترأجت صرامة ملامحه، وانهم لي انضماماً باهنة حذرة وقال: تعلم يا بوترن أنني - بمسراحة - لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. أعرف أنك كنت توليها الكثير من عبادتك، ولكنك كنا دائماً نعتبرها طفلة. قلتُ باقتضاب: ولكنها ليست طفلة.

- نعم، ليس من ناحية العمر.

قلت وما زال بي شيء من الغضب: إنها تستطيع التصرف وفق عمرها الصحيح في أي وقت يُسمح لها فيه بذلك. أعرف أنها لم تبلغ الحادية والعشرين (الذي يُعتبر رسمياً سن النضوج والاستقلالية)، ولكنها متبلغ هذا العمر بعد شهر أو اثنين. سأعطيك كل المعلومات التي تريدها عني: أنا في وضع مالي جيد وقد كانت حياتي شريفة تماماً، وسأهتم بميغان وأفعل كل ما أستطيعه لجعلها سعيدة.

- تماماً... تماماً. ومع ذلك فإن الأمر يرجع لميغان نفسها.

- ستنتقم مع مرور الوقت، ولكنني أحبت فقط أن أصالحك بهذا الأمر.

قال إنه يقرر هذا الموقف، ثم افترقنا وداعاً.

• • •

- إن للصدق مثل هذا التأثير.

خرجت السيدة كاثروب من محل السدك مرة أخرى وجاءت إلينا. أشارت إلى صرطان كبير أحمر كانت تحمله وقالت: أرايت شيئاً أبعد شبيهاً بالسيد باي من هذا؟ انظر كم هو مفعم بالقوة والذكورة، أليس كذلك؟

• • •

شعرت ببعض الحرج من مقابلة جوانا، ولكن عندما وصلت إلى البيت عرفت أن قلتي لم يكن له داع؛ فقد خرجت ولم تعد لتناول الغداء. وقد أجزن ذلك بارترديج كثيراً فقالت بمرارة وهي تضع قطعين من اللحم في طبق: لقد أكلت الأنسة بيرتن أنها ستعود لتناول الغداء.

أكلت قطعتي اللحم في محاولة للتعبير عن غياب جوانا، ولكنني تساءلت في نفسي أين يمكن أن تكون أعني الآن. لقد اعتادت أن تكون غامضة جداً في تصرفاتها مؤخراً!

كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عندما سمعت صوت سيارة تقف في الخارج، وما لبثت جوانا أن دخلت غرفة الاستقبال. وتوقعت أن أرى غريث معها لكنها كانت وحيدة. كان وجهها منتفخاً بالحمرة وبدت مزعجة، ولصورت أن شيئاً قد حدث.

سألتها: ما الأمر؟

فتحت جوانا فمها لتكلم لكنها أغلقت فمها ثانية وتنهتدت وألقت

صادقت إميلي بارتن في الخارج، وكانت تحصل مائة مئثرات يدها. قالت: صباح الخير يا سيد بيرتن. سمعت أنك ذهبت إلى لندن بالأس.

لعمري، لقد سمعت ذلك دون شك! أرايت أن الرثة باقية في عينيها، ولكنهما كانتا ملوحتين بالفنول. قلت: ذهبت لرؤية طبيب.

ابتنست الأنسة إميلي وتعمت فائقة: سمعت أن ميثان كاد يغوثها الفطار، وقد فترت إليه وهو يتحرك.

بمساعدي أنا؟ أنا الذي سحبتها إليه.

كم كنت محظوظاً في ذلك، وإلا لوقع حادث.

غريب كيف يمكن لعبوز رقيقة فضولية أن تجعل الرجل يشعر أنه مغفل! وأنفذي ظهور السيدة كاثروب من مزبد من المعاناة، وكانت معها ضيفتها المعجوز. قالت السيدة كاثروب: صباح الخير. سمعت أنك اشتريت ليفة ليعال بعض الملايس اللاتعة؟ (له تصرف عاقل منك!) فالتفكير بشيء عملي كهنا يتطلب رجلاً بكل معنى الكلمة. كنت قلقة على هذه الفتاة منذ وقت طويل. القشبات العاقلات معرضات أن يتحولن إلى مغفلات، أليس كذلك؟

وبهذه العبارة الملفقة للظفر دخلت السيدة كاثروب إلى محل السدك بسرعة. أما الأنسة مارول التي بقيت واقفة إلى جانبي فقد طرقت بعينيها وقالت: إن السيدة كاثروب امرأة رائعة! تكاد تكون على حق دائماً.

- الأمر الذي يجعلها ضعيفة بعض الشيء!

بنفسها على كروسي وأخذت تحدث أمامها، ثم قالت: لقد قضيتُ اليوم أسوأ الأيام.

- ماذا حدث؟

- عملتُ شيئاً لا يصدق! كان رهيباً.

- وما هو؟

- خرجت في زهرة سيرا على الأقدام في زهرة عادية، صعدت التلة وذهبت إلى الصبغة، محيت أسيلاً... فقد اعجبني أن أمشي، ثم نزلت وادياً، وكانت هناك مزرعة... في منطقة متزولة تماماً، شعرت بالعطش وتساءلت إن كان عندهم حليب فمشيت إليهم ودخلت ساحة المزرعة، ثم فتح الباب وخرج منه أوبن.

- وبعد؟

- ظن أن القادسة هي ممرضة المقاطعة. كانت هناك امرأة تضع مولوداً، وكان أوبن يتوقع محي الممرضة، وكان قد أرسل يلغها بأن تحضر معها طياً آخر... كانت... كانت الأمور تجري بشكل سيء.

- وماذا حدث؟

عندما رأيته قال لي: "هيا، تعالي... وجردك أفضل من لا شيء...". قلت له إنني لا أستطيع، لسألتني عما أعنيه، قلت له إنني لم أقم بعمل كهذا في حياتي، وإنني لا أعرف أي شيء، فقال إن ذلك لا يهم أبداً، ثم غدا لحاء فظيماً! صاح بي قائلاً: ألسنت امرأة؟

أظن أن باستطاعتك أن تفعل أي شيء لمساعدة امرأة أخرى؟ ثم أكمل حديثه بعنف قائلاً: أنت كنت تحدثين وكأنك مهتمة بالطب وقلت إنك تملين أن نصحي ممرضة... أظنه كان مجرد كلام جميل مني ولم تقصدي الأمر حقيقة، لكن هذا عمل حقيقي، ويجب أن تصرفني كمرأة معزولة وليس كحتماء عديمة الفائدة!

لقد قمت بأعمال لا تصدق يا جيري... أمسكت بالأخوات وغلبتها بالنساء ولأولته إياهما، إنني متعبة بحيث لا أكاد أستطيع الوقوف على قدمي. كان ذلك فظيماً، لكنه أفضلها... وألق المجنين. غطت جوانا وجهها يديها. تأملتها بسرور بالغ واحترمت أوبن غريغيت في قرارة نفسي! لقد جعل جوانا نواحيه الواقع بشكل حقيقي لأول مرة. وأخيراً قلت لها: توجد رسالة لك في الصالة. أظنها من بول.

قالت: إيه؟ وسكت دقيقة ثم أضافت: لم أكن أعرف يا جيري ما يضطر الأطباء لعمله والشجاعة التي ينبغي أن يتحلوا بها! خرجت إلى الصالة وأحضرت لجوانا رسالتها، فتحتها ونظرت إلى محتواها نظرات غامضة وتركتها تسقط من يدها، ثم قالت: لقد كان... رائعاً حقاً، الطريقة التي حارب بها. الطريقة التي قاوم بها الهزيمة! صحيح أنه تحدثت معي بخفلة... لكنه كان رائعاً.

لاحظت بشيء من السرور رسالة بول المهمة من الواضح أن جوانا قد شفيت من بول!

• • •

ألقى إليّ رسالة عبر الطاولة، وكانت -هذه المرة- مطبوعة كلها. وإذا ما قورنت بالرسائل الأخرى فإن هذه الرسالة كانت معتدلة اللهجة:

لا فائدة من الاعتقاد أن بإمكانك احتلال مكان امرأة ميتة. البلدة كلها تسخر منك. اخرجي الآن، فسريراً سيكون الوقت قد فات. هذا تحذير؛ تذكرني ما حدث لفلك الفتاة. اخرجي وانسي خارجاً.

ثم تنتهي الرسالة ببعض العبارات المعتدلة في بذاتها.

قال ناش: وصلت هذه الرسالة للآنسة هولاند هذا الصباح.

قال الرقيب باركنز: كنّا نرى غريبة في عدم استلامها أية رسالة من قبل.

سألت: من التي كتبته؟

تلاشى شيء من الحذل عن وجه ناش. بدا مرهقاً مهموماً وقال بحزن: إنني أسف لهذا الأمر، لأنه سيضر رجلاً محترماً بشدة، ولكن لا حيلة لنا. ربما وأودته الشكوك بذلك أصلاً.

كررت سؤالني: من التي كتبته؟

- الآنسة إمبي غريفيث.

• • •

ذهب ناش وباركنز إلى بيت غريفيث عصر ذلك اليوم ومعهما

## الفصل الثالث عشر

الأمر لا تأتي أبداً عندما نتظرها.

كنت مشغولاً جداً بأموري الشخصية وأمور جوانا ففوجئت تماماً في صباح اليوم التالي عندما سمعت ناش يكلمني عبر الهاتف: لقد أمسكتنا بها يا سيد بيرن!

جفلت تماماً بحيث كدت أسقط السماعة. قلت: نقصد الـ...

قاطعتني: هل يمكن لأحد أن يسترق السمع على حديثنا الآن؟

- كلا، لا أظن ذلك... ولكن، ربما...

بدا لي أن باب المطبخ قد انتفتح قليلاً، وسمعتة يقول على الطرف الآخر من الخط: هلاً جئت إلى مركز الشرطة؟

• سأفعل، الآن مباشرة.

وسرعان ما كنت في مركز الشرطة. كان ناش في إحدى الغرف الداخلية والآنسة تماز وجهه ومعه الرقيب باركنز. وما أن رأيته حتى قال: كانت مطاردة طويلة، لكننا وصلنا في النهاية.

ولكنها كانت تتعلق بكتابة الرسائل وليس بحريمة القتل.

رفعني إيمي غربيت رأسها عالياً وضجّت بالضحك، ثم صاحبت قائلة: يا له من كلام فارغ سخيف! أيمكن أن أكتب مثل هذا الكلام البذيء، لا بد أنك جننت، أنا لم أكتب كلمة واحدة مما تقوله.

كان ناش قد أخرج الرسالة الموجهة لإلسي هولاند وقال: هل تتكبرين أنك كنت هذه يا ابنة غربيت؟

إن كانت قد ترددت، فإن ذلك لم يستغرق منها إلا جزءاً من الثانية. قالت: أبكر ذلك بالطبع، أنا لم أَرِ هذه الرسالة أبداً من قبل.

قال ناش بهدوء: لا بد أن أخبرك يا ابنة غربيت أن أحدهم لاحظت وأنت تطعين هذه الرسالة على الآلة الكاتبة في جمعية المرأة بين الساعة الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف مساءً، في الليلة قبل الماضية. وبالأمر دخلت مكتب البريد وببذك حزمة من الرسائل...

- لم أضع هذه الرسالة في البريد أبداً.

.. صحيح، أنت لم تضعها لألك - بينما كنت تنتظرين الحصول على طابع - أسقطتها على الأرض بطريقة لا تنبر الشكوك، بحيث يأتي شخص ما ويأخذها من الأرض دون ارتياب ثم يضعها في صندوق البريد.

- لم أفعل...

الفتح الباب ودخل سيمفنن. قال بحدقة ما الذي يجري؟ إن

إذن اعتقال، وذهبت معهما بحدقة من ناش الذي قال لي: إن الطبيب يحبك كثيراً؟ فليس له أصدقاء كثيرون في هذه البلدة. وما لم يكن هذا الأمر مؤثماً لك يا سيد برتن فإني أرى أن باستطاعتك مساعدته على تحمل الصدمة.

قلت إنني سأذهب معهما، لم أستسغ هذه المهمة، ولكنني ظننت أنني قد أكون مفيداً، قم عنا الجرحى ورسائلنا عن الأنسة غربيت، فقم إدعائنا إلى غرفة الاستقبال، كانت إلسي هولاند وميغان وسيمفنن هناك يشربون الشاي.

نصرف ناش بحدقة بالغ. سأل إيمي عن إمكانية الحديث معها على انفراد لبعض الوقت، فنهضت وجاءت ياتحاننا، وأطنتي وأبنت نظرة ذعر باهتة في عينيها، ولكن تلك النظرة - لو كانت صحيحة - قد تلاشت بسرعة. كانت طبيعية تماماً ومبتهجة.

- تريندي؟ أرحم ألا تكون المشكلة بسبب أضواء سيارتي مرة أخرى؟

سارت أمامنا خارج غرفة الاستقبال ثم عبر الصالة إلى مكتب صغير، وليسا أنا أغلق باب غرفة الاستقبال ورائي لمحت سيمفنن يلتفت برأسه بحدقة وقد كاد ينهض عن كرسيه، وحسبت أن معارضة القانونية قد جعلته يائس قضايها الشرطية، فقلعه مثير شيئاً ما في سلوكه ناش... وكان هذا كل ما رأيته قبل أن أغلق الباب وأتبع الآخرين.

كان ناش يودعي مهمته بدقة، وكان هادئاً تماماً. فيها لحقوها، ثم طلب منها أن نصحبه. كان معه إذن باعتقالها، وقرأ عليها التهمة... ولقد نسيت الآن العبارة القانونية التي قالها بالضبط،

كان في الأمر شيء غير طبيعي يا إيمي فيجب أن يكون لديك من يملك قانونياً. إن أردتي أن...

النهاية عندها. غطت وجهها يديها وتلمست طريقها إلى كرسي، ثم قالت: اذهب يا ذلك. اذهب. ليس أنت... ليس أنت! - أنت بحاجة لمحام يا عزيزتي.

- ليس أنت. إني... إني لا أستطيع تحمل هذا. لا أريدك أن تعرف... كل هذا.

ربما فهم عندها ما تعنيه، فقد قال بهدوء: سأحضر لك المحامي مايلدي من إكزامبتن، هل هذا ينفع؟

أرمأت برأسها موافقة وهي تتعجب، وتخرج سيمتغن من الغرفة. وعند مدخل الباب اصطدم بأوين غريفيث الذي قال بغضب: ماهذا؟ أختي...

قال ناش: أنا أسف يا دكتور غريفيث، أسف جداً... ولكن ليس أمامنا بديل.

- أظن أنها... أنها مسؤولة عن تلك الرسائل؟

قال ناش: أخشى ألا يكون في ذلك شك يا سيدي.

ثم التفت نحو إيمي وقال: يجب أن نأني معنا الآن يا ألسة غريفيث... متحصلين على كل المساعدة لرؤية أحد المحامين.

صاح أوين: إيمي؟

اندهت من أمامه دون أن تنظر إليه قائلة: لا تتحدث معي. لا تقل شيئاً، ولا تنظر إليّ بالله عليك!

عرجوا من الغرفة، فيما وقف أوين كرجل مسحور. انتظرت قليلاً ثم تقدمت نحوه وقلت: إن كان من شيء يمكنك فعله يا سيد غريفيث فقل لي.

قال كرجل يعيش في حلم: إيمي؟ لا أصدق!

قلت متعللاً: قد يكون في الأمر خطأ.

قال بهبط: ما كانت لتصرف هكذا لو كان في الأمر خطأ. ما كنت لأصدق هذا أبداً... لا يمكنك تصديق هذا الأمر.

رمى نفسه على كرسي، وحاولت أن أساعد بتقديم عصير منعش. شرب ما قدمته له، وهنا أن ذلك أخاه فقد قال: لم أستطع فهم الأمر في البداية ولكنني بخير الآن. أشكرك يا بيرتن، ولكن لا يوجد ما يمكنك فعله... ليس بوسع أحد فعل شيء.

انفتح الباب ودخلت جوانا وهي شديدة الشجوب، جاءت إلى أوين ونظرت إليّ وقالت: أخرج يا جيري... هذا عملي أنا.

وفيما أنا أخرج عبر الباب رأيتها تجتر على ركبتيها بحالة.

\* \* \*

لا أستطيع أن أسرد عليكم بشكل متواصل أحداث الساعات الأربع والعشرين التي تلت ذلك، إذ تبرز العديد من الأحداث التي لا يربطها رابط.

أذكر محبي جوانا إلى البيت وهي شديدة الشجوب والذهول، وكيف أنني حاولت رسم الانسجام على شفيتها قائلاً: لقد سبق لي أن وصفت إيمي غريفيث بأنها تصرف مع أخيها كالملاك الحائس، فمن هو الملاك الحائس الآن؟

وأذكر كوفي ايسميت بطويقة محزنة وقالت: "يقول إنه لا يريدني يا جيري؛ إنه ضعيف الغرور والصلابة"، فقلت لهما: وفكاهي أيضاً لا تريدني...

جلسنا هناك لبعض الوقت. وقالت جوانا أخيراً: لا تلقى عائلة بيرتن رواجاً في الوقت الحالي!

قلت: لا تهمني يا عزيزتي، فما زلتنا نصبح لبعضنا البعض.

فردت جوانا: إن هذا لا يشكل لي عزاء يا جيري في الوقت الحاضر...

• • •

جاء أوين لزيارتنا في اليوم التالي وانطلق في حديث مسهب مادحاً جوانا وقالاً إنها رائعة، ونحدث عن الطريقة التي جاءت بها إليه وكيف أعربت عن استعدادها للزواج به... فوراً إن شاء، ولكنه ما كان يسمح بذلك؛ لأنها فتاة أطيب وأرق من أن يرتبط اسمها بتلك القاذورات التي لم تلبث بالانتشار على الألسنة بمجرد وصول خبر أمته إلى الصحف. وكنت أحب جوانا كثيراً وأعرف أنها من النوع الذي يجب الوقوف مع الناس في الأزمات، وقلت لأوين بشيء من اللامعاج ألا يكون على هذه الدرجة السخيلة من المثالية.

ذهبت إلى الشارع العام فوجدت أن ألسن الجميع تشترط دون انقطاع. كانت إميلي يارتن تقول إنها لم تثق أبداً بإيمي غريفيث، وكانت روجة يقال تقول بحماسة إنها كانت ترى دالما أن للاثمة غريفيث نظرة غريبة في عينيها...

وعلمت من فاش أن الشرطة قد أكملوا التحقيقات في القضية، وقد كشف البحث في البيت عن وجود الصفحات المقصوعة من كتاب إميلي مارتن وقد أخفيت - من بين كل الأماكن - في الخزنة أسفل الدرج، ملفوفة بورق جدران قديم.

قال ناثي معجباً: وهو معجباً جيداً أنت لا تعلم متى يمكن لخدام متطفل أن يبعث في مكتب أو درج ملفق... أما نزالين المستغلطات هذه، الملية بكرات النيس القديمة وورق الجدران القديم فلا تفتح أبداً إلا عندما يريدون حشر مزيد من الأغراض داخلها.

- يبدو أن نثنت السيدة ولعاً بهذا المعجب بالذات.

- نعم، نادراً ما نجد الكثير من التنوع في العمل الإجماعي... وبالمناسبة، فقد وجدنا حقيقة يمكن السير على مديها فيما يتعلق بالفتاة الثقيلة؛ فقد فقدت يد هاون كبيرة ثقيلة من صيدلة الطبيب، وأوهن على أنها هي الأداة التي طُربت بها الفتاة.

اعترضت قائلاً: ولكنها أداة يصعب أن يحملها المرء معه.

- ليس بالنسبة للاثمة غريفيث. كانت مستذهب إلى لقاء الكشفاء عصر ذلك اليوم، ولكنها كانت غاضبة أيضاً لإبصار الزهور

والخضروات إلى معرض الصليب الأحمر في طريقها، ولذلك كانت تحمل معها سلة كبيرة جداً.

- ألم تجد السيخ؟

- كلاه، ولن أجدّه. ربما كانت تلك الشيطانة المسيكية معذونة، ولكن الجنون لم يبلغ بها حداً يجعلها تحتفظ معه بسميت ملطخ بالدماء لتسهّل علينا إثبات الجرم عليها، وهي لا تحتاج إلا لفسل السيخ وإعادته إلى درج المطبخ.

وانفتحه قائلاً: أفكر أن المرأة لا يستطيع الحصول على كل شيء.

كان بيت الكاهن آخر بيت يسمع بالخبر، وقد حزت الأنسة العجوز ماربل ذلك الخبر كثيراً. تحدثت معي في هذا الموضوع باهتمام شديد قائلة: ليس صحيحاً يا سيد برن، أنا واثقة أنه ليس صحيحاً.

- أعشى أنه صحيح تماماً. لقد نصّبوا لها كميناً وراوها تطبخ تلك الرسالة بالفعل.

- نعم، نعم... ربما رأوها. نعم، يمكنني فهم هذا الأمر.

- وقد وجدت الصفحات المبلورة التي أخذت منها حروف الرسالة حيث كانت قد أخفها في بيتها.

حدثت بي الأنسة ماربل، ثم قالت بهبوط عافيت جداً: هيا، فطبخ... عمل شرير حقاً.

جاءت السيدة كاثروب بسرعة وانضمت إلينا قائلة: ما الأمر يا جين؟

كانت الأنسة ماربل تتمتع بالسة: يا إلهي، يا إلهي... ما الذي يمكن للمرأة أن يفعله؟

- ما الذي أزعجك يا جين؟

قالت الأنسة ماربل: لا بد من وجود شيء. ولكنني كبيرة في السن كثيراً، وحاجة جداً، وأخشى أن أكون غبية جداً أيضاً.

أخسنت بشيء من الارتباك، وبحثت عندما جاءت السيدة كاثروب: أخذت صديقها. ومع ذلك فقد فُقد لسي أن أرى الأنسة ماربل مرة أخرى عصر ذلك اليوم عندما كنت عائداً إلى البيت. كانت تقف قرب الحبر الصغير عند طرف القرية قريباً من بيت السيدة كليث، وكانت تتحدث مع ميثان.

أردت رؤية ميثان، بل كنت أريد رؤيتها طوال ذلك اليوم؛ ولذلك سارعت عطوي، ولكن عندما وصلت إليهما دارت ميثان وذهبت في الاتجاه الآخر. وقد أغضبني ذلك، وكان من شأني أن أتبعها لولا أن الأنسة ماربل اعترضت طريقي قائلة: كنت أود الحديث معك. لا تذهب وراء ميثان الآن؛ فلن يكون ذلك تصرفاً حكيماً.

وقد أوشكت على الرد عليها بحدة لولا أن جردتني من سلاحني بقولها: هذه الفتاة شجاعة جداً... شجاعة إلى أبعد حد.

ورغم ذلك أردت اللحاق بميثان، ولكن الأنسة ماربل قالت: لا تحاول رؤيتها الآن. إنني أعرف ما أتحدث عنه، بحسب عليها أن تحتفظ بشجاعتهما.

كنا في تأكيد السيدة العجوز شيء أصابني بالفضيحة.



وكانها كانت تعرف شيئاً لا أعرفه، كنت خائفاً ولا أعرف سبب خوفي، ولم أذهب إلى البيت، وإنما عدت إلى الشارع العام وسمعت فيه جبهة وزعماً دون هدف. لا أعرف ماذا كنت أنظر أو بماذا كنت أفكر...

أمسكتني ذلك العجوز الممل الثقيل الكولونيل أيلنسون. مسألني عن أختي الجميلة كمادام ثم أكمل قائلاً: ما كمل هذا الكلام عن أخت غريفيث وعن جنونها المغفل؟ يقولون إنها هي التي كانت تقف خلف تلك الرسائل المجهولة التي كانت مصدر إزعاج للجميع! لم أصدق هذا الكلام في البداية، ولكنهم يقولون إنه صحيح تماماً.

قلت له إنه كلام صحيح.

- حسناً، يجب أن أعترف بأن شرطتنا جيتون إجمالاً. أعطهم الوقت الكافي فقط، هذا كل ما هنالك. غريبة مسألة الرسائل المجهولة هذه... إن أولئك العجائز المعجاف هن دائماً المولمعات بهذا الأمر، مع أن الآتية غريفيث لم تكن سيئة المظهر، رغم طول أسنانها قليلاً... ولكن لا توجد أية فتاة جميلة في هذه المنطقة، ما عدا تلك الفتاة المريفة عند سيمفنتن! إنها جديدة بأن يُنظر إليها، كما أنها فتاة لطيفة تحرب عن الامتنان لأية خدمة صغيرة يؤديها لها المرأة. التقيت بها عندما كانت في نزهة مع الطفلين قبل مدة قصيرة، وكانا يلعبان ويلعبان على العشب بينما كانت تحبب الصوف بعناتها... وقد انزعجت كثيراً لأن الصوف لقد، فقلت لها: "هل تحبين أن أوصلك إلى لاهمستوك؟ سأترقب هناك لأعبد عصاي

العسكرية ولن أتأخر أكثر من عشر دقائق، ثم أعيدك مرة أخرى". كانت مترددة قليلاً في ترك الولدين. قلت لها: "لن يكون عليهما بأس، مثلاً يريد أن يذهبهما! لا نخافي فلن نتركهما طولاً!" وهكذا أخذتها معي في السيارة وأولتها عند محل الصوف ثم عدت وأخذتها مرة أخرى وانتهى الأمر، كانت في غاية الامتنان وشكرتني بسعادة... فتاة لطيفة.

نحدث أخيراً في الهروب منه.

بعد ذلك وأبت الأنسة ماربل للمرة الثالثة، وكانت خارجة من مركز الشرطة.

\* \* \*

من أين تأتي مخاوف المرأة؟ أين تتشكل هذه المخاوف، وأين تكون مختبئة قبل أن تخرج للعلن؟

مجرد عبارة واحدة قصيرة، شُمت وسُجلت ولم تُسجَح حاليّاً أبداً: "أرحوك أن تأخذني بعيداً... إن البقاء هنا والشعور بكل هذا الشر أمر قبيح...".

لماذا قالت ميجان هذا، ولماذا عساها تشعر بالشر؟ لم يكن لي وفاة السيدة سيمفنتن ما يجعل ميجان تشعر بالشر.

لماذا شعرت الفتاة بالشر؟ لماذا؟ لماذا؟ أم يمكن أن يكون ذلك لأنها أحسست بالمسؤولية بأي شكل؟

ميجان؟ مستحيل! لا يمكن أن تكون لميجان أية علاقة بتلك

الرسائل... تلك الرسائل القفرة الفحاشة ولكن: كان أوبين غريبتي  
قد عرف بحالة معاناة في الشمال... طالبة مدرسة!

ما الذي قاله العفشي غريبتي؟ شيء عن عقل مرهق... سددت  
عجائز على تناوله العمليات الجراحية بهذين بكلمات لا يكاد  
يعرفنها... حبيبة صغار يتكبدون أحياء على الجدران.

كلّا، كلّا... ليس عيفان.

أفكون الوراثة؟ العرق السيء؟ وراثة لاواعية كشيء شاذ؟  
أبكون سوء حظ لا يد لها فيه... لعنة لحقت بها من جيل مخسٍ؟  
لماذا قالت: "لست من النوع الذي يصلح زوجة لك" إنني أظن  
الكرامية أكثر مما أظن الحب. ٣"

أوه، عيفان... طفلتي الصغيرة. عسى ألا يكون ذلك! كل شيء  
إلا ذلك. وتلك العانس المحجوز تلاحقك، إنها تشك. تقول إنك  
شجاعة. شجاعة للقيام بماذا؟

كانت نوبة جنون عابرة مرت، ولكنني أردت رؤية عيفان...  
كنت بحاجة ماسة لرؤيتها. تركت البيت الساعة التاسعة والنصف  
من تلك الليلة وذهبت إلى البلدة، ومن هناك إلى بيت سيمنتن.  
وعندها عطلت في بالي فكرة جديدة تماماً... امرأة لم يفكر بها  
أحد لحظة واحدة (أم أن ناسي فكر بها؟)... كان ذلك مستبعداً  
جداً، غير محتمل إطلاقاً، وكان من شائي - حتى هذا اليوم - أن  
أعتبره مستحيلاً أيضاً. ولكن الأمر لم يكن كذلك. كلّا، لم يكن  
مستحيلاً.

ضاعت سرعتي، فقد أصبح من الحيوي الآن أن أرى عيفان  
على الفور. عبرت بوابة منزل سيمنتن وصعدت إلى البيت. كانت  
ليلة مظلمة ملبدة بالغيوم، وبدأ قليل من المطر في السقوط، وكانت  
الرؤية سيئة.

رأيت خطأ من الضوء من إحدى النوافذ. أهي الغرفة الصغيرة  
التي كنا فيها في الصباح؟ ترددت قليلاً، ثم انعطفت - بدل الذهاب  
إلى الباب الأسامي - وركضت بهدوء إلى أن صعدت إلى النافذة  
متابعاً غصناً ضخماً، وبقيت هناك خائفاً وأسي.

كان الضوء يخرج من فتحة الستارة التي لم تكن مغلقة جيداً.  
كان من السهل النظر منها ورؤية ما بداخل الغرفة، وقد كان المنظر  
في الداخل عالياً هادئاً: سيمنتن يجلس على كرسي كبير، والسي  
هولاند متكبة على رفق قميص أحد الأولاد.

كنت أستطيع سماع الحديث إضافة إلى الرؤية لأن النافذة  
كانت مفتوحة من أعلى. كانت إلي هولاند تقول: ولكني أظن  
فعلاً يا سيد سيمنتن أن الولدين قد كبرا بما فيه الكفاية ويمكنهما  
الذهاب إلى مدرسة داخلية. وهذا لا يعني أنني لن أكره غيابهما  
عني، بل سأكره ذلك فعلاً، فأنا أحبهما كثيراً.

قال سيمنتن: أظنك مصيبة بخصوص برايان يا آنسة هولاند.  
لقد قرأت (إرساله ليبدأ الفصل القادم في مدرسة وينهايز... مدرستي  
الابتدائية القديمة، ولكن كولين ما يزال صغيراً، وأفضل أن ينتظر  
سنة أخرى.

- إنني أفهم ما تعبه بالطبع، كما أن كولين ربما كان صغيراً

حديث منزلي هادئ... ومشهد منزلي هادئ...

ثم تُفتح الباب ودخلت ميغان، وقتلت عبيد مدخل الباب منتصباً القامة، ولا حيلت فوراً أن يها شيئاً من التوتر. كان جلد وجهها مقذوفاً وغيثها لامعتين حارمتين، لم يبد عليها هذه الليلة حياة أو تردد أو قلقونية. قالت تصاحب سيمنتن باسمه المسجود (ولماعة فكرت) بأنني لم أسمعهما تناديه أبداً، هل كانت تحاطبه بلقسط أبي أم باسمه أم بماذا؟، قالت: أود الحديث منك من فضلك، علي انفراد.

بدا سيمنتن مندفعاً وقتل حبيبه، وتصورت أنه لم يكن مسروراً، لكن ميغان أصرت علي كلامها بعزم لم يكن من عادتها، التفتت إلي إلسي هولاند وقالت: هل تمانين يا إلسي؟

قفزت إلسي هولاند من مقعدها وقالت: "بالطبع لا"، بدت جفلة مضطربة قليلاً وذهبت إلي الباب، ودخلت ميغان حتى تفسح لها طريق الخروج. وللحظة فقط وقتت إلسي عند مدخل الباب جامدة تنظر وراءها. كانت شفتاها مزمومتين وقد وقتت حمامة دون حركة وإحدى يديها ممدودة بينما أمسكت الأخرى بإصبع الذي كانت تعمل فيه، ثم خرجت وأغلقت الباب.

قال سيمنتن بشيء من الغضب: ما الأمر يا ميغان؟ ماذا تريدون؟

كانت ميغان قد انحطت باتجاه المكب ووقفت هناك نحاد في سيمنتن، وقد ذهلت من جليده للتصميم العازم في وجهها،

ولشيء آخر... لصلاحة كانت جديدة علي، وأخيراً فتحت شفتها وقالت شيئاً أحفلي حتى الصميم: أريد بعض المال!

لم يحسن هذا الطلب مراح سيمنتن. قال بحدة: أسمع بكين بإمكانك الانتظار حتى صباح الغد؟ ماذا جرى؟ أتري أن مصروفك لا يكفي؟

قالت ميغان: أريد مبلغاً كبيراً من المال

اعتدل سيمنتن في جلسته وقال بفتور: سبلعين الممن الثانوية بعد بضعة أشهر، وغد هذا مسجول لك الوصي العام الأموال التي تركتها لك جدك.

قالت ميغان: أنت لا تفهمني... أريد مالاً منك.

ثم أكملت فتحدثت بسرعة أكبر: لم يكن علي أحد كبيراً عن والذي لا يريدون لي أن أعرف عنه شيئاً، ولكني أعرف أنه دخل السجن، وأعرف المصيب... كان ذلك بسبب الابتزاز!

سكنت قليلاً ثم قالت: حسناً، وأنا ابنته، وربما أشبهه. علي أية حال فإنني أطلب منك مالاً لأنك... إن لم تفعل... وسكنت مرة أخرى ثم أكملت بكل يقظة وهدوء: إن لم تفعل... فسوف أكتشف ما رأيك تفعله بتلك المكسولة في غرفة والدتي ذلك اليوم.

ساد شيء من الصمت، ثم قال سيمنتن بصوت يخلو من أية عاطفة: لا أعرف ما تفعله.

- بل أنتك تعرف.

ثم اتسمت، ولم تكن ابتسامة لطيفة. ونهض سيمنتن، ذهب إلى طاولة المكتب فأخرج منها دفتر الشيكات وكتب شيكاً وقعه بحرص شديد ثم عاد فقدمه لها وقال: أنت فتاة بالغة الآن وأنهم أنك قد تشعرين بالحاجة لشراء شيء خاص كالملابس وغيرها. لا أعرف ما تتحدثين عنه... لم أنتبه، ولكن هالك هذا الشيك.

نظرت ميغان إلى الشيك وقالت: شكراً، هذا يكفي لما أريده. دارت وخرجت من الغرفة وحدت سيمنتن بها وهي خارجة وبالباب المغلق، ثم التفت. وعندما رأيت وجهه تقدمت إلى الأسفل بحركة سريعة لم أتمالكها، ولكن ثم وقف حركتي تلك بطريقة غريبة جداً. فالنقص الكبير الذي لاحظته قريب الحائط لم يعد غائباً!

أحاطت بي ذراعاً المفتش ناث و همس في أذني: اهدأ يا بيرتن، اهدأ بالله عليك.

ثم تراجع إلى الوراء بحذر شديد وهو يمسك بي حتى أصبح. وعند جانب البيت انتصب واقفاً ومسح جبينه وقال: لا مفر من تعطلك بالطبع!

قلت بالإنحاح: تلك الفتاة ليست في مأمن! هل رأيت وجهه؟ يجب أن نخرجها من هنا.

قبض ناث على ذراعي بقوة وقال: اسمعني الآن يا سيد بيرتن، يجب أن تصغي.

• • •

حسناً لقد أصغيت بالفعل، لم أحب ذلك... ولكنني أذعنت، على أنني أصورت على البقاء في المكان، وأقسمت له أن أطيع الأوامر طاعة تامة.

وهكذا دخلت مع ناث وباركنز إلى البيت من الباب الخلفي الذي ترك غير مقفل عمداً وانتقلنا عند بسطة الدرج وراء السطارة المحملة التي تغطي فتحة النافذة إلى أن دقت ساعة الحائط معلنة الساعة الثانية. عندئذ فتح سيمنتن باب غرفته وغمر بمسلة الدروج ودخل غرفة ميغان.

لم أتحرك من مكاني لأشي كنت أعرف أن الرقيب باركنز كان في الداخل معنفاً وراء الباب المفتوح، وكنت أعرف أن باركنز رجل جيد ويعرف عمله، وكنت أعرف أنني لا أستطيع التمتع بقدرتي على المحافظة على هدوئي لو كنت مكانه.

وفيما أنا أنظر هناك وقلبي يخفق بشدة، رأيت سيمنتن يخرج من الغرفة حاملاً ميغان بين ذراعيه ويمثل بها إلى الطابق السفلي، وقبضها وأنا وناث - تاركين بيننا وبينه مسافة معقولة. حملها إلى المطبخ. وكان قد أكمل وضعها بشكل مريح بحيث يكون رأسها في فرن الغاز وفتح صمام الغاز عندما دخلت مع ناث المطبخ وأضأنا المصباح.

وكانت تلك نهاية ريتشارد سيمنتن... وقع منهراً وأنا أهدد ميلان وأغلقت صمام الغاز. لم يحاول حتى المقاومة! فقد عرف أنه قد خسر اللعبة.

• • •

في الطابق العلوي جلست بجانب سرير ميغان أنتظر أن تستعيد وعيها وأنا أصبّ ناش بين حين وآخر، أتفقه قليلاً؛ كيف تعرف أنها ستكون علي ما يرام؟ كانت مجازفة كبيرة من جانبك.

كان ناش يحاول تهدئتي بشئ الطرق، فقد قال: مجرد قليل من النوم في حليبيها الذي نضعه بجانب سريرها دائماً، لا شيء أكثر من ذلك، وهو تصرف متوقع، إنه لم يستطع المجازفة بتسليمها؛ فقد انتهت القضية -بالنسبة له- باعتقال الأنسة غريفيث، ولن يتحمل وقوع جريمة غامضة أخرى. لا عشف إلا سموم، ولكن إذا ما اعتمدت في نفس فتاة كتيبة مسألة التحار والذهاب لفترة طويلة، ثم ذهبت في النهاية ووضعت رأسها داخل فون الغاز، فإن الناس سيقولون إنها لم تكن فتاة طبيعية تماماً وإن صدمة وفاد والذهاب قد قضت عليها.

قلت وأنا أقرب ميغان: مضى وقت طويل ولم تقف.

- أما سمعت ما قاله الدكتور غريفيث؟ قلبها ونفضها طبيعياً تماماً... ممتاز وتستيقظ بطريقة طبيعية. هو قال إنه يعطي هذه المادة للكثير من مرضاه.

تحركت ميغان قليلاً. تشميت بشيء، وغادر الممرض ناش الغرفة دون تطفل. وسرعان ما فتحت ميغان عينيها وقالت: جيري!

- مرحباً يا حبيبتي.

- هل قمت بالأمر جيداً؟

- وكان الابتزاز مهتلك ماذا كنت في المهدأ

أغلقت ميغان عينيها ثانية، ثم تشميت؛ الليلة الماضية... كنت أكتب لك رسالة... خشية أن... أن يحدث لي سوء. ولكنني شعرت بنعاس لم أستطع معه إكمالها. إنها هناك.

ذهبت إلى طاولة المكتب. وجدت رسالة ميغان غير المكتملة في دفتر ملاحظات صغير مهترئ، وكانت تبدأ بشكل رسمي على النحو التالي:

عزيزي جيري،

كنت أقرأ ما كان مقررًا علينا في المدرسة من أعمال شكسبير، وذلك الفصيدة التي مطلعها: "أنت الألفكاري كما الطعام للحياة، أو كالأمطار في عذبة مومبها للأرض".

وقد أدركت أنني أحبك في نهاية الأمر، لأن هذا ما أشعر به فعلاً!

• • •

لكنك كذلك فعلاً.

قالت الأنسة ماربل بهدوء: إن المرء يرى الكثير من الطباع البشرية وهو مقبٍ طوال العام في القرية.

ثم وضعت النسيج الذي كانت تحيكه وألقت عذبة لعليلة عن حرائم القتل وكأنها شعرت بأن ذلك ما هو مُنتظر منها؛ أهم شيء في هذه القضايا هو إبقاء الذهن مفتوحاً تماماً على كل الاحتمالات. معظم الحرائم بسيطة لحد السخالة، وهذه الجريمة كذلك. جريمة معقولة تماماً وواضحة... ومفهومة تماماً... بطريقة كريهة بالطبع.

- كريهة جداً!

- لقد كانت الحقيقة واضحة جداً في الواقع، وقد عرفتها أمت يا سيد بيرتن.

- الحقيقة أنني لم أعرفها.

- لكنك عرفتها فعلاً، وقد أشرت إلى الأمر كله وأوحيت لي به. لقد أدركت تماماً علاقة الأشياء ببعضها البعض، ولكنك كنت تفتقر إلى اللغة الكافية بالنسب لفهم ما كانت تعني أحاسيسك تلك. فقد كانت هناك أولاً تلك العبارة المملة: "لا دعان بلا تار"، كانت تخفيك، ولكنك تقدمت بطريقة صحيحة لتسميها بالاسم الذي بناميتها: سائر دعاني؛ أي تضليل في الانحاء... حيث ينظر الجميع إلى الشيء غير الصحيح... أي إلى الرسائل المجهولة، ولكن النقطة الهامة هي أنه لم تكن في الأمر أية رسائل مجهولة!

- ولكن يا عزيزني الأنسة ماربل، أؤكد لك أن الرسائل

## الفصل الرابع عشر

قالت السيدة كاثروب: وهكذا ترى أنني كنت على حق في استدعاء خبير.

نظرت إليها بإعجاب. كنّا جميعاً في بيت الكاهن، وكان المطر يتساقط خارج البيت بخرارة، وكانت النار متقدة في الموقد بشكل يبعث على الارتياح.

قلت مندهشاً: ولكن، هل استدعيت أحداً حقاً؟ من يكون هذا؟ وماذا فعل؟

قالت: "لم يكن رجلاً، ثم أشارت إلى الأنسة ماربل بيدها. كانت الأنسة ماربل قد انتهت من حيك الصوف وشغلت نفسها الآن بشاردة وبكرة قطن.

قالت السيدة كاثروب: تلك هي خبيري... حين ماربل، انظر إليها جيداً، إن هذه المرأة تعرف عن الأنواع المختلفة للشر البشري أكثر من أي شخص آخر أعرفه.

تمتصت الأنسة ماربل: لا أفطن من المناسب أن تصفني هكذا يا عزيزني.

المجهولة كانت موجودة فعلاً... لقد تلقيت واحدة منها.

... أوه، نعم... ولكنها لم تكن حقيقية إطلاقاً، العزيزة مود توصلت -حزن وعي منها- إلى هذه الحقيقة، حتى في بلدة لايمستوك المسالمة توجد الكثير من الفضائح، وأؤكد لك بأن من شأن أية امرأة تعيش في هذه البلدة أن تعرف تلك الفضائح وتستعملها، أما الرجل فلا يهتم بالثقل والقال بنفس الطريقة... وعموماً إن كان رجلاً متطعناً بهيئة عن تلك الاهتمامات مثل السيد سيمنتن، لقد كان من شأن كاتبة حقيقية لهذه الرسائل أن تجعل رسائلها أدق تصويرياً.

وهكذا نرى أنك منهدي إلى الطريق لو تركت الدعان جانباً وبحثت إلى النار. ما عليك إلا أن تعود إلى الحقائق الفعلية لما حدث. وإذا وضعت الرسائل جانباً، فإن شيئاً واحداً قد حدث، وهو وفاة السيدة سيمنتن.

وفي هذه الحالة، من الطبيعي أن يفكر المرء بالذي يريد وفاة السيدة سيمنتن. وبالطبع فإن الشخص الأول الذي يفكر فيه المرء في مثل هذه الحالة هو الزوج، ويسأل المرء نفسه إن كان يوجد أي سبب أو أي دافع... امرأة أخرى مثلاً؟

وكان أول ما سمعته هنا هو وجود مربية أطفال جذابة جداً لمي البيت. أليس هذا واضحاً؟ السيد سيمنتن، الرجل الجاف الصكوت غير العاطفي، مرتبط بامرأة لكثرة عصبية المزاج، ثم فصاحة تأتي هذه الشابة المناقضة.

أخشى أن الرجال يصيرون محبائين تماماً عندما يقعون في

الحب في سن معينة... كما أن السيد سيمنتن -حسب استنتاجي- لم يكن رجلاً طيباً أبداً لم يكن لطيفاً أو ودوداً أو متعاطفاً بل كانت صفاته سالبة إجمالاً... ولذلك لم يكن يمتلك حقاً القوة لمقاومة جنونه. وفي ظرف كهذا لن يحل مشكلته إلا وفاة زوجته. لقد أراد الزواج بهذه الفتاة، وهي ذات سمعة محترمة، وكذلك هو، وهو -أيضاً- معصب لأطفاله ولا يريد التحلي عنهم. كان يريد كل شيء: بيته وأطفاله وسمعته وألبي، والشمس الذي كان عليه أن يدفعه للوصول إلى ذلك هو القتل.

وإني لأراه اختار طريقة ذكية جداً؛ لقد كان يعرف جيداً من خلال خبرته في القضايا الجنائية أن الشرطة يشتبهون بالزواج على الفور إن ماتت زوجته على نحو غير متوقع... بالإضافة إلى احتمال تشريح الحجة في حالة التسمم؛ ولذلك فقد رتب الجريمة بحيث تبدو مجرد نتيجة عرضية لأمر آخر باختراعه كاتبة غير موحودة لرسائل مجهولة. والشيء الذكي في هذه الخطة أن من المؤكد أن يشبه الشرطة بالمرة، وقد كانوا على حق تماماً بطريقة ما. كانت الرسائل جميعها نسوية بالفعلي، وقد نسخها بكل ذكاء من تلك التي انتشرت في قضية العمام الصاضي ومن قضية أخيره عنها الدكتور غروليث. لا أقصد أنه كان مغفلاً بحيث قلأ نفس الأسلوب حرقياً، ولكنه أخذ عبارات وكلمات منها وخلطها مع بعضها. وكانت الفحيجة أن الرسائل كانت تمثل ذهنية امرأة... امرأة ذات شخصية مكتوبة شبه محتونة.

كان يعرف جميع الأساليب التي يستخدمها الشرطة بالبحري عن خط اليد والآلات الكاتبة، وغير ذلك، وكان يعد لحربه منه

زمن بعيد، ولذا فقد طبع جميع المقالات قبل أن يهدي الله الكاتبة لحمية المرأة، ولعله قطع الصفحات من كتابه في منزل ليشل فيروز قبل وقت طويل عندما كان ينتظر في غرفة الاستقبال ذات يوم. إن الناس لا يفتحون كتب المواقظ كثيراً!

وأخيراً، وبعد أن نشر تماماً نتاجات قلبي المسموم الواقع وشغل القرية بها، بدأ عمله الحقيقي. وقد اختار لذلك عصر يوم جميل عندما تكون المربية والأولاد وبنات زوجته في الخارج وعندما يكون الخدم في يوم عطلةهم الأسبوعية، ولم يكن بإمكانه التنبؤ بأن خادمته أغنيس ستتساجر مع صديقها وتعود إلى المنزل.

سألت جونا: ولكن ما الذي رأته؟ هل تعرفين هذا؟

- لا أعرفه، ولكن يمكنني التخمين فقط. وتخميني هي أنها لم تر أي شيء.

- أي أن ذلك كان وهماً؟

- لا، لا يا عزيزتي، أقصد أنها وقفت عند نافذة غرفة الخربس طيلة العصر تنتظر مجيء صديقها... وهي لم تر شيئاً بالمعنى الحرفي للكلمة. أي أن أحداً لم يأت إلى البيت أبداً، لا ساعي البريد ولا أي شخص آخر.

وقد كان من شأنها -وهي بطيئة الفهم- أن تستغرق وقتاً طويلاً حتى تدرك أن ذلك كان أمراً غريباً جداً... لأن السيدة سيمنتن قد تلقت ظاهراً رسالة مجهزة عصر ذلك اليوم.

سألناها متحيرات: ألم تلقي رسالة؟

- كلاً بالطبع! إن هذه الجريمة بسيطة جداً كما قلت، الذي حدث أن زوجها وضع لها السباغ في كبسولة الدواء التي كانت تستعملها بعد ظهر ذلك اليوم بعد تناول الغذاء كما هي العادة. كل ما كان على سيمنتن عمله -بعد ذلك- هو العودة إلى البيت قبل عودة إليسي هولاند أو في نفس الوقت معها، ومداواة زوجته دون أن يسمح لها بإحابة، فيصعد إلى غرفتها ويضع نظرة من السباغ في كأس الماء الذي اعتادت أن تشربه مع تمرس الدواء، ثم يلقى بالرسالة المكسورة التي أعدها أمام الموقد، ويضع بجانب يدها قصاصة الورق التي كتب عليها: "لا يمكنني المضي".

انفتحت الأنسة ماربل إلي وقالت: كنت محقاً تماماً فيما بعض هذه النقطة أيضاً يا سيد بيرتن؛ إذ أن "قصاصة الورق" كانت غير طبيعية أبداً. إن الناس لا يكتبون رسائل انتحار على قصاصة ورق صغيرة مقطوعة، بل هم يستخدمون ورقة كاملة... ويضعونها غالباً في مغلف أيضاً. نعم، كانت قصاصة الورق غير طبيعية، وأنت عرفت ذلك.

قلت: أنت تبالغين في إدراكي، فأنا لم أكن أعرف شيئاً.

- ولكنك عرفت، عرفت فعلاً يا سيد بيرتن. ولذا لماذا أثرت فيك على الفور الرسالة التي كتبها أنت على عجل وتركتها على حامل الهاتف؟

كررتُ بطلاء: "لا يمكنني المضي يوم الجمعة"... فهتت: "لا يمكنني المضي"!

انسمت لي الأنسة ماربل وقالت: بالفيصل، لقد عثر السيد



سيمتغن على رسالة شبيهة بهذه ورأى ما يمكن أن تنطوي عليه من احتمالات فقطع الكلمات التي أرادها حتى يستخدمها عندما يحين الوقت... وكانت رسالة صحبحة كتبت بخط يد زوجته.

سألته: وهل ظهرت أية لمحات ذكية أخرى من طرفي؟

طرفت عينا الأنسة ماريل وهي تنظر إلي وقالت: لقد وضعتني على الطريق الصحيح... أنت جمعت لي تلك الحقائق على نحو متسلسل، وعلى رأسها أهم نقطة قلتها لي من بين كل تلك النقاط، وهي أن السي هولاند لم تلتق أية رسالة مجهولة أبداً.

قلت: هل تعرفين أنني فكرت الليلة الماضية بأنها هي كاتبة الرسائل، وأن ذلك هو سبب عدم تلقيها لأي منها؟

- أوه يا عزيزي... أنا لم أفكر بذلك؛ فالشخص الذي يكسب رسائل مجهولة يرسل دائماً رسالة منها إلى نفسه، وأحسب أن ذلك يشكل جزءاً من... من الإثارة. ولكن لا، لقد أشارت هذه الحقيقة اهتمامي لسبب مختلف تماماً. كانت هذه -في الواقع- نقطة الضعف الوحيدة عند السيد سيمتغن؛ لم يستطع حمل نفسه على كتابة رسالة قلرة إلى الفتاة التي أحب، إنها ملاحظة جانبية مثيرة جداً تلقي الضوء على الطبيعة البشرية... وهي قد تسجل لصالحه بطريقة ماء، ولكنها النقطة التي لفضحته.

قالت جوانا: وهل هو الذي قتل أغنيس؟ إن ذلك لم يكن ضرورياً بالتأكيد؟

- ربما كان ضرورياً. إن ما لا تدركينه يا عزيزتي (إذا لم

تقتلي أحداً) هو أن أحكام المعجر تنشوء بعد ذلك ويسدو له كل شيء مائلاً فيه. لا شك أنه سمع الفتاة تهاتف بارتريدج وتقول إنها كانت قلقة منذ وفاة السيدة سيمتغن وأن في الأمر شيئاً لم تفهمه. لم يكن يستطيع المحاربة... فهذه الحقائق الغريبة ربما رأت شيئاً أو تعرف شيئاً.

- ألم يكن موجوداً في مكتبه ليلة عصر ذلك اليوم؟

- يُعَيَّل إلي أنه قتلها قبل مغادرة البيت. كانت الأنسة هولاند في غرفة الطعام، ولعله اكتفى بالخروج إلى الصالة حيث فتح الباب الأمامي وأغلقه وكأنه قد خرج من البيت، ثم انسل إلى غرفة الملابس الصغيرة عند الباب الأمامي. وعندما بقيت أغنيس وحدها في البيت، ربما قرع جرس الباب وعاد إلى غرفة الملابس بسرعه ثم جاء من وراءها وضربها على رأسها عندما كانت تفتح الباب، ثم بعد أن حشر الحنطة داخل الخزانة، أسرع إلى مكتبه بتأخير قليل جداً خشية أن يلاحظه أحد، ولكن ربما لم يلاحظ ذلك أحد... فكما تعرفين لم يكن أحد يشك في رجل.

قالت السيدة كالشروب: يا له من وحش بغض!

سألته: أرى أنك لا تشعري بالأسف عليه يا سيدة كالشروب؟

- إطلائاً. لماذا؟

- لا شيء، إنما يسعدني سماع ذلك.

قالت جوانا: ولكن لماذا إيمسي غريفيث؟ أعرف أن الشرطة اكتشفوا أن يد الهاون قد اختلصت من صيدلية أوين... والسيخ أيضاً.

- لقد كانا حديقتين حميمين دائماً، وأحسب أنها رأت بعد وفاة السيدة سيمنتن أنها ربما استطاعت في يوم من الأيام...

تحدثت الأنسة ماريل مفضلة التلميح على التصريح، ثم أضافت: ثم بدأ الكلام ينتشر عن السي هولاند، وأظن أن ذلك قد ضايقها كثيراً. رأت في الفتاة امرأة لعرباً تخطط لإيقاع سيمنتن في أحبالها وأنها غير جذيرة به، وهكذا، أحسبها استسلمت للإغراء: لماذا لا تكتب رسالة إضافية واحدة وترعب الفتاة بحيث تخرجها من المنزل؟ لا بد أن ذلك بدا لها آمناً تماماً، فقلت أنها قامت بجميع الاحتياطات.

قالت جوانا: وبعد ذلك؟ أكملتي القصة.

قالت الأنسة ماريل ببطء: يُحيل لي أن السيد سيمنتن قد عرف على الفور كتابة الرسالة عندما أرتبه إياها الأنسة هولاند، ورأى في ذلك فرصة لإنهاء القضية إلى الأبد وتأمين نفسه. لم يكن ذلك تصرفاً لطيفاً... نعم، ولكنه كان حائقاً. فلم يكن الشرطة ليقتنعوا حتى بمسكوكا بكتابة الرسائل المحجولة. وعندما أخذ الرسالة إلى الشرطة، وعرف أنهم قد رأوا إيمي عملياً وهي تكتبها أحس بأن فرصة لا تلوح إلا نادراً تلوح له الآن لإنهاء القضية كلها.

وهكذا أخذ العائلة لشرب الشاي هناك عصر ذلك اليوم، وقد كان من السهل عليه - وهو قادم من مكتبه حاملاً حقيقة - أن يحضر فيها الصفحات التي قصها من الكتاب لكي يخفيها تحت الدرج ويحسب القضية. وكان إغداؤها تحت الدرج لمسة بارعة، فهو يذكر الجميع بالطريقة التي أخفيت فيها حشة أغنيس. ومن الناحية

لا أظن أن من السهل على رجل أن يعيد أنشياء إلى أدراج المطابخ. واحزري أين كانت موجودة؟ لقد أحبرني المقتش ناش قبل قليل عندما التقية وأنا في طريقي إلى هنا أنها كانت في واحد من تلك الصناديق القديمة التي يحفظ بها الوثائق في مكتبه. صندوق وثائق عقارات الراحل السير جاسبر هارينغتون ويست.

قالت السيدة كالتروب: مسكين جاسبر... كان أحد أبناء عمومتي، وكان عجزاً مستقيماً. لو علم بذلك لأصيب بنبوة قلبية!

سألتها: ألم يكن من الجنون أن يحتفظ بها؟

قالت السيدة كالتروب: ربما سيكون أكثر جنوناً لو رماها. لم يكن أحد يراتب سيمنتن أبداً.

قالت جوانا: إنه لم يضربها يد الهاون. كانت هناك أيضاً كرة حديدية من تلك التي تعلق في الساعات الجدارية، وعليها شعر ودم. ويُظن أنه سرق يد الهاون في اليوم الذي اعتقلت فيه إيمي وأنه أخفى صفحات الكتاب في بيتها. وهذا يعيدني إلى سؤالتي الأصلي: ماذا عن إيمي غريفيث، لقد شوهدت عملياً وهي تكتب تلك الرسالة.

قالت الأنسة ماريل: بالطبع، فقد كتبت تلك الرسالة فعلاً.

- ولكن لماذا؟

- يا عزيزي! لا بد أنك أدركت أن الأنسة غريفيث كانت تحب سيمنتن طيلة حياتها.

قالت السيدة كالتروب بطريقة أكية: المسكينة!

العملية كان ذلك سهلاً جداً بالنسبة له، فعندما لحق بإيمي في الصلاة كانت دقيقة واحدة أو دقيقتان تكفي لهذا العمل.

قلت: ومع ذلك، يبقى شيء واحد لا يمكنني غفرانه لك يا أنسة ماريبل... إقناعك ميفان بالمشاركة في هذا الأمر.

## الفصل الخامس عشر

ذات صباح في الشارع العام:

خرجت الأنسة إيمي من محل البقالة حاملة حقيبة مشترياتها، خذاتها متوردة وعينها متفعلتان: أوه يا عزيزي السيد بيرتن، إنني أشعر حقاً بالإثارة وأنا أفكر في ذهابي في رحلة أخيراً!

- أرجو أن تستمتعي بها.

- أنا واثقة من ذلك. لم أكن لأجرؤ على الذهاب بمفردي. يبدو أن الأمور قد انتهت إلى هذا الحال بفضل العناية الإلهية. لقد شعرت منذ وقت طويل بضرورة ترك منزل ليبل فيرر، وأدركت أن إمكانياتي المالية ضعيفة، ولكني لم أستطيع تحمل فكرة وجود غرماء فيه. أما وقد اشتريته الآن وقررت العيش فيه مع ميفان فإن الأمر مختلف تماماً. وإيمي بعد محبتها القاسية... لا تعرف ماذا تفعل بنفسها، وأخوها ستزوج (كم هو جميل أن تفصروا - ألت وجوانا - الاستقرار عندنا!)، وقد انقضى إيمي على المحيء معي. إننا نعتمد الرحيل لفترة طويلة.

وضعت الأنسة ماريبل صناديقها جانباً ونظرت إلى من فوق، نظارتها بعينين صارمتين وقالت: كان يجب عمل شيء يا عزيزي! لم يكن لدينا أي دليل ضد هذا الرجل الذكسي جداً والمفتقر تماماً لأي وازع. كنت بحاجة لشخص يساعدني، شخص ذي شجاعة فائقة وذكاء كبير، وقد وجدت الشخص الذي أردته.

- كان ذلك خطراً كبيراً عليها.

- نعم، كان خطراً، ولكننا لم نخلق يا سيد بيرتن للهروب من الخطر عندما تكون حياة إنسان بريء آخر مهددة. هل فهمتي؟

وقد فهمتها.

\* \* \*

ثم خفضت الأتمة إميلي صوتها وقالت: بل إننا ربما نذهب  
في رحلة حول العالم! وإميلي والدة وعملية جداً. إنني أرى فعلاً أن  
كل شيء ينتهي نهاية سعيدة.

فكرت للحظة عابرة بالسيدة سيمينغتون وأغنيس وهل في  
قريهما وتساءلت إن كانتا ستوافقان على كلام إميلي عن النهاية  
السعيدة، ثم تذكرت أن صديق أغنيس لم يكن يحبها كثيراً، وأن  
السيدة سيمينغتون لم تكن لطيفة مع ميغان، فلماذا أهتم كثيراً؟ لا بد  
أن نموت جميعاً يوماً ما! ووافقت الأتمة إميلي السعيدة على أن كل  
شيء انتهى نهاية سعيدة.

ذهبت إلى الشارع ثم إلى بوابة بيت سيمينغتون، وخرجت  
ميغان لمقابلتي. لم يكن لقاء رومانسياً لأن كلياً إنكليزياً ضخماً  
خرج مع ميغان وكاد يوقعني أرضاً بنشاطه سيء التوقيت.

قالت ميغان: أليس رائعاً؟

- ولكنه مبالغ قليلاً في روعته. أهو لنا؟

- نعم، إنه هدية زفافنا من جوانا. لقد تلقينا هدايا جميلة،  
أليس كذلك؟ قطعة الصوف تلك التي لا تعرف لماذا تستعمل من  
الأتمة ماربل، وعظم الشاي الجميل ذاك من السيد باي، كما  
أرسلت لي إلسي حمالة نوست توضع على المائدة...

- يا لها من هدية تمثل صاحبها.

- كما أنها جعلت على وليفقة عند طبيب أستان، وهي

سعيدة جداً. و... ماذا كنت أقول؟

- كنت تعدين هدايا الزفاف. لا تنسي أن عليك أن تعيدتها  
كلها إلى أصحابها إذا غيرت وأهلك.

- لن أغير رأيي. ماذا تلقينا غير ذلك؟ أوه، نعم، لقد أرسلت  
السيدة كاتثروب لنا تحفة على شكل احتساء مصرية.  
- امرأة مفردة.

- ولكنك لا تعرف الهدية الفضي. لقد أرسلت لي مارتريدج  
هدية. إنها مشقة للأطباء، أشبه مشقة رأيها. ولكني أعتقد أنها  
تحبني الآن دون شك، فهي تقول إنها طررتها بيديها.

- أعطها طررتها بعناقيد حصرم وأشواك؟

- كلا، بل بصورة القلب رمزاً للحب.

- يا إلهي، يا إلهي... إن مارتريدج تتطور!

كانت ميغان قد سحبني إلى داخل البيت حيث قالت: شيء  
واحد فقط لا أستطيع فهمه؟ قولي جانب الطوق والحبل المرحودين  
على الكلب أرسلت جوانا طوقاً وحبالاً إضافيين. لأي شيء نفلتها؟  
أرسلتها؟

قلت: هذه مزحة من مزحات جوانا.

\*\*\*